



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١١٧

١ -

* (المقاييس النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء) *

لابن سلام

اعداد

عبد الله عبد الكريم أحمد العبادي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا العربية

(فرع الأدب)

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة / جامعة الملك عبد العزيز

بإشراف

(الدكتور : عبد الحكيم حسان عمر)

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م



١١٧

- ب -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ج -
فهرس الموضوعات

الصفحات	الموضوع
٢٣-١	مقدمة
٢٣-٢٤	تمهيد : النقد قبل ابن سلام
٥٣-٢٥	الباب الاول : النقد الوثيقي عند ابن سلام .
٥٣-٢٥	الفصل الاول - الرواية والانتحال .
٥٤-٦٨	الفصل الثاني - أولية الشعر العربي .
٦٩-١٩٢	الباب الثاني : النقد الفني عند ابن سلام .
٧٠-٩٦	الفصل الاول : أسس تقسيم الطبقات عند ابن سلام .
٧٩-٧٠	١- الزمان
٨٠-٩٠	٢- المكان
٩٠-٩٤	٣- الفن الادبي
٩٤-٩٦	٤- الناحية الدينية
٩٧-١٢٨	الفصل الثاني : التقسيم الى طبقات باعتباره عملا نقديا
١٢٩-١٧٢	الفصل الثالث : المقاييس النقدية عند ابن سلام
١٣٤-١٥٠	أولا : مقياس الجود
١٥٠-١٥٣	ثانيا : مقياس الكثرة
١٥٤-١٦١	ثالثا : مقياس تعدد الاغراض
١٦٢-١٦٦	رابعا : مقياس الفن الادبي
١٦٦-١٦٩	خامسا : المقياس الخلقى
١٦٩-١٧١	سادسا : مقياس اللين
١٧١-١٧٢	سابعا : مقياس كون الشاعر
١٧٣-١٩٢	الفصل الرابع : أنواع النقد الفني فى كتاب
	الطبقات .
١٧٣-١٨٢	النقد الادبى
١٨٣-١٨٩	النقد اللغوى
١٩٠-١٩٢	النقد المتصل بالواقع
١٩٣-٢١٤	الباب الثالث : القيمة النقدية لكتاب طبقات الشعراء
٢١٥-٢٠٢	الفصل الاول : كتاب الطبقات فى رأى بعض
	النقاد المحدثين .
٢٠٣-٢١٤	الفصل الثاني : تقييم جهود ابن سلام النقدية
٢١٥-٢٢١	الخاتمة
٢٢٢-٢٢٧	فهرس المصادر والمراجع .

مقدمه

الحمد لله والصلاة على رسول الله • على الله نتوكل ومنه نستمد العون

• وبعد

فلعل من الواجب الملح أن يحظى تراثنا بالدراسة والتمحيق ، ذلك التراث الذى يشكل الأساس لثقافتنا المعاصرة والذى يعطينا صورة واضحة لثقافتنا فى عصورها الأولى ، والذى لا زالت بعض جوانبه الهامة فى حاجة الى دراسة وتحقيق •

ولعل من أهم المصادر الأولى للتراث كتاب (طبقات فحول الشعراء • لمحمد بن سلام الجمحي) الذى لم يحظ بعد بتحقيقه بدراسة تستخلص ما فيه من أسس ومقاييس خدمت النقد العربى ، وأعطت صورة لطبيعة التأليف فى عصورها الأولى •

ويمتد ابن سلام من السابقين حقا فى مجال التأليف ، وخاصة فى النقد الأدبى وضم كتابه صورة من صر! النقد الأدبى عند العرب • فهو بالاضافة الى أنه جميع الآراء المتقدمة والمعاصرة له فى كتاب إلا أنه صدر فى كتابه عن أسس هامة ومقاييس نقدية تجدر دراستها واطهارها •

لقد بدأ منطلقى فى البحث من هذه النقطة - فكتاب ابن سلام جدير بالدراسة خاصة وأنه من كتب التراث الأصلية التى خدمت أدبنا العربى دراسة

ونقدا •

ولقد كانت علاقتي بالكتاب قديمة منذ الدراسة الجامعية الأولى حيث استفدت منه في بعض البحوث الصغيرة — ثم تجددت هذه العلاقة قبل عام مضى ، عندما غيت بدراسة شعراء مكة في بحث أساسي •

وجدت أن الكتاب يضم آراء من النقد ، وأساسا يجب اظهارها بموضوعية ومنهج سليم ، ووجدت أن الدراسات النقدية التي غيت بدراسة ابن سلام في كتب النقد لبعض الباحثين كانت سطحية أكثر منها منهجية ورأيت أن بعضها قد نظر الى ظاهر الكتاب دون التعمق في خفايا مواضيعه •

ولما كان الأمر كذلك فقد رأيت أنه من واجبي أن أهتم بدراسة المقاييس النقدية التي تضمنها الكتاب على أساس من التعمق والاحاطة حتى تظهر جهود ابن سلام مكتملة واضحة •

ولقد لقيت في دراسة الموضوع صعوبة كبرى لسببين :

أولهما : أن كتاب ابن سلام لم يدرس على أساس واسع ، وانما عرض عرضا موجزا عند كل من كتب عنه من النقاد المحدثين — وهم قلة — كما أن الكتب القديمة لم تشر الى جهود ابن سلام بشكل يسهل معه تحديدها والاحاطة بها •

ثانيها : أن المصادر والمراجع التي تحدثت عن ابن سلام وتعرضت لمنهجه النقدية كانت من القلة والايجاز بحيث يصعب استخراج مادة منها تفي

بدراسة فصل واحد من فصول البحث .

ولذلك فإن — الموضوع — يعتبر جديدا وجديرا بالدراسة ، ووجدت أنه يلزمني لذلك قراءة كثير من كتب النقد حتى تتضح في ذهني الأسس النقدية العامة والمقاييس الفنية التي تخدم النقد العربي — وقد فعلت ، فرجعت الى كثير من الكتب التي ساعدت على توضيح المفهوم العام للنقد دون أن أنقل منها نصا يقيد الموضوع في ذاته فحسب . ثم درست الكتاب على ضوء ذلك دراسة شاملة في جميع النواحي ، وأحطت بنقد ابن سلام وحصرت أسسه ومقاييسه فظهر — الموضوع ظهورا واضحا وصلت معه الى النتيجة التي كنت أنشدها .

وقد مهدت للبحث بدراسة للنقد قبل ابن سلام أعطت صورة موجزة عن النقد العربي القديم وعن آراء العلماء الذين أخذ عنهم ابن سلام وأفاد من أحكامهم النقدية وطبقها على الشعراء في كتابه .

ثم نظرت في الكتاب فوجدت أنه يشتمل على نوعين من النقد .

أحدهما : النقد التوثيقي . حيث هدف ابن سلام قبل دراسة الأشعار وإصدار الأحكام الى توثيق تلك الأشعار توثيقا نقديا بحتا ، فدرست هذه الظاهرة

فى فصلين اشتمل عليهما الباب الأول ، وهما فصلا (الرواية والانتحال)
و (أولية الشعر العربى) .

ثانيهما : النقد الفنى ، وهو النقد الذى قسم ابن سلام الشعراء على
أساسه فى كتابه الى طبقات على أسس نقدية معينة . ثم تلك المقاييس النقدية
التي عامل بها الشعراء داخل الطبقة الواحدة .

وقد وجدت أن النقد الفنى ينقسم الى ثلاثة أنواع :

- أ - نقد عنى بدراسة الأدب من حيث هو وتقويمه وقدم وآخر الشعراء على
أساسه وحكم عليهم من خلال أشعارهم وأراء العلماء فيهم .
- ب - نقد عنى باللغة والألفاظ وما يتعلق بها ، وهو منهج عنى به العلماء
الذين أخذ عنهم ابن سلام .
- ج - نقد عنى بالعلوم العامة وتوضيح الأخطاء التي وقع فيها الشعراء
وهي تخالف الظواهر المألوفة والوقائع الثابتة .

وقد درست النقد الفنى فى الباب الثانى من البحث والذى اشتمل

على فصول أربعة :

- ١ - أسس التقسيم عند ابن سلام
- ٢ - تقسيم الطبقات باعتبارها عملا نقديا .

٣ - المقاييس النقدية

٤ - أنواع النقد الفنى فى كتاب الطبقات •

ومعد عرض نقد ابن سلام بنوعيه فى بابين ، رأيت أنه لابد من تقييم الكتاب ووجدت أن لبعض النقاد المحدثين آراء فى تقييم الكتاب ، كما أن لى آراء أيضا فى عمل ابن سلام فأفردت بابا عرضت فيه (القيمة النقدية لكتاب الطبقات) وجعلته الباب الثالث • واشتمل هذا الباب على فصلين هما (كتاب الطبقات فى رأى النقاد المحدثين) و (تقييم جهود ابن سلام النقدية) ثم ختمت البحث باستنتاج خلاصة •

وانى انرا أقدم بحثى هذا فى صورته التى وصل اليها فانى أرجو أن أكون قد وفقت فى هذه المحاولة لخدمة التراث • وأظهرت خصائص كتاب من أهم كتب النقدية المتقدمة ، وأن يكون هذا العمل مفيدا للدراسات النقدية ومضيفا اليها دراسة تخدم هذا الفن ولو بقدر معلوم •

واننى أقدم شكرى الجزيل الى سعادة الدكتور المشرف على الرسالة

(عبد الحكيم حسان) الذى لا أستطيع أن أوفيه حقه من الشكر مهما أثنت ••

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين •••

عبد الله عبد الكريم العبادى

مكة المكرمة

تمهيد

النقد قبل ابن سلام

لعل من المفيد ونحن ندرس (المقاييس النقدية عند ابن سلام) أن نمرورا سريعا على تطور صور النقد الادبي قبله . والتي بدأت محاولاتها الاولى منذ العصر الجاهلي . ذلك ان ابن سلام قد نقل شيئا من تلك الصور النقدية وعالج بعض قضاياها واعتمد عليها ، ونقل عن علماء عصره الكثير من نقده ، حتى ليظهر في كتابه جامعا ومنسقا بين تلك الآراء النقدية مفيدا منها . وهو وان سبق الى وضع كتاب في النقد فيما يبدو فانه لم يكن سابقا الى وضع الاحكام النقدية التي اوردها في كتابه ، ولا اول من تكلم في النقد الادبي .

لقد عرف العرب النقد منذ العصر الجاهلي وكان نقدا ذوقيا يعتمد اكثر ما يعتمد المظاهر الخاصة التي يلحها الناقد في الشعر ثم يتم تقييمها على اساس نقدي محض .

والاول ما ياتينا من صور النقد الجاهلي - حكومة ام جندب فهي^(١) إن صدقت القصة تدل على نقد ذوقي ذاتي يتناول المعاني المفردة فام جندب

(١) المرزباني . الموشح (المطبعة السلفية ط ٢ القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ) ص ٢٧-٢٨ . وشوقي ضيف . النقد : (القاهرة ١٩٦٤) ص ٢٠-٢٢

لم يرقها فى بيت امرئ القيس قوله :

فللجز الهوب وللحاق درة * وللسوط منه وتم اخرج مهذب

وترى ان الفرس الجيد لا يضرب ولا يزجر وانما يسبق طائعا مختارا

ولذلك اعجبها بيت علقمة الفحل :

فادركهن ثانيا من عنانه * يمر كمر الراح المتحلب

وشتان ما بين المعنيين * ففرس امرئ القيس سبق وهو مضروب

مزجور وفرس علقمة سبق وهو مثنى العنان وهذا نقد ذوقى اعتمدت عليه ام جندب

فى حكمها .

وانتقد طرفه بن العبد قول المسيب بن على (١) :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال وهو صبي يلعب مع الصبيان " استنوة الجمل " ذلك ان الصيعرية

لا تكون الا للناقصة .

وادرك الجاهليون عيوب الشعر فقد ذكر " ان النابغة الذبياني قدم

المدينة على الاوس والخزرج فانشدهم أبياته :

امن آل مية رائح او مفتدى * عجلان ذا زاد وغير مـزود .

زعم البوايح ان رحلتنا غدا * وبذاك خبرنا الغراب الاسود .

ومنها قوله :

(١) د . بدوى طبانه . دراسات فى نقد الادب (الانجلو مصرية سنة ١٩٦٥ م)

سقط النصف ولم ترد اسقاطه * فتناولته وابتتنا باليد .
 بمخضب رخص كان بنانه * غم يكاد من اللطافة يعقد .
 فقالوا : انك تكفى الشعر قال : وكيف ذلك ؟ فجعلوا يخبرونه وهو
 لا يفهم ما يريدون . فقالوا لجارية اذا صرت الى التافية فرتلى ، فلما
 قالت : الغراب الأسود . ويعقد وبالييد ومزود . علم فانتبه فلم يعد
 اليه وقال : قدمت الحجاز وفي شعري ضمه ورحلت عنها وأنا أشعر
 الناس ^(١) . وتنبه سودة بن ابى خازم الى اقواء اخيه بشر فقال له :
 " انك تقوى . قال : وما الاقواء ؟ قال : قولك .

الم تر ان طول الدهر يسلى * وينسى مثلما نسيت جـذام .
 ثم قلت :

وكانوا قومنا فبفوا علينا * فستناهم الى البلد الشام .
 فقال : تبينت خطائى ولست بعائد ^(٢) .

وكان الامراء الجاهليون انفسهم يصدرن احكاما على بعضهم البعض فقد
 " سئل الحطيئة من اشعر العرب ؟ فقال الذى يقول :

(١) المرزبانى الموشع ص ٣٦-٣٧ وقد نقل ابن سلام هذا الخبر فى حديثه
 عن عيوب الشعر ص ٦٧ .

(٢) د . بدوى طبانه . دراسات فى نقد الادب : ص ٤٩ .

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتقى الـثم يشـتم .

يعنى زهيرا . ثم سئل ثم من ؟ قال : الذى يقول :

من يسأل الناس يحرمه ————— * وسائل الله لا يخيب .

يعنى عبيد بن الأبرص . (١)

وقال لبيد : اشعر الناس ذوالقروح يعنى امرأ القيس . (٢)

ويروى ان النابغة استنشد لبيدا وهو غلام فأنشده قوله :

الم ترجع على الدمن الخوالى .

فقال له : يا غلام انت اشعر بنى عامر . زدنى فأنشده قوله :

طلل لخولة فى الرئيس قديم .

فضرب بيده على جنبه وقال : اذهب فانت اشعر قيس كلها (٣)

ومن صور النقد الادبى عند العرب فى الجاهلية ، ما كان يدور فى الأسواق

الادبية فقد كان النابغة حكم سوق عكاظ . تعرض عليه الاشعار . " أنشده

حسان :

لنا الجففات الغر يلعن بالضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما .

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق * فاکرم بنا خالا واکرم بنا ابنما .

(١) بدوى طبائه — دراسات فى نقد الأدب ، ص ٥٠

(٢) " ٥٠

(٣) " ٥٠ — ٥١

يُأخذ حسان على تقليله الجفان والاسياف وعلى الفخر بالولد بدلا من الوالد .

الناس (٣) وهى احكام وان خضعت لبعض التعليل لاقول الحطيئة فى زهير :

" ما رأيت مثله في تكفيه على اكثاف القوافي واخذه باعنتها حيث شاء من اختلاف

ممانیہا امتداحا وذا (۴) وكول ربيعہ بن حذار الاسدى فى شعر الزرقان

وعمر بن الاَهم والمخبل السعدى " أما أنت - يعنى الزبيرقان - فشمرك

كلحم اسخن لا هو انضج فاكل ولا ترك نيئا فينتفع به ء واما انت يا عمرو

فان شعرك كبرود حبر يتلألا فيها البصر • واما انت يا مخبل فان شعرك قصر

عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم وأما أنت يا عبدة فان شعرك كمزادة احكم

خرزها فليس تقطر ولا تمطر . " (٥) الا أنها احكام مطلقة عامة تعتمد على

د. اسحاق بن قنبر الأندلسي.

(۱) بدوی طبانه / ۵۱ و شوقی ضیف - النقد ص ۲۱-۲۲

(٢) بدوى طبانه - دراسات فى نقد الادب ٥٠ ، وابن سلام - طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود شاكر (مطبعة المدنى بمصر سنة ١٩٧٤) ص ٥٤ .

(۳) بدوی طبانه دراسات فی نقد الادب ص ۵ وابن سلام ص ۱۲۱.

• 5. 6 6 6 6 6. (5)

[illegible]

الدوق الفطرى وتتعلق ببعض المظاهر الشعرية وهى تفتقر الى النظرية

النقدية الفاحصة والدراسة الموضوعية الخاضعة للحجة والتعليل .

ثم جاء الاسلام بمبادئه الخالده وقيمه الساميه فوضع الشعر لتلك المثل

واخذ النقد وجها آخر فكان من ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله

عنه فى ثنائه على زهير " كان لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع وحشيه ولا يمدح

الرجل الا بما فيه (١) " ولعل فى مؤاخذته للحطيئة وسجنه اياه عندما

هجا الزبرقان فاستعدى عليه عمر رضى الله عنه (٢) ما يدل على تأثير الناحية

الدينية فى صدر الاسلام على الشعر والشعراء . واخضاع القواعد النقدية

الفنية للناحية الدينية .

فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه أخذ الشاعر على قوله : (٣)

" كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا "

وبين ان الافضل تقديم الاسلام على الشيب . وأنه لو فعل ذلك لأجازه .

وهذا يدل بلا شك على دور الناحية الاسلامية فى تنويم الشعر الى الاصوب

ولقد كان للخلفاء آراءهم النقدية فقد اثار عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أنه كان يستحسن بعض الشعر ويعجبه بعض الشعراء . فقد روى عنه أنه قال :

" أى شعرائكم يقول :

(١) ابن سلام ص ٦٩
(٢) ص ١١٦
(٣) بنت الشاطىء - قيم جديدة (ط دار المعارف بمصر ١٩٧٠) ص ٩١

فلست بمستبق اخا لا تلمه * الى شئت اى الرجال المهذب

قالوا : النابغة . قال : هو اشعرهم^(١)

وكذلك كان الخليفة الرابع على رضى الله عنه^(٢) .

ثم كان عصر بنى امية فتغيرت اساليب الحياة واخذت جانبا آخر وعادت العصبية القبلية واخذ الشعر طابعا مميّزا فلم الهجاء وتنافرت القبائل واتسم الشعر بالطابع الجاهلى — الا ما فيه من ذكر امور تتعلق بالعقيدة الاسلامية عرضا — وعم الترف فى قصور الخلفاء . فاخذوا يتفرغون للادباء والشعراء ، واخذت قصائد المدح ترد البلاط الاموى وتتزاحم عليه . فاهتم الناس بالشعر وتقويمه وبيان جيده من رديئه ونشأت المجالس النقدية^(٣) . وقد كانت تلك المجالس ذات اثر فى حياة النقد^(٤) . وصدرت فيها بعض الاحكام النقدية على الشعراء الا انها احكام^(٥) كانت مطبوعة بطابع العجلة والارتجال بما يرسل فيها من العبارات الموجزة غالبا^(٦) .

ولقد كانت مجالس الخلفاء اهم تلك المجالس وابرزها — وكان للخلفاء ذوق عظيم يحكمون به على الشعر فيستحسنون ويستهجنون . ولعل اشهر الخلفاء فى ذلك عبد الملك ابن مروان وله من المواقف النقدية ما لا يمكن حصره هنا

(١) ابن سلام ص ٥٦

(٢) كتب الدكتور بدوى طبانه فى كتابه دراسات فى نقد الادب فصلا عن النقد الاسلامى ، انظر الصفحات ٦٨ — ٨٨ .

(٣) د . بدوى طبانه . دراسات فى نقد الادب ص ٨٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٩٠ .

الا ان له بعض المواقف المشهورة . " سمر ذات ليلة وعنده كثير عزة فقال له

انشدنى بعض ما قلت فى عزه فانشده الى هذا البيت .

هيبت وهمت ثم هابت وهبتها * حياء ومثلى بالحياء حقيق .

فقال عبد الملك : اما والله لولا بيت انشدتنى به قبل هذا لحرمتك جائزتك

قال : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال : لانك شركتها معك فى الهيبة

ثم استأثرت بالحياء دونها . قال : فإى بيت عفوت به عنى يا امير المؤمنين

قال : قولك :

دعونى لا أريد بها سواها * دعونى هائما فيمن يهيم " (١)

" اجتمع فى مجلس عبد الملك جرير والفرزدق . فقال الفرزدق : النوار

بنت مجاشع طالق ثلاثا ان لم اقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة ان ينقضه ابدا

ولا يجد فى الزيادة عليه مذهباً فقال عبد الملك : ما هو ؟ قال :

فانى انا الموت الذى هو واقع * بنفسك فانظر كيف انت مزاوله .

وما احدى يا ابن الاتان بوائل * من الموت ان الموت لاشك نائله .

فأطرق جرير قليلاً ثم قال : ام حرزه طالق منه ثلاثا ان لم اكن نقضته وزدت عليه

فقال عبد الملك : هات . فلقد طلق احد كما لا محالة فانشد :

انا البدر يغشى نور عينيك فالتمس * بكفيك يا ابن القين هل انت نائله

انا الدهر يغنى الموت والدهر خالد * فجئنى بمثل الدهر شيئاً يطاوله

(١) د . بدوى طابانه . دراسات فى نقد الادب ص ٩١

فقال عبد الملك : فضلك والله يا ابا فراس وطالق عليك" (١)

وفضل عبد الملك جريرا على صاحبيه الفرزدق والأخطل لقوله - وقد جمل

جائزة لمن يخلب .

أنا الموت الذى أتى عليكم * فليس لهارب منه نجاء .

وقال : خذ الكيس فلمهرى ان الموت يأتى على كل شىء .

ولام الأعشى فى قوله :

أتانى يؤمرنى فى الصبح ليلا فقلت له : غادها .

فقال عبد الملك : اساء . الا قال : هاتها ؟! (٢)

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك عالما بالادب محبا لاهله ، وكان يسال عن الفحول

من الشعراء (٣) ويحكم فيهم .

وفى الحجاز كان هناك نقد فنى ، وكانت هناك مجالس ادبيه يرتادها

الشعراء يتحاكمون فيها . وكان اشهرها مجلس سكينه بنت الحسين " كانت

تقدم للرجال ويفشى ناديمها الشعراء ، فقالت يوما لكثير عزة : انت القائل :

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يعم الندى جثائها وعرارها .

باطيب من اردان عزة موهنا * وقد اودت بالمندل الرطب نارها .

(١) د . بدوى طبانه . دراسات فى نقد الادب ص ٩٢ .

(٢) د . بدوى طبانه . دراسات فى نقد الادب ص ٩٣ . وسها اخبار اخرى عن

عن عبد الملك وقد نقل ابن سلام شيئا من نقد عبد الملك فى كتابه

(٣) د . بدوى طبانه . دراسات فى نقد الادب : ص ٩٤ .

أى زنجية منتنة تبتخر بالمندله الرطب الا طاب ريحها • الا قلت كما قال -
سيدك امرؤ القيس •

الم تر انى كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب (١)
وقال كثير بعد وصفه للمطر :

وهبت لسعدى ماءه ونباته * كما كل ذى ود لمن ود واهب •

لتروى به سعدى ويروى صديقها * ويفدق اعداد لها ومشارب •

فقال سكينة : اتهب لها غيثا جعلك الله والناس فيه اسوة ؟ • فقال : يا بنت

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفت غيثا فاحسنه ، وامطرته ، وابنته ، واكملته ،

ثم وهبته لها • فقالت : فهلا وهبت لها دنانير ودراهم •••

ويتحاكم اليها الشعراء فى مجلسها فتحكم بينهم وتبين المآخذ عليهم (٢) وكان الشعراء
انفسهم ينقد بعضهم بعضا • وقد استمر النقد على هذه الصورة حتى اواخر القرن

الاول الهجرى • وجيم الاحكام النقدية الصادرة فى العصر الاسلامى

انما هى احكام قائمة على الذوق الذاتى ونقد بعض الالفاظ والمؤاخذات العامة

فى المعانى او المعارف العامة ، وهى احكام لا تخضع لمقاييس نقدية قائمة على

دراسة وتعليل وانما استحسان واستهجان لسبب ظاهر لا غير •

واذا تجاوزنا اواخر القرن الاول الهجرى الى ما بعده حتى منتصف القرن

الثانى وجدنا للعلماء اللغويين مواقف نقدية جمعت بين نقد الالفاظ ، ونقد

(١) د • بدوى طابانه • دراسات فى نقد الادب : ص ٩٥

(٢) المرزبانى • الموشع ص ١٤١ وانظر ص ١٤٤ ص ١٥١ ، ص ١٥٣ •

النحو ، ونقد الشعر ، فقد وازنوا بين الشعراء ، وتفرغ علماء لجمع الشعر ، وتحملوا ذلك بكل شغف ، وكان على رأس هؤلاء الأصمعي ، وأبو عمرو بن العلاء والمفضل الضبي^(١) وكان من بينهم عيسى بن عمرو ، وعبد الله بن أبي اسحق ، ويونس بن حبيب وأبو عبيدة ، وقد فقدوا الشعراء وأخذوهم على أخطائهم اللغوية اللفظية والنحوية ، وسينوا المآخذ مشفوعة بالحجة^(٢) فأخذ النقد بذلك طريقا آخر نحو الموضوعية والتحليل العلمي القائم على أسس فنيــــــــــــــــة قائمة على الاستقراء والتقصي والاستنباط .

لقد أخذ ابن سلام عن بعض هؤلاء العلماء آراءهم النقدية ، وأحكامهم ، ونقل شيئا من مناقشا تهم ، وجعل ذلك أساسا اعتمد عليه في تقسيمه الشعراء الى طبقات ، ومفاضلته بينهم واظهار محاسن الشعر ومعانيه ، وكان أشهر من نقل عنهم : أبا عمرو بن العلاء ، والأصمعي ، ويونس بن حبيب ، وأبا عبيدة^(٣) فأبو عمرو بن العلاء له مواقف نقدية تدل على اتخاذ النقد مسلكا موضوعيا قائما على الحجة والتعليل ، يختلف عما سبق عند الجاهليين وصدر الاسلام وما كان عليه النقاد قبله . فنراه يقول " أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصحة من أبيات .

-
- (١) انظر طه ابراهيم : تاريخ النقد الادبي عند العرب (دار الحكمبيروت) بدون تاريخ (ص ٣٤ - ٥٤)
 (٢) انظر شيئا من ذلك في د . بدوي طبائنه . دراسات في نقد الادب : ص ١٠٠ - ١٤٣ وطه ابراهيم - تاريخ النقد الادبي عند العرب : ص ٥١ وما بعدها .
 (٣) قال ابن سلام في كتابه آراء عدد كثير جدا من العلماء (انظر مقدمة محمود شاكر : ص ٣٥ وما بعدها ولكن أشهر العلماء هؤلاء الاربعة .

يفار علينا واترين فيشتفى * بنا ان اصبنا او نخير على وتر

بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة * فما ينقضى الا ونحن على شطر

وكان يستجيد قصيدة المثقب العبدى التى يقول فيها :

فاما ان تكون أخى بحق * فأعرف منك غنى من سمينى

والا فاطرحنى واتخذنسى * عدوا أتيتك وتتقينى

ويقول : لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس ان يتعلموه " (١)

يقول طه ابراهيم عن هذه الابيات : انها من النقد الفنى الذى

يتصل بعناصر الجمال فى الادب (٢) . ويقول ابو عمرو بن العلاء عن شعر ذى

الرمة : " انما شعره نقط عروسى تضحل عما قليل ، وابعار ظباء له اشم

فى اول شمها ثم تعود الى ارواح الابعار " (٣) . فهو يريد ان يقول : ان

شعره حلو اول ما نسمعه ، فاذا كررت انشاده ضف . يريد انه غير

خصب ولا قوى ولا عميق الاثر فى النفس ، وانما هو كالشمس البراق يعطى دفعة

واحدة كل ما قاله رواء . وهذا تحليل دقيق للصياغة والاعريض والشعور .

(٤) والمعانى وملاءمتها للحياة الاجتماعية .

لقد تنبه ابو عمرو بن العلاء الى اهمية جودة الشعر فنقل عن جرير

(١) طه ابراهيم ص ٥٧

(٢) " " ص ٥٧

(٣) " " ص ٥٨

(٤) " " ص ٥٨ - ٥٩ وقد نقل ابن سلام رأى ابى عمر هذا فى كتابه

قوله : لو غرسنا الرمة بعد قصيدته .

" ما بال عيذك منها الماء ينسكب " كان أشعر الناس (١)

وفطن الى أثر البيئة في الشعر فقد " سئل كيف موضع عدى بن زيد في الشعراء ؟

قال : كسهيل في النجوم يعارضها ولا يدخل فيها . . وفي رواية ولا يجـرى

مجراها . . . يعني انه يشبه بها ويقعد به عن شأوها الفاظه الحيرية ، وأنها

ليست بنجدية (٢) وتعرض للنقد النحوى فقال : " عمر بن أبى ربيعة حجة

في العربية ، وما تعلق عليه الا بحرف واحد قوله :

ثم قالوا تحبها قلت بهـرا * عدد القطر والحصى والـستراب

وكان ينبغى أن يقول : (أتحبها) لأنه استفهام (٣)

وتعرض للنقد المتصل بالواقع " قال الأصمى : قرأت على أبى عمرو بن

الملاء شعر النابغة الذبياني فلما بلغت قوله :

" مقدوفة بد غيس النخض يازلها * له صريف صريف القمح بالمسـد

قال لى : ما أضر عليه في ناقتة ما وصف ، فقلت له : وكيف ؟ قال :

لأن صريف الفحول من النشاط ، وصريف الاناث الاعياء والنـجر ، كذا تكلمت

العرب . . . ألم تسمع قول رؤبة ؟

" كناز البضيع جماليـة * اذا ما بغمن تراها كنومـا

(١) المرزبانى : الموشح : ص ١٥٦

(٢) المصدر السابق : ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٨٢ .

وكما قال الاعشى :

كسوم الرغاء اذا هجرت * وكانت بتيسة ذودكستم^(١) .

وأشار الى السرقات فقال : " لتيت الفرزدق في المريد قتلت : يا ابا فراس

أحدثت شيئا . قلت شيئا ؟ . قال : فقال : خذ . ثم أنشدني :

كم دون مية من مستعمل قذف * ومن فلاة بها تستودع الميسس

قال : فقلت : سبحان الله هذا للمتلس . فقال : اكتمها فليضوال الشعر

أحب الى من ضوال الابل^(٢)

وقد تحدث أيضا عن عيوب الشعر كاقواء النابغة^(٣) وادواء بن أبي خازم^(٤)

وكان عالما بأسرار العربية : " لما قال ذو الرقة يمدح بلالا :

رأيت الناس ينتجمعون غيثا * فقلت لصيدح انتجى بلا لا .

قال بلال : يا غلام اعلف ناقته فانه لا يحسن أن يمدح ، فلما خرج قال له - ابو عمرو

بن الملاء - وكان حاضرا هلا قلت . انما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها ، كما قال

الله عز وجل : (واسأل القرية التي كنا فيها) يريد أهلها . وهلا أنشدته

قول الحارثي :

وقفت على الديار فكلتني * فما ملكت مدا معها القلوصي

(١) المرزباني : الموشح : ص ٣٩ - ٤٠

(٢) " " : ص ١٠١

(٣) المصدر السابق : ص ٣٦

(٤) المصدر السابق : ص ٥٤

يريد صاحبها . فقال ذو الرمة : يا أبا عمرو أنت مفرد في علمك وأنا في علمي ،
وشعري ذو اشباه " (١)

وقد قسم الشعراء ثلاثة : شاعرا ، وشمرورا وشويعرا (٢) وهذا تقسيم نقدي
قائم على تقييم الشعر والحكم على قائله بواحد من هذه الأوصاف تبعا لذلك .
وعلى هذا النحو كان النقد عند الأصمعي . الا انه تنبه الى امر نقدي هام
وهو فحولة الشعراء وقد ألف فيها كتابا لعله اقدم الآثار التي نجد فيها
آراء في الشعر والشعراء (٣) لقد اهتم الأصمعي بالفحولة . وبين ان من
الشعراء من هو فحل ، وشبه من ليس بفحل ، وجعل الفحولة أساسا للشهرة
والتقديم ، ورأى ان الشاعر لا يكون فحلا الا اذا حفظ الشعر ، واتقن
العربية ، واتبع اسلوب العرب وما اتفقوا عليه ولم يخرب عن ذلك (٤) وقد اعتمد
ابن سلام اساس الفحولة هذا وان كان قد خالف فيه الأصمعي ، الا انه قد
جعله اساسا لاختيار الشعراء في كتابه فجميع من عداهم من الفحول .
والى جانب " الفحولة " فان للأصمعي آراء في النقدية فقد " سئل

عن قول الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخرا * واذكره لكل غروب شمس .

لم خصت طلوع الشمس وغروبها دون اثناء النهار؟ فقال : لان وقت الطلوع وقت

(١) المرزباني . الموشح : ص ١٦٣

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢٣

(٣) د . بدوي طيبانه . دراسات في نقد الادب : ص ١٣٢ . وانظر احسان عباس : تاريخ
النقد الادبي عند العرب (دار القلم بيروت ١٩٧١) ص ٥١ - ٥٤ فقد شرح

مفهوم الفحولة عند الأصمعي وانظر فصل المقاييس النقدية من هذا البحث .
(٤) د . احسان عباس . تاريخ النقد الادبي : ص ٥١ - ٥٤

الركوب الى الفارات ووقت الغروب وقت قري الضيفان ، فذكرته في هذين
الوقتين مدحا بأنه كان يغير على أعدائه ويقرى اضيافه ^(١) . فهذا ادراك من
الاصمى لعلاقة الالفاظ بالمعاني . فهنا علاقة بين كلمتي (طلوع) و (غروب)
وبين المعنى الذي ارادته الخنساء .

وقد كان الاصمى عالما بالشعر وتاريخه يقول : ^(٢) اول من تروى له
كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهلهل ، ثم ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم
ثم ضميره رجل من بني كنانة والاضبط بن قريص . وكان بين هؤلاء وبين الاسلام
اربعمائة سنة ، قال : وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير ^(٣)

وبين الاصمى ان المدارس هي اساس العلم قيل له : " كيف حفظت
ونسى اصحابك ؟ . قال : درست وتركوا " ^(٤) وهذا اخذ ابن سلام حيث
قال : " وان المدارس للشيء لتعدى على العلم به " ^(٥)

ولقد فاضل الاصمى بين الشعراء وقارن بينهم ، يقول : طفيل
القنوى اشبه بالشعراء الاولين من زهير ، وقال : طفيل القنوى
في بعض شعره اشعر من امرئ القيس ^(٦) . وكان الاصمى يتأثر ويغضب من هزيل
الشعر ورديثه . " عرض عليه رجل ببغداد شعرا رديئا فبكى الاصمى
فقيل له : ما يبكيك ، قال : يبكينى انه ليس لخريب قدر ، لو كنت ببليدى

(١) اسامة بن منقذ . البديع في نقد الشعر : (مصر سنة ١٩٦٠) ص ٥٧ .
(٢) ثعلب . مجالس ثعلب : " دار المعارف سنة ١٩٦٠ م " ج ٢ : ص ٤١١-٤١٢
وقد نقل ابن سلام مقدمة هذا الخبر .
(٣) المرزبانى ص ١٦٩
(٤) ابن سلام ص ٦-٧
(٥) المرزبانى . الموضح : ص ٣٢

(١)

بالبصرة ما جسر هذا الكشحان أن يعرض على هذا الشعر واسكت عنه
وكان يشنى على جيد الشعر، قال : " شعر لبيد كأنه طيلسان طبرى — يعنى انه جيد الصنعة
وليست له حلاوة " وهو يذكر شعر لبيد للجودة فقط ، ولذلك انتقد شعر

ذى الرمة فقال : " لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره

فكان ذلك خيرا له . وقد انكر قول ذى الرمة .

(٣)

الاياسلى يادارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر " .

وبين أن من عوامل تقديم الشاعر أن لا يسلك طريقا فى شعره كثر سلوكه

سئل : " أباشار أشعر أم مروان ؟ " فقال : بشار أشعرهما ، قيل : وكيف

ذاك ؟ قال : لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه ، وأن بشارا

سلك طريقا لم يسلكه أحد فأنفرد به وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون شعر وأقوى

على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعا ومروان أخذ بمسالك الأوائىل " (٤) وقد تعرض

لمقياس الكثرة ليصبح به الشاعر فحلا ، وهو مقياس أخذ به ابن سلام لتفضيل الشاعر

وتقديمه .

فقد سئل الأصمعى عن عدو من الشعراء أمن الفحول هم ؟ . فبين أن —

بعضهم فحلا وبعضهم ليس بفحل (٥) تبعا لذلك .

(١) المزنياني . الموشح / ص ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق / ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق / ص ١٦٨ . وهذا البيت معيب لأنه دعا على الداران —

(٤) تفرق بكثرة المطر / المصدر السابق / ص ٢٢٨ .

(٥) المصدر السابق / ص ٧٣ .

ونذكر - مقياس اللين - وان الشعر اذا ادخل في طريق الخير لان . قال :
 " وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان ، الا ترى ان حسان بن ثابت
 كان علا في الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مرائى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر وصحبه رضوان الله عليهم وغيرهم
 لان شعره . . . وطريق الشعر طريق الفحول ، مثل امرئ القيس وزهير
 والنايفه ، من صفات الديار والرحل ، والهجاء والمدح والتشبيب بالنساء ،
 وصفة الخمر والخيال والافتخار فاذا ادخلته في باب الخير لان ^(١) " وأشار
 ايضا الى لين شعر النايفة ^(٢) .

وتنبه الى اثر البادية في الشعر وان شعر البادية يحتج به . قال : ذو
 الرمة حجة لانه بدوي ^(٣) وقال : كان الكميث بن زيد معلما بالكوفة فلا يكون
 مثل اهل البدو ، وكان ذو الرمة معلما بالبدو وكان يحضر اليمامة والبصرة وكانا
 جميعا يستكرهان الشعر وكان ذو الرمة احسن حالا من الكميث ^(٤)

وتعرض للسرقات الشعرية والانتحال قال : تسعة اعشار شعر الفرزدق ، سرقه
 وكان يكابر واما جرير فما علمته سرق الا نصف بيت ^(٥) وقال : " ان كثيرا ممن
 شعر امرئ القيس ليس له وانما هو لفتيان كانوا يكونون معه ، مثل عمرو بن قميئة
 وغيره ^(٦)

-
- (١) المرزباني . الموشح : ص ٥٩
 (٢) " " : ص ٥٩
 (٣) المرزباني . الموشح : ص ١٥٥
 (٤) المصدر السابق : ص ١٥٦
 (٥) المصدر السابق : ص ٩٦
 (٦) المصدر السابق : ص ٣٢

وقال في شعر الأغلب المجلى : " اعيانى شعره ما ادرى للأغلب الا

اثنتين ونصف ، والنصف هو من التى على القاف فطولوها " (١)

ونقد الأصمى الألفاظ " سمع شعرا سحق الموصلى فى غضب المأمون عليه

يا سرحة الماء قد سدت موارده * أما اليك طريق غير مسدود .

لحائم حام حتى لا حيام به * محلا عن طريق الماء مطرود .

فقال الأصمى : أحسنت فى الشعر ، غير ان هذه الحاء آت لو اجتمعت

فى آية الكرى لحابشها " (٢) وقد تعرض لملاءمة الألفاظ للمعاني فانتقد رؤية

لقولة :

"يهوين شتى ويتمن وقفا"

(٣)

لان الجياد لا تنع حواغرهما معا ، واذا وقمن وقفا فكانه يغير ليس يسبح .

وله مواقف نقدية جمّة يتعلق النقد فيها بالألفاظ ، والنقد العلمى (٤) وكان له

دور نقدى لغوى فقد خطا الكميت فى قوله :

" ارعد وأبرق يا يزيد فما وعيدك لى بضائر . . "

(١) المرزبانى . الموشح : ص ١٩٣

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧١

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٨

(٤) المصدر السابق : ص ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ١٤٢

لان ارعد وأبرق خطأ عنده والصواب رعد وبرق (١) . كما نقل عن ابي عمرو بن
العلاء آراء الغوية (٢) .

وقد تمرن للفنون الشعرية فقد سئل عن كعب بن سعد الغنوى أقبل هو قال :
" ليس فى الفحول الا فى المراثيه فانه ليس فى الدنيا مثلها " (٣) وقال : " لم يكن
النايفة وزهير وأوس يحسنون وصف الخيل ولكن طفيل الغنوى فى صفة الخيل
غاية فى التمت " (٤) وذكر أن تأخر ذى الرمة عن اللحاق بالفحول لتجافيه عن المدح
والهجاء ، واقتصاره على الرسوم والديار (٥) وإلى جانب ذلك فقد ادرك اختلاف
الشعر ، فهو يقول : " انما كثير صاحب كريج - يعنى الحانات بالفارسية -
بييع الخط والقطران " (٦)

(٧)
وقد تحدث عن عيوب الشعر ، كما نقل عنه ابو عبيده .

وكان الأصمى من العلماء الذين يمدحون الشعر القديم ، ويحتقرون المحدث
لا لشيء الا لحدثه فقط . فقد قال : " بشار خاتمة الشعراء والله لولا ان ايامه
تأخرت لفضلته على كثير منهم " (٨)

-
- (١) المرزبانى . الموشح : ص ١٧٨
(٢) المصدر السابق : ص ١٦٥
(٣) المصدر السابق : ص ٧٣
(٤) المصدر السابق : ص ٣٩
(٥) المصدر السابق : ص ١٥٧
(٦) المصدر السابق : ص ١٣٣
(٧) المصدر السابق : ص ١٤
(٨) ابو الفرج الاصفهانى . الاثنانى (طبعة دار الكتب المصرية (مصورة) ج ٣
: ص ١٤٣ - ١٥٠ .

أما أبو عبيدة ويونس فلم يخرججا عن دائرة النقد عند الاضمحلال ،
 وأبى عمرو بن الحلاء ، فقد نقلنا عنهما أكثر ما ورد لهما من آراء نقدية .
 تحدث أبو عبيدة عن عيوب الشعر (١) ، وعن النقد المتصل بالواقع وذكر قصة
 طرفه والمسيب بن علس (٢) كما ذكر قصة انتحال الفرزدق شعر ذن الرمة (٣) ،
 وتحدث عن السرقات (٤) ، وكانت له آراؤه النقدية فقد قال : " ما يجد علسي
 جرير من أفن شعره قوله لبشر بن مروان :

قد كان حقك أن تقول لبارق * يا آل بارق فيم سبب جرير
 فجعل بشر بن مروان رسولا (٥) .

وسئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ؟ فقال : هل قال جرير
 للفرزدق الا في ثلاثة أنواع : الزبير ، وجعثن ، والقين والفرزدق فيسه
 مائة نوع (٦) .

وروى عن اسحاق الموصلي قوله : " انشدت أبا عبيدة أبياتا لبعض القدماء
 فقال : اترى فيها مثلا أو معنى حسنا ؟ قلت : لا ، فقال : من جعلك
 حامل أسفار " (٧) .

(١) المرزبانى . الموشح : ص ١٤ ، ١٨ ، ٣٦

(٢) المصدر السابق : ص ٦٩

(٣) المصدر السابق : ص ٩٢ - ٩٨

(٤) المصدر السابق : ص ٤٣

(٥) المصدر السابق : ص ١٠٨

(٦) المصدر السابق : ص ١١٠

(٧) المرزبانى : ص ٣٢٢

وقال عن ابي نواس : " هو بمنزلة بان كملت آله ونقص بناؤه ، وكان ينبغي
ان يكون بناؤه أجود " (١)

اما يونس فقد بين ان اهون عيوب الشعر الزحاف (٢) كما تحدث عن الاقواء (٣)
وكانت له مواقف نقدية .
" جاءه مروان ابن ابي حفصه فقال : اصلحك الله انى ارى اقواما يقولون
الشعر لان يكشف احدهم عن سوءته فيمشى فى الطريق احسن به من ان يظهـ
ر مثل ذلك الشعر . وقد قلت شعرا اعرضه عليك فان كان جيدا اظهرته
وان كان رديئا سترته وانشده :

" طرقتك زائرة فحيى خيالها "

فقال له : يا هذا اذهب فاطهر هذا الشعر فانت والله فيه اشعر من الاعشى
يريد قوله :

" رحلت سمية غدوة اجمالها " (٤)

لقد جمع ابن سلام هذه الآراء النقدية كلها وجعلها اساسا اختار عليها الشعراء
فى كتابه وقاضل بينهم ، وأشار الى آراء هؤلاء العلماء ومن تقدمهم فى عصر
الجاهلية والاسلام وجعل مرد التفضيل والتقديم راجعا لآرائهم النقدية كما
رسم ذلك فى مقدمته .

أن ابن سلام فى كتابه - طبقات الشعراء - قد اتخذ تلك الآراء والاحكام

(١) المرزبانى . الموشح : ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٠ .

(٤) المصدر السابق : ص ٥٠ .

فيصلا فيما يقول ، واستخلص منها مقاييسه النقدية التي جعلها مدار التفضيل
بين الطبقات وبين الشعراء أنفسهم ، وبنى اختياره للشعراء في كتابه على
الفحولة التي حدد الاصمعي طريقها من قبل .

لقد جمع ابن سلام هذه الآراء ونسقها وأعادها شكلا منظما فبوب عليها الكتاب
ورتب الشعراء وفصلهم بين جاهليين ولاميين وشعراء فن شعري وبيئة وديانة
واعطى النقد العربي صورة منظمة تختلف عن تلك الآراء الفردية المبعثرة ، فاشتمل
كتاباه على الأحكام النقدية والمقاييس الفنية والأسس التي بنى عليها تفضيله .

وهو وان اعتمد على آراء سابقة إلا أن له أيضا آراءه الأصلية التي
أتى بها من عند نفسه فأعطت مع آراء السابقين عملا نقديا ظهر في كتاب طبقات
الشعراء الذي يرسم صورة للنقد حتى أوائل القرن الثالث الهجري ، كما سيتضح
فيما يلي من فصول .

الباب الاول

النقد التوثيقى عند ابن سبلا

(الفصل الاول)

الرواية والانتحال

يعتبر كتاب طبقات فحول الشعراء أحد الكتب النقدية المقدمة ، وقد عالج فيه مؤلفه قضايا نقدية على أسس محددة ، ومن بين هذه الأسس توثيق المادة الأدبية التي كان يصدد نقدها ،

ويعتبر النقد التوثيقي الذي تناوله ابن سلام أحد النواحي الهامة التي ظهرت في الكتاب ، فعندما تعرض ابن سلام لنقد الشعر ، كان من بين هذا الشعر شعر جاهلي وصل الى العصر الاسلامي عن طريق الرواية الشفهية اساسا . مما دعا الى التشكيك في صحة قدر كبير منه ، ولذلك أراد ابن سلام ان يوثق الاشعار لتكون احكامه النقدية قائمة على اساس من الصحة ولكنه بذلك اراد ان يضع قدميه على ارض صلبة ، وان ينظر في هذا التراث على اساس متين من الموضوعية يقوده الى النقد السليم .

اهتم ابن سلام بالتوثيق ، فتعرض لقضية الرواية واثرها في الادب العربي . وناقش قضية الانتحال ، واستطاع بعد هذه الدراسة ان يخرج بنتيجة هامة تتمثل في وضع لبعض المقاييس لتمييز صحيح الشعر من فحوله ، لياخذ بذلك كل ناقد للادب العربي ويفيد منه ، فكانت دراسة ظاهرة الرواية والانتحال عند ابن سلام دراسة نقدية توثيقية تضع جدا للتشكيك في التراث الادبي .

ولم يفت ابن سلام بعد ذلك أن يؤرخ لأولية الشعر العربى ، مطبقاً
فى ذلك طريقته التوثيقية بطريقة نقدية تتسم بالموضوعة والدقة ، وتدعمها
الأدلة النقلية والمقلية .

ولعل فى دراسة النقد التوثيقى عند ابن سلام وفى بيان منهجه الذى
اتبعه فى هذه الدراسة ما يرد على الدعوى التى
أثيرت حول كتاب (طبقات فحول الشعراء) من أنه كتاب فى تاريخ الأدب ،
وليس فى النقد الأدبى .

كانت الرواية هى مصدر الأدب العربى منذ نشأته الاولى — كما يقرر ذلك
المؤرخون — فقد كان العربى فى أول أطوار الأدب يقول الشعر أو النثر
حين يعرض له لا يهتم بحفظه وتدوينه ، لان التدوين لم يكن معروفاً
ولم تكن أدواته ميسرة كما كانت عليه الحال فى القرن الثانى للهجرة مثلاً .
لقد كان العربى بسليقته يحفظ ما يقول ، ملكة وهبها الله له ، ذلك
" أن ذاكرة العرب الفضة فى الزمن القديم كانت أقدر قدرة لا تحد على
الحفظ والاستيعاب من ذاكرة العالم الحديث " . (١)

ولما انطلق هذا الأدب فى الصحارى ، تناقله الناس من بيت الى بيت

(١) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى (طبع دار المعارف سنة ١٩٦٨) ص ٦٥

ومن مكان الى مكان عن طريق الرواية ، يرويه شخص لشخص أو قوم لقوم
حتى يشيع ذكره في كل مكان .^(١)

ولنتقصر على بعض أدلة نبين منها أن الرواية كانت المصدر الأول للشعر
العربي وأهم أسباب ذيعه وانتشاره بشكل واسع ، فقد لازمت الشعر في المراحل
الأولى من تاريخ الأدب ، بل كانت مقصورة عليه ، قال محمد بن المنكسر ،
" ما كنا ندعو الرواية الا رواية الشعر " .^(٢)

وكان رواية الشعر يحفظ الشعر ثم ينقله وينشده فينتشر بين الناس ، وكان
العربي يهتم بالشعر وسماعه حتى تفرغ له راحة وحفاظ معروفون .

وقد ذكر الشعراء أنفسهم ذلك في أشعارهم . وتعرضوا لدور الرواية
في نشر الشعر . يقول النابغة :

السكنى يا عيين اليك قولاً * ستهديه الرواة اليك عني^(٣)

وكانت الرواية تشبه النشر في العصر الحاضر ، إذ لا يملكه صاحبه بمجرد
نشره فهو حق للناس يقرؤه من يشاء . فما أن يقول الشاعر قصيدته حتى
يتناقلها الرواة وسمعها الناس ولا يخضع ذلك لموافقة أو رفضه بل قد

(١) عرف الدكتور ناصر الدين الأسد الرواية في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي)
بأنها : " بمدلولها المعنى الأدبي طور لغوي متأخر سبقة فيما نرى
طور ذودلالة مادية حسية نحسبها كانت في بدء أمرها محصورة
فيما يتصل بالماء من اناء يحمل فيه كالمزادة . ومن حيوان يحمل عليه كالبعير
ومن انسان يحمله مستقيا أو متحمدا دابة السقاية " انظر : ناصر الدين
الأسد - مصادر الشعر الجاهلي (طبع دار المعارف المصرية سنة ١٩٦٢ م)
ص ١٧٨ و ص ١٨٩ . (٢) ناصر الدين الأسد . ص ١٨٩ .
(٣) ناصر الدين الأسد ص ١٨٨ .

يسرّوه نقلها ، لأن ذلك لم يعد بإمكانه إعادته أو التلّوه ، يقول غيرة

بن جعل :

ندمت على شتم المشيرة بعدما * مضت واستتبت للرواة مذهبـه

فأصبحت لا أستطيع فعل الماضـى * كما لا يردّ الدر في الضرع خالبـه (١)

وكان الشاعر يحب أن تنقل الرواة شعره ، فيحاول أن يقول ما يستحليه

الرواية ، يدل على ذلك قول حميد بن ثور :

لأعترضن بالسهل ثم لأحدون * قصائد فيها للمعاذير زاجر

قصائد تمتلحى الرواة نشيدها * ويلهبونها من لاعب الحى زامر (٢)

كما كان الشاعر يمدح الشعر بقدر ما تنقله الرواة ، يقول جرير :-

وعاوى من غير شئ رميته * بقافية أنفاذا تقطر الدما

خروج بأقواء الرواة كأنهمـا * قرى هند وانى اذا هز صما (٣)

وكان بعض الرواة لا يقصر روايته على شعر شاعر واحد ، بل كان يتسلف

الشعار من أقواء الشعراء لينقلها الى الناس وكان الشاعر نفسه يعلم ذلك

ويعد له المدة (٤) فأخذت الرواية بذلك تشكل أهمية كبرى باعتبارها مصدرا من

(١) ناصر الدين الأسد ص ١٨٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٨ ، ابن قتيبة - الشعر والشعراء . تحقيق أحمد

شاكر (ط . دار المعارف سنة ١٩٦٤) ج ٢ : ص ٦٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٢ .

(٤) طه إبراهيم ص ٥٤ .

• مصادر الشعر الأولى •

ثم تطورت الرواية • وأصبح هناك رواة محترفون • بل منقطعون إلى الرواية عرفوا بهذا الاسم • وهم في تاريخ الأدب كثير • وأصبح لكل شاعر راوية — يلازمة وينقل أشعاره إلى رواة آخرين ^(١) • وإلى الناس جميعا فقد روى " أن — الأعشى كان راوية لخاله المسيب بن علس يأخذ منه " ^(٢) وأن أبا ذؤيب الهذلي كان راوية لساعدة بن جؤبة الهذلي ^(٣) وقد عرض الأصفهاني لأمثلة كثيرة ^(٤) من ذلك •

من هنا نرى أن الرواية كانت مصدر الشعر الأول • وكانت ظاهرة ثابتة معروفة لدى الشعراء والمجتمع العربي الأول جميعه • ولا أريد بهذا أن — أنقض أقوال من يرى أن الكتابة كانت مصدرا من مصادره الأولى ^(٥) فقد كانت الكتابة العربية للتدوين ضحلة وكان الاعتماد على السماع والرواية — الأساس الأول لنقل التراث جميعه ومن هنا عرف في تاريخنا رواة الشعر —

- (١) بر وكلمان ج ١ / ص ٦٥
- (٢) الأصفهاني : ص ٤٧ •
- (٣) ابن قتيبة ج ٢ / ص ٦٣٥
- (٤) أبو الفرج الأصفهاني — ج ٨ ص ٩١ •
- (٥) ذكر الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه (مصادر الشعر الجاهلي) " أن الكتابة كانت مصدرا هاما عند العرب منذ نشأة الشعر • وذلك على ذلك بأن الكتابة عرفت عند العرب قديما متمثلة في النقوش العربية ومدارس الكتابة في القرى العربية (١٠٧) " • لا أوافق في ذلك فلم تكن الكتابة العربية من السهولة في العصور الأولى بحيث يدون بها كل ما يقوله العرب من أشعار وأبسط صور هذا التذليل أن العرب كانت تكتب على جلود الحيوانات فكيف يدون هذا التراث الفخم من الشعر ؟ وأسواق العرب في الجاهلية خير دليل على كثرة تراثهم وضخامته • أما الكتابة التي دليل التاريخ على وجودها فلا يصدق عليها كتابة تكفل حفظ التراث وتداوله جميعا • أما أن — الكتابة عرفت عند العرب في حدود معينة فهذا لا شك فيه •

ورواة الحديث (١) وقد أدرك ابن سلام دور الرواة وتحدث عنهم (٢) .

ولما كانت الرواية تقوم على المشافهة وكانت هي المصدر الأول من بين مصادر

الشعر العربي فقد تعرض ذلك الشعر معها لظاهرتين هامتين :

الاولى : ضياع بعض الشعر العربي .

والثانية : تعرضه للانتحال والوضع .

ولم يغفل - محمد بن سلام - عن هاتين الظاهرتين بل ناقشهما وعرضهما عرضاً للعالم لا يغيب وكان أول من ربط بين الرواية وهاتين الظاهرتين ، فهو يقول عن ضياع بعض الشعر العربي : " وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهم حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون . . . فجاء الاسلام فتشألت عنه العرب وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثرا الاسلام وجاءت الفتح واطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤدوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب والقوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا اقل ذلك وذهب عليهم منه كثير " (٣) . ويروي عن أبي عمرو بن الحلاء قوله : " ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله

ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير " (٤)

(١) ناصر الدين الأسد : ص ١٨٨ .

(٢) سنعرض لذلك فيما يأتي ان شاء الله .

(٣) ابن سلام ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤) ابن سلام ص ٢٥ .

فأبى سلام يؤكد أن ابن كثير من الشعر العربي قد سقط وذهب ،
لأنه لم يكن مدونا ولا مكتوبا ، بل كانت الرواة تتناقله ، فلما تشاغل
الناس بالحروب في صدر الاسلام وشغل الرواة عن النقل والناس عن الاستماع
ضاع قسط كبير من الشعر العربي .

ولا يترك ابن سلام حكمه هذا مطلقا بل يؤيده بالأدلة العقلية والراجحة
والبراهين النقلية الظاهرة ، ولعل الدليل العقلي لا ينفي أن الانشغال
بالحروب والفتوح والانصراف عن الشعر وروايته يؤدى بلا شك الى ضياع كثير
منه ، وأن عدم كتابة الشعر وتدوينه في مراحل الأولى دليل على ضياع الكثير
من الشعر والتي عبر عنها ابن سلام بقوله : " فلم يؤلوا الى ديوان مدون ولا كتاب
مكتوب " (١) .

أما البرهان النقلى الظاهر فقد بينه ابن سلام بقوله : " وما يدل على
ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقى بأيدي الرواة المصححين لطرفة وبيد
الذين صح لهما قصائد بقدر عشر وان لم يكن لهما غيرهن فليس مضمهما
حيث وضعنا من الشهرة والتقدمه " " ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه
كلام كثير " (٢)

(١) ابن سلام ص ٢٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٦ .

وقد ناقش الدكتور ناصر الدين الأسد قول ابن سلام : " فجاء
الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ولمهت
عن الشعر وروايته فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ،
راجعو رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، والفوا
ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا اقل ذلك وذهب
عليهم منه كثير " (١) وقال عنه : " وكلام ابن سلام هذا ثلاثة اشطر .
آخرها حق ، وموسطها باطل ، وأولها يحتاج الى فضل بيان " (٢) وسين
ان الحق : حفظ اقله ، وأن الباطل : هو الاشارة الى عدم التدوين
والكتابة ، ثم ذكر امثلة ثلاثة قالها ابن سلام بعد : " وقد تداوله قوم
من كتابه الى كتاب ٠٠٠٠ أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى ٠٠٠ وقد
كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه اشعار الفحول ٠٠٠ " (٣) واتخذ
هذه الامثلة ردا على ما قال ابن سلام من أن العرب : " لم يؤولوا الى ديوان
مدون ولا كتاب مكتوب " .

-
- (١) ناصر الدين الأسد ص ١٩٥ .
 - (٢) ناصر الدين الأسد ص ١٩٥ .
 - (٣) المصدر السابق ص ١٩٥ .

وفي الحقيقة أن الدكتور الأسد قد حصل هذا على غير محمله
فاين سلام عندما نفى التدوين والكتابة كان نفية ملصبا على فترة ما قبل
الاسلام (العصر الجاهلي) وحتى قيام الدولة الأموية (١) فلم تكن
الكتابة منشورة انتشارها الذي عرف في العصر العباسي ، بل كان العرب
يكتبون على جلود الحيوانات وعظامها (٢) لم تيسر لهم آلات الكتابة
التي تيسرت فيما بعد ، وليس من السهل والحالة كذلك أن يدونوا جميع
أشعارهم وهي كثيرة لا تحصر ، بل لحلمهم اقتصروا على ما لا بد منه من
وسائل وأخبار هامة ونقوش موجزة وأسماء بارزة .

وقد نفى ابن سلام التدوين الواسع للشعر في عصوره الأولى التي لا يختلف
أحد في أمرها . بينما بين في نصوصه التي أوردها الأسد حجة عليه
(٣) أن ذلك كان بعد عصر التدوين - وهو يناقش النقاد الذين يطلب منهم

(١) الواقع أن تدوين الشعر لم يبدأ بعد العصر الجاهلي مباشرة ، فقد ظل
الأمر على ما هو عليه حتى قيام الدولة الأموية تقريبا وهو
ما أشار إليه ابن سلام بقوله : " فلما كثر الاسلام وجاءت الفتح واطمأن
العرب في الأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون
ولا كتاب مكتوب " فعندما عاد العرب عادوا الى الرواية ولم يجدوا
تدويننا .

(٢) ناصر الدين الأسد ص ٧٧ - ٨٥ ، حيث بين الأدوات التي كانت
تستعمل في الكتابة .

(٣) انظر تلك النصوص (ناصر الدين الأسد ، ص ١٩٥ - ١٩٦) .

تحقيق النصوص وإثبات صحتها ، ومعنى ذلك أن ابن سلام قد فطن لامرين هامين :

ان التدوين فى العصر الجاهلى كان بالنسبة للشعر والأدب معدوما الا بنسبة قليلة ، منها ما سجله النعمان ملك الحيرة من ديوان ما مدح به وأختصه لنفسه حفاظا عليه .

وان التدوين الذى بدأ بعد الاسلام قد بدأ فيه شئ من خلط يستحق التحقيق والتمحيص ، خاصة ذلك الذى قام به ابن اسحق وحماد الرواية . وعلى ذلك فان ضياع الشعر العربى كان رهينا بعدم الكتابة والتدوين فى مرحلة الاولى ، اذ بدأ الجمع والتدوين متأخرا كما قروه بروكلمان من انه : " لم يبدأ جمع الشعر العربى الا فى عصر الأمويين وان لم يبلغ ذروته الا على أيدي العلماء فى عصر العباسيين " (١)

" وما يقوله ابن سلام هنا عن التدوين الذى لم يبدأ الا فى العصر الأموى هو كلام العالم بأحوال عصره ، ولقد كان من دقته فى ذلك ما بينه يقوله : " أول من جمع اشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية " (٢)

ان التأكد من ضياع قسط من الشعر العربى وفساده فى مراحل الأولى نظرة نقدية هدف ابن سلام من ورائها الى تقييم الشعر العربى

(١) بروكلمان ج ١ / ص ٦٥

(٢) ابن سلام ص ٤٨ .

فابن سلام عرض لقضية ضياع الشعر لما لهذه القضية من تأثير على قيمة المبادئ النقدية التي استخدمها ، مثل مبدأي الجودة والكثرة ، لأن ما ضاع من شعر الشاعر له تأثيره على قيمة ما هو موجود من شعره ، سواء افترضنا أن يكون هذا الضائع في نفس مستوى ما هو موجود أو أقل منه أو أجود ولذلك لم يفت ابن سلام التنويه عن ضياع جزء من الشعر العربي ، كما لم يفته التدليل بأدلة عقلية ونقلية كما رأينا ، ليحسم النزاع حول هذه القضية المتأرجحة بين يدي دارسي الأدب العربي ، وأن الرواية باعتبارها المصدر الأول للشعر العربي كانت سببا في ضياع كثير منه إذا ما انشغل الناس عن روايته بالحروب ونحوها ، وهذا يضع ابن سلام حكما نقديا متصلا بالرواية ، وملتصقا بها تمام الالتصاق .

أما الظاهرة الثانية - وهي تعرض الشعر للانتحال والوضع فقد تبين أن الرواية كانت المصدر الأول للشعر العربي ، وأن التيارات الشعرية قد تناقله الناس من أقواه الرواة وأن طائفة محترفة قد ظهرت وعرفت بين الناس ، وقد تكون من الشعراء أنفسهم ، وقد أدى ذلك إلى أن ظهرت في الشعر العربي ظاهرة مشهورة ، هي ظاهرة الانتحال والوضع ، وقد أثارت هذه القضية النقدية جدلا كبيرا ، امتد منذ حديث ابن سلام عنها حتى عصرنا الحاضر ، واختلف الباحثون لها في تحديد كمية المنحول والموضوع من الشعر ،

ولست هنا بصدد عرض قضية الانتحال من حيث هي وإنما المهم أن
أبين موقف ابن سلام فيها وهو موقف يستمد أهمية خاصة من أمور
هي :

- ١- أنه أول من أثار هذه القضية.
 - ٢- قربه من عصر الانتحال والوضع.
 - ٣- قيمة الأدلة العقلية والنقلية التي عرضها .
- بدأت قضية الانتحال كما بينت كتب الأدب مبكرة : " قال أبو حاتم :
حدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشائخ
الطائفين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن صتبة الف قصيدة فاقسمتها
شعراء العرب وانتحلتها فدخلت في أشعارهم (١) ويزيد جاهلي قديم ،
وقد فطن لذلك بعض أساتذة ابن سلام كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي
عمرو بن الحلاء ، يقول الأصمعي : " يقال إن كثيرا من شعراء القيس
لصعاليك كانوا معه " (٢) .
- ويقول أبو عبيدة عن رجل من ولد الأغلب : " بأنه كان يحترف
في الحديث والروايات ويكذب على أبيه في شعره " (٣)

(١) الأصمعي ج ٧ / ص ١٠٣
(٢) المرزبان ص ٣٢
(٣) المصدر السابق ص ١٩٣ .

وذكر أبو عمرو بن الحلاء : أن ذا الأصبع المدوانى قد رثى قومه

بأبيات منها :

وليس المرء فى شىء * من الأبرام والنقض

إذا يفعل شيئاً * خاله يقضى وما يقضى

جديد العيش ملبوس * وقد يوشك أن يمضى

ويقول أبو عمرو : أن أكثر هذه القصيدة منحولة إذ لا يصح منها

إلا الأبيات التى ذكرها (١) والامثلة على ذلك كثيرة (٢)

فلما استخرجنا أبياتاً من رسالة أبو عمرو بن الحلاء الظاهرية بخطه ودقة ، وحدد طرق

الافتحال والوضع ، كما حدد أسبابه ودواعيه .

فيقول ابن سلام : " وفى الشعر مصنوع مفتعل ، وموضوع كثير لا خير فيه

ولا حجة فى عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل

يضرع ، ولا مديح رائع ، ولا هجاء مقدع ، ولا فخر معجب ، ولا نسيب

مستظرف ، وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، لم يأخذوه عن أهل البادية

ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد إذا اجمع أهل العلم والرواية

الصحيحة على إبطال شىء منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى " (٣)

(١) الأصمهانى ج ٣ / ص ٩٦

(٢) المصدر السابق ج ٥ / ص ٤٧ ، ج ٩ / ص ٢٢٢ ، المرزبانى ص ٣٤ ،
ص ٣١٢ ، ص ٧٨ ، الجاحظ - الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون
(البابى الحلبى ١٩٦٦) ج ٣ ص ٤٤٩ .

(٣) ابن سلام ص ٤ .

فابن سلام يضع أمامنا أول النصوص المدروسة في الشعر المصنوع والموضوع هذا الشعر الذي يظهر عليه أثر الوضع ، وكأنه يقصد الوضع المتأخر بمد بدء التدوين - وهو ما كان شعره أهون من أن يطلق عليه شعر فهو لا يساير الشعر المعروف في فنونه المختلفه .

وقد جعل ابن سلام الحجة في الأخذ من البادية لقوة شعرائها وقرسهم من هسهل الشعر ، وهو انما يضع بهذا النص اللبنة الاولى عن وضع الشعر في عصره فلا بد من نظر العلماء الناقدين فيه ليخضع للنقد الذي يظهر الزائف من الاصيل .

وهو بهذا النص ايضا يؤكد ظاهرة الوضع في الشعر والتي كان أحد طرقها

الانتحال .

ثم يقول : " فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها وماثرها استقل بعض الشعراء شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائهم وكان قوم قلت وقائهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على السنة شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت " (١)

فالانتحال ظاهرة تخضع لأسباب قبلية ثارة ، وذلك عندما تراجع القبائل الشعر والأيام والمآثر فتستقل شعر شعرائها فتدفعها العصبية الى الزيادة

فى الأشعار ، فتحصل شعراؤها ما ليس لهم من الأشعار . وتنسب اليهم
ما لم يقولوه ، لا يدفعها لذلك الا العصبية القبلية ، حيث لا ترضى القبيلة
الا ان تلحق ، من له الوقائع والأشعار ، ولا يقف الأمر عند ذلك بل ان الرواة
انفسهم يزيدون فى هذا الشعر المنحول وينقلونه ، أما عصبية اذا كانوا من رواة
القبيلة ، وأما اظهارا للمعرفة والاحاطة ، وأما طلبا للجائزة والنوال . وهذه
الاسباب التى يمرضها ابن سلام وجبهة الى حد كبير ، نتبين معها الدقة
التقديية فى عرض الاسباب وشرحها ، ونصل بذلك الى أول اسباب الانتحال —
المرتبطة بالمصيبة تارة والرواية تارة أخرى بل لعل هذه الاسباب
تضيّق أحيانا عن حجم القبيلة الى العصبية الفردية ، وعن تمجيد
الرواة قبائلها الى ظهور الراوية بمظهر العالم بالشعر وهو مظهر كـ
زيف وكذب . فقد روى ابن سلام عن أبى عبيدة : " ان ابن داود بن متمم
بن نويرة قدم البصرة فى بعض ما يقدم له البدوى من الجلب والميرة ، فنزل
النحيث ، فأتيته أنا وابن نجح العطاردى فسألناه عن شعرابيه متمم وقتنا له
بحاجته وكفيناه ضيعته فلما نفذ شعرابيه جعل يزيد فى الأشعار ويضعها
لنا ، واذا كلام دون كلام متمم واذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع
التي ذكرها متمم والوقائع التي شهد بها ، فلما توالى ذلك علمنا انـ
يفتعلـه " (١)

فهذه ظاهرة أخرى يقف عندها ابن سلام ليبين أن تمجيد الولد أباه جملته
ينحله كثيرا من الشعر ليس له ليظهر أباه بمظهر الشاعر . ويظهر هو
بمظهر الراوية المحيط . وقد كفلت له المؤونة وتمهد له يقضاء الحاجة ،
وهذه من أخطر الظواهر التي تحيط بظاهرة الانتحال لأن نقل الولد عن أبيه
أوثق في نظر كثير من الناقدين ، ولكن الاحاطة بالشعر وتتبع العلماء الأسماء
ومعرفتهم الزائف تساعد على استجلاء الحقيقة .

واذن فالرواية عرضة للانتحال ، كما أن المصيبة سبب خطير وهام
من أسباب الانتحال .

ثم عرض ابن سلام لظواهر أخرى هي سبب للانتحال والزيف أهمها
ظاهرة - اللين - وهو أحد المقاييس النقدية التي اعتمد عليها وسين
من خلاله أن - اللين في الشعر - مدعاة للانتحال ، يقول : " وعدى
بن زيد كان يسكن الحيرة ويраكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه
شيء كثير وتخليصه شديد ، واضطرب فيه خلف الأحمر وخلط فيه المفضل
فاكثر " (١)

ولين الشعر هو السبب الذي جعل ابن سلام يشكك في بعض شمر

المكيين وهو سبب للانتحال ، لان من اراد ان ينتحل سهل عليه ان يأتى
بمثله ، وذلك لان هذا الشعر لا يرقى الى مائة شعر يتعذر معها
الانتحال ، وبالإضافة الى - اللين - فان - الشهرة - مدعاة للانتحال
فاذا كان الشاعر مشهورا وشعره قليلا حمل عليه الوضعون شعرا كثيرا ، يقول :
” مما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقى بأيدي الرواة المصححين لطرفة
وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر ٠٠٠٠ فلما قل كلامهما حمل
عليهما حمل كثير ” (١)

ولم يفت ابن سلام ان يشير الى دور الرواة الذين جمعوا الشعر ودونوه
او الذين دونوا المغازى والسير وكيف كانوا أداة للانتحال قوية ، من ذلك
ما رواه عن حماد الراوية الذي جمع الشعر ودونه وكان السابق الى ذلك حين
قال : ” وكان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الراوية
وكان غير موثوق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد
في الاشعار ” (٢)

وابن سلام لا يسوق هذا النص دون دليل مادي كما اسلفنا ، فقد
ذكر ان حمادا قدم البصرة على بلال ابن ابي بردة فذكر له شعرا نحله

(١) ابن سلام ص ٢٦

(٢) المصدر السابق ص ٤٨

الحطيئة يمدح فيه أبا موسى ، فاستنكر ذلك بلال ثم قال : " يمدح الحطيئة
أبا موسى لا أعلم به وأنا أروى شعر الحطيئة ؟ ولكن دعها تذهب فهي الناس^(١)"

وذكر أيضا أن حمادا عرض على صديق له قصيدة للأعشى ونحلها أخوال
صديقه^(٢) ، ونقل ابن سلام عن أحد علماء عصره استغرابه وتعجبه ممن يأخذ
عن حماد^(٣) فلهذا تعتبر رواية حماد مردودة إلا ما أجازها العلماء .

ولعل ابن سلام يقصد بإشارته التي عزم على العلماء فيها عدم الأخذ عن
كل كاتب وصحفي قبل التمهيص والتحقيق والمرس على أهل النظر^(٤) لعلهم
يقصد بالكتاب المكتوب ما جمعه حماد وأمثاله من شعر أكثره منحول مزيف .

أما مؤرخو المغازي والسير الذين استشهدوا بالأشعار فلم يفت ابن سلام
الإشارة اليهم بشيء من التدقيق والنظرة الثاقبة يقول : " وكان من أفسد الشعر
وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحاق . . . وكان من علماء الناس بالسير .
وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر
منها ويقول : لا أعلم لي بالشعر اتينا به فأحمله - ولم يكن ذلك له عذرا - فكتب
في السير أشعار الرجال ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعارا كثيرة وليس

(١) ابن سلام ص ٤٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٨ ، ص ٤٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٤ .

بشعر انما هو كلام مؤلف معقود بقواف .. " (١) وهنا يؤكد ابن سلام حقيقة هامة اختلطت بالشعر العربي وهي ما نقله ابن اسحق الشعراء وحتى غيرهم من شعر زائف .

ويرصد ابن سلام بذلك طائفة من الشعر المنحول ينفيها عن الشعر العربي جملة وتفصيلا ، ولا يستند في نفيها الى ذوقه الخاص او ما ينقله عن العلماء وانما بالادلة العقلية والنقلية .

ودليل ابن سلام العقلي هنا قوله : " افلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن اداه منذ آلاف السنين " (٢) .

اما دليله النقلي فهو ما نقله عن ابن اسحاق نفسه حيث يقول : " لاعلم لي بالشعر اتينا به فأحمله " ثم يعقب ابن سلام بقوله (ولم يكن له عذرا) .

ويستمر ابن سلام في طرح الأدلة النقلية مستشهدا بقوله تعالى " فقطع دابر القوم الذين ظلموا " اى : لا بقية لهم ، وقوله تعالى " وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى " وقوله تعالى " وقرونا بين ذلك كثيرا " وقوله تعالى " ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله " (٣) .

(١) ابن سلام ص ٨

(٢) المصدر السابق ص ٨

(٣) انظر الآيات في : ابن سلام ص ٨

وهذه الآيات أدلة ثقلية مادية تنفى أن يكون لتلك الأم التي روى ابن اسحاق لها اشعارا أى بقية من ذكر . ويتجاوز ابن سلام الأدلة الثقلية فيؤرخ للغة العربية ويبين أن : " أول من تكلم بالعربية اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما " ^(١) ويؤكد كذلك أن العرب لم تذكر فى اشعارها من العرب البائدة التي ذكرها ابن اسحاق ، ونسب اليها شعرا ^(٢) .

كما يبين أن لسان حمير واتاصى اليمن اليوم ليس بلساننا ولا عربيتهم بحريتنا فكيف بما كان على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه ^(٣) ثم يقرر حكما نقديا بعد هذا التدليل يخرج منه الى أنه : " لو كان الشعر مثل ما وضع لابن اسحاق ومثل ما روى الصحفيون ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل على علم " ^(٤)

وبعد هذا العرض لما أوضحه ابن سلام عن الانتحال والوضع فى الشعر العربى نستطيع أن نخلص الى أن للانتحال اسبابا أدت اليه وطرقا ،
أما الاسباب فتتمثل فيما يلى :

١- العصبية القبلية حيث زادت القبائل فى اشعارها لتلحق بمن لهم الوئاع والاشعار .

٢- لين الشعر ، فقد أوضح ابن سلام أن فى لين الشعر مدعاة المحمل عليه .

-
- (١) ابن سلام ص ٩
(٢) المصدر السابق ص ١٠
(٣) المصدر السابق ص ١١
(٤) المصدر السابق ص ١١

٣- شهرة الشاعر مع قلة ما روى له ، حيث استغل الرواة الرغبات في ذلك

فزادوا في الأشعار ونسبوها إلى الفحول المقلين .

أما الطرق التي وصل منها الشعر المنحول فتتمثل فيما يلي :

١- الرواية : حيث كان الرواة يزيدون في الأشعار . سواء لأسباب

قبليّة أو شخصية أو مادية .

٢- جماع الشعر من الرواة الذين أرادوا أن يبنوا لأنفسهم مجدا علميا

من الشهرة الزائفة فأدعوا الاحاطة والمعرفة وأخذوا ينحلون الأشعار

غير أهلها ويدونونها .

٣- القصاصون وأصحاب المفازي والسير الذين الحقوا بسيرهم أشعارا

لا علم لهم بها ونحلوها أمما وشعرا لم ترو عنهم .

وقد عرضها ابن سلام عرض الناقد الأريب الذي دعم نقده بالحجة والبرهان

حيث لا يصل اليهما الشك ولا يرقى اليهما النقص . وما دامت ظاهرة الانتحال

وصمة في تاريخ الأدب العربي فقد عالجها ابن سلام وحدد نسبتها - فكيف

تم له ذلك ؟ .

لقد وضع ابن سلام حداً للتشكيك في الشعر العربي سبق إليه النقاد -

الآخرين وقطع على من بعده خط المصال هذا الشك واتساعه ، وحقق بذلك وجهة

نظر صائبة في هذه الظاهرة التي أزعجت تاريخ الأدب العربي ونقده ، وتمثلت هذه

النظرة في إخضاع الشعر العربي لموازين هامة كانت نقدية أكثر منها عفوية

تاريخية ولذلك فانتنا لا نجد لمن اقتفاه ممن اثاروا الشك حول اصالة
الشعر العربي اى دور بناء فى هدم كيان الشعر المتوارث بشكل يتجاوز تنبيهه
ابن سلام .

نظر ابن سلام فى الشعر العربى فوجد فيه المنحول الزائف والصحيح
الموثوق به وقد عرضنا آراءه وأحكامه فى زائف الشعر ومنحوله ، أما الصحيح
الموثوق به فقد وضع أسسا هامة لقبوله وتوثيقه .

جعل ابن سلام أساس قبول الشعر فى تلقيه عن أهل العلم به والرواية
الصحيحة الموثوقة والمجمع على توثيقها وصدقها وهذه أولى مراحل التوثيق
حيث يقول : " وليس لأحد اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال
شئ منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى عن صحفى " (١)

اذن فالقبول أو الرفض عائد أصلا الى أهل العلم بالشعر والرواية
الصحيحة ، فأما أهل العلم بالشعر فان لهم فى ادراك زائفة طارقا يميزون بينها
شعر الشاعر ويعرفون المنحول الذى يخالف قول الشاعر ، ولعل أبا عبيدة
أوضح ما نستدل به حيث كشف بنقطة العلمية : " ما نحله ولد متم بن نويرة
أباه فى الشعر " (٢) وكذلك ما أدركه الأصمعى من اختلاف شعر الأغلب
عليه (٣) ثم ما تشكك فيه ابن سلام نفسه فى بعض أشعار قرش والفحول المقلين .

(١) ابن سلام ص ٤

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ ص ٤٨

(٣) المرزبانى ص ١٩٣

أما الرواة : فقد حدد ابن سلام القبول عن أهل الرواية الصحيحة وتحدث عنهم ومن أمثلة ذلك ما قاله عن أحدهم : " وكان قتادة بن دعامة السدوسي من رواة الفقه عالما بالعرب وانسابها ولم يأتنا عن أحد من رواة الفقه من علم العرب أصح من شيء أتانا عن قتادة " (١) وهو عندما يعرض أمثال هؤلاء الرواة الثقات فإنه يطمئن إلى ما أخذ عنهم ويحذر من أولئك الرواة المخلين الذين يلبى بهم الشعر العربي كحماد الراوية وخلف الأحمر (٢) .

ويقصد ابن سلام بأهل الرواية الصحيحة من عرف عنهم ذلك ، ومن اعتمد عليهم ونقل عنهم في كتابه الطبقات ، واعتبر ما ورد عنهم حجة في الصحة والتوثيق لا يرقى إليه الشك ، لما عرف منهم من تحقيق للنصوص وأخذها من مصادرها ولعل أشهر من أشاد ابن سلام بتوثيقهم وأخذ عنهم ، الأصمعي ، وأبو عمر بن العلاء ، والمفضل الضبي (٣) ولعل هؤلاء من شهد لهم

-
- (١) ابن سلام ص ٦١
 (٢) ابن سلام ص ٢٣ ، ص ٤٩ حيث ذكر عنهما وبين أنهما ليسا من الثقات .
 (٣) يختلف البعض في توثيق المفضل الضبي ، إلا أن ابن سلام قد وثقه واعتبره من العلماء المحققين العالمين بالشعر والأدب يقول عنه : " أعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي - (ابن سلام ص ٢٣) ،

كتب الأدب الأولى بالتحري والتدقيق في النصوص حيث كانوا يخرجون
الى البرية لينقلوا صحيح الشعر^(١) حتى تالف لهم جمع كثير من الشعر
المحقق لعل أشهر دواوينه الأولى — الأصمعيات والمفضليات — ولعل
حرص هؤلاء وامثالهم على الصدق جعلهم لا يقبلون نحل بيت واحد من الشعر
فقد روى أن : " أبا عمرو بن العلاء حرق مرويته جميعا حين اكتشف
فيها بيتا واحدا مزورا وظل ما عاش يستغفر ويتوب " (٢) .

كما كان هؤلاء الثقات يشوهون اذا شكوا ولم يتيقنوا كما فعل الأصمعي
حين " جمع للأغلب كتابا في الرجز ، وكان نفسه يقول : أنه لا يعرف له
الا اثنتين ونصف قصيدة . فلما سأل أحدهم قال : بلى ، ولكن انتقيت ما اعرف
فان لم يكن له فهو لغيره من هو ثبت أو ثقه " (٣) والأصمعي وان تهاون في نسبة
الشعر الى الأغلب الا انه يعرف أن هذا الشعر موثق نسبته الى شاعر ثبت
وان لم يكن الأغلب .

ورأى ابن سلام رأى صائب جيد عندما يجعل للعلماء وأرباب الرواية
الصحيحة الفصل في قبول الشعر أو رفضه ، فقد كانوا يتحرون الدقة فيما يرددون

(١) الموشح ص ٤٣
(٢) بنت الشاطيء ص ٢١
(٣) الموشح ص ١٩٣

من اشعار وينوهون الى ما شكوه منه ، ولا يقبلون شعرا على غير اساس متين
من التوثيق والصحة يؤيد قبولهم له وتوثيقهم اياه ، وابن سلام يؤكد لهم
هذه الميزة بقوله : " وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا^(١)"

وابن سلام نفسه اثار في اكثر من موضع في الكتاب الى بعض اشعار قال انها
منحولة ولم يفته مع ذلك الاشارة الى ترجيح القبول او الرفض^(٢) ويقول : "
وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الاشياء
فاما ما اتفقوا عليه فليس لاحد ان يخرج عنه "^(٣)

ومذ لك يلتزم ابن سلام بضرورة تحقيق النص - وهي ضرورة نقدية هامة
نميز بها صحيح الشعر من زائفه لتكون الاحكام النقدية احكاما عادلة ، وقد
ظهر لنا كيف ان ابن سلام طلب تحقيق النص الشعري عن طريق الاخذ
عن العلماء والرواة المحققين وحسب .

وتحقيق النص الشعري هدف قصد اليه ابن سلام وتحدث عنه بشيء من
الحرص والروية مستعملا التحليل العقلي تارة ومستعرضا المظاهر التي ترافق
النص الضعيف والمكذوب . . . فهو نص لا خير فيه ولا حجة في عريته ولا يستفاد
منه ادبا ولا معنى^(٤) . . . فهو لا يسير سيرورة الشعر في الناس . ان لا يقبله احد .

(١) ابن سلام ص ٤٦

(٢) انظر ابن سلام : شعراء القرى العربية . (ص ٢١٥) وشعر علقمه ص ١٣٩ ،

وشعر عبيد وطرفه ص ٢٦ وشعر عدى بن زيد ص ١٤٠ .

(٣) ابن سلام ص ٤

(٤) ابن سلام ص ٤

كما بين أنه لا يدرك صحيح الشعر من زائفه إلا العالمون به والمحققون له وأرباب الرواية الصحيحة . . . منهم الحجة ولهم حق القبول والرفض وليست الحجة للكتاب أو الصحيفة والصحفى .

وقد تم ابن سلام للعلماء والرواة المحققين بالنقد المختصين ، ورأى أنه لا بد من أن يكون الناقد بصيرا ، وأن يفرق بين الصحيح والمنحول من الشعر فهو بهذا ، " ينشئ الناقد البصير سلطانا مطلقا فمتى قال رأيه فى أمر وجب على الآخرين أن يأخذوا بحكمه لأنهم لا يحسنون ما يحسنه " (١)

كما فطن ابن سلام الى أمر نقدى هام وهو . صدور النص عن قائله . حتى يكون الحكم دقيقا ، ولأن الأحكام النقدية كانت فى العصر الأول تصدر على الشاعر وتلحق به شعره من حيث الجودة والرداءة ولعل تقسيم ابن سلام لشعراء الطبقات خير دليل على ذلك اذا أضفنا اليه آراء العلماء الناقديين فى كل شاعر وهو بهذا الاهتمام يلحق تحقيق النص بضرورة صحة صدره عن قائله ، ولذلك نوه حين تحدث عن حماد الراوية بقوله : " وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره " (٢) واعتبر ذلك طعنا فى حماد وفى روايته .

فالعلماء اذن " انصرفوا الى نقد الشعر من حيث صدره عن قائله واقتعاله " (٣) ولذلك فان تحقيق النص وصحة نسبته تجعل الأحكام النقدية سليمة ومتينة ،

(١) احسان عباس : ص ٧٨٠ - ٧٩٠ .

(٢) ابن سلام ص ٤٨

(٣) طه ابراهيم ص ٧٢ .

ومن هنا فقد اهتم ابن سلام بالنظر في السرقات الشعرية وعدم صدور بعض الشعر عن قائله وأخذ يسعى الى تحقيق النصوص والحقها بقائلها أو نفيها عن من نسبت اليهم انتحالا .

وهناك ظاهرة هامة في كتاب الطبقات وهي أن ابن سلام لا يتحدث عن شاعر الا ويذكر نسبه كاملا ويلحقه بقبيلته ، وهو لا يورد ذلك اعتباطا ولكن لاهتمامه بتحقيق النص والحق الشعر بقائله ، وللتفريق بين من تشابهت اسماءهم من الشعراء ، ولذلك عمد الى الامعان في نسب الشاعر تحقيقا لاحكامه النقدية .

ويلحق بتحقيق النص قطع الشك اللاحق بالرواية أنفسهم من الحقائق شعر بنفي قائله ، أو تعديل في شعر الشاعر . وتلك حقيقة ثابتة (١) قال ابن مقبل : " انى لأرسل البيوت عوجا فتأتى الرواية بها قد أقامتها " اذن فابن سلام قد وضع حكما فاصلا في قضية الانتحال حيث نفى الشعر المنحول جملة وتفصيلا مبينا أسباب وجوده وطرق دخوله الى الشعر المربى ، كما وضع حكما فاصلا في صحيح الشعر ، وبين الطرق التي يتم بها توثيق الشعر ، وأثبت أن ما جاء عن طريق العلماء الثقات والرواة الصادقين والمحققين والنقاد المتخصصين وما سعى اليه من تحقيق

(١) ثعلب : ص ٤٨١ ، وسروكلمان ج ١ ص ٦٥

للنصوص الشعرية والحق الشعر بقائله حيث جعل لذلك مكانة نقدية - يدل
بلا شك على وضع حد فاصل وحاسم في دراسة هذه الظاهرة وقطع
اسباب التشكيك التي وضع لها ميزانا عادلا .

لقد سبق ابن سلام الى طرح قضية الانتحال ووضع حدا للتشكيك
في الشعر العربي وبين بحصافة الناقد طرق توثيق الشعر ، وما اعتمده ابن
سلام من شعر صحيح وقصائد موثقة يجعلنا نقبل ذلك الشعر باطمئنان
ولست ارى داعيا بعد ما وضع الأولون الأسس السليمة لتمييز زائف
الشعر من صحيحه ، ان يأتي النقاد المحدثون وعلى رأسهم الدكتور طه
حسين ليثيروا هذه القضية من جديد ويشككوا في الشعر العربي الجاهلي
جملة وتفصيلا (١) وان يتمادى المستشرقون بما أوتوه من عوהל نفسيه مضادة
لتدمير التراث العربي الاصيل لينكروا الادب العربي واصالة تراثه التي
وصلت اليها محققة مصححة (٢) .

ان في الشعر العربي القديم اصيل وصحيح موثق ، وفي الشعر العربي
منحول مزيف عرضه العلماء الثقات المتقدمون وقطعوا بذلك الطريق على كل
من آراد ان يشكك في تراث العرب اما لعوامل عدائية كما فعل المستشرقون
واما لاقتناع بتلك الآراء الضعيفه كما فعل النقاد العرب المحدثون . ولنسنا

(١) طه حسين - في الادب الجاهلي (طبع دار المعارف سنة ١٩٥٢ م) -
ص ٦٤ - ٢٧٠ - ٢٧١ .
(٢) انظر آراء المستشرقين في ناصر الدين الأسد ٣٥٢ - ٣٧٦ .

بعد ما وضعه العلماء المتقدمون الثقات في حاجة الى أن تتأرجح بين
كفتي التشكيك بالقبول مرة والرفض مرة أخرى - فما وضعه المتقدمون
من حد للتشكيك في التراث كقيل بأن يجعلنا ننظر الى تراثنا
بمیزان العدل ، ذلك الميزان الذي وضعه المتقدمون الذين عاصروا
قضية الانتحال وأوضحوا لنا صحيح الشعر من زائفه - ولم يعد لنا الخيار
بعد في مناقشة ما أثبتوا لأن ذلك الاثبات قائم على طرق علمية وحجج
ثابته وأحكام عادلة ..

((الفصل الثانى))

أولية الشعر العربى

كانت الرواية هى الوسيلة الرئيسية لحفظ الشعر العربى حتى اتت
عصور التدوين ، وقد عرف فى تاريخ هذه الرواية رواة يعتبرون مثلاً
يحتذى فى الدقة العلمية ، والحرص على التحقيق والضبط ، مما يحمل
على الثقة بما ورد على السنة هؤلاء الرواة المثبتين ، وقد انتهت
امر هذا الشعر الصحيح الذى رواه هؤلاء الى التسجيل فى دواوين الشعر
العربى الاولى ، من أمثال مؤلفات ابن سلام ، والأصمى ، والمفضل
الضبى ، وبذلك سلم قدر من الشعر الجاهلى يمكننا من تكوين فكرة
لا بأس بها عن الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى ، بل وعن كثير
من الجوانب الاولى للحياة العربية فى ذلك العصر .

غير - أن الرواية وما انتهت اليه من المجموعات الاولى للشعر الجاهلى
على نقيتها وثبتتها لا تعطينا صورة واضحة عن أولية الشعر العربى . كل
ما هنالك حديث عن بعض الشعر الصحيح الذى قيل فى وقت مبكر نسبياً ولا حظ
قارئ ما سجله هؤلاء الرواة عن أول ما وصل اليها من الشعر العربى دقة
أقوالهم فيما يتصل بهذا الموضوع . ان أولية الشعر العربى بمفهومها المطلق
الدقيق غائبة عنا . ولا نستطيع البت فيها ولذلك فانه من الصعب جداً

أن نكتب في تاريخنا عن أولية الشعر العربي مثبتين أشعارا معينة .
لقد اثار قضية الاشتغال جدلا كبيرا في تاريخ الأدب العربي .
وشكك الكثير من المؤرخين في جزء كبير من التراث ان لم يكن في جميعه
وقد تنبه ابن سلام لهذه القضية من بدايتها . خاصة انه عاش عصرها
وعرف عن طريق العلماء وبخبرته اسبابها ، ومضادها ، فدرس هذه -
الظاهرة ، وحدد الشعر المنحول واضح الصحيح فوضع بذلك حدا
للتشكيك في التراث الجاهلي ، وقطع الطريق على كل من اراد أن يمس
تراثنا بسوء .

لقد عرف الأقدمون الشعر العربي ونقلوه إلينا ولم يحددوا بشكل
قاطع أول بيت قيل من الشعر العربي ، أو أول شعر على وجه الإطلاق
ولا يعنى ذلك انه لا يوجد تراث قبل الذى ذكروا . أو انه ليس للشعر
العربي بداية فمن المعروف أن لكل شئ بداية إلا أن البداية الأولى
لم تصل إلنا - فجميع كتب الأدب ذكرت لنا أقدم الشعراء الذين أجادوا
في الشعر . وليس معقولا أن يكون أول الشعر العربي على هذا
المستوى من الاتقان والجودة .

لقد تحدث الشعراء الذين يعتبرون عندنا أسبق الشعراء الجاهليين

عن شعراء سبقوهم فيقول امرؤ القيس :

(١)

عوجا على الطلبيل المحيل لأننا * نبكى الديار كما بكى ابن خدام
وهذا يدل بلاشك على أن امرأ القيس وهو من أوائل الشعراء المشهورين
وأقدمهم قد سبقه شعراء آخرون منهم ابن خدام .

وواضح أن امرأ القيس في بيته هذا لا يدل على أنه سبق بشعراء -
جاهليين آخرين فحسب بل على أن للشعر العربي قبله طرقا فنية محددة ،
وتقاليد شعرية مرعية لعلها كانت أساس فنون الشعر فيما بعد .
وليس امرؤ القيس وحده هو الذي أشار إلى ذلك ففي شعر عنترة
ما يماثله وهو قوله :

" هل غادر الشعراء من مترد م " (٢)

فهو يذكر الشعراء - وأنهم لم يبقوا لأحد شيئا إلا وقد سبقوه
إليه ، ونحن نعرف أن عنترة من أقدم الشعراء الجاهليين ، وهذا اعتراف
من عنترة على تقدم زمنه بأنه ومعاصريه لم يخرجوا على من سبقهم من
الشعراء .

وهكذا أيد لنا امرؤ القيس وعنترة أن بداية الشعر الجاهلي كانت سابقة
على زمنهما بل وأن الشعر قبلهما كانت له تقاليد المرعية وأساليبه المعروفة

(١) امرؤ القيس - ديوان امرؤ القيس وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
الطبعة الثانية (دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤) ص ١١٤ .

(٢) عنترة ابن شداد - الديوان - تحقيق عبد المنعم شلبي . إبراهيم
البياري (شركة فن الطباعة القاهرة - بدون تاريخ) ص ١٤٢ ومعنى
قوله (هل غادر الشعراء من مترد : هل أبقى الشعراء لأحد شيئا
إلا وقد سبقوا إليه ؟)

(٣) يحيى الجبورى . الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه (لبنان ١٩٧٢)

وشكله المحدد وأنهما غير هملين الشعراء ساروا في طريق معبد سلوك .
ويرى بعض الباحثين المحدثين أن : " شعر العرب كان فنا مستوفيا
لأسباب النضج والكمال منذ ظهور العرب على صفحة التاريخ " (١) والحقيقة
أنه ليس من الممكن أن نتصور خروج فن مستوفٍ لأسباب النضج دفعة واحدة
فلا بد أن تكون له بدايات قليلة لا ترقى في الكم والجودة إلى مستوى
الشعر الجاهلي المعروف لدينا الآن ، فمن البديهي أن يكون للعرب
شعر قبيل هذا الشعر ، وما يدل على ضياعه ما مر من استشهاد بأبيات
لامرئ القيس وعنتره ، وقد أكد العلماء المتقدمون ضياع كثير من
الشعر العربي لاعتماده على الرواية (٢) ، ومعنى ذلك أن هناك محاولات
قد ضاعت كانت هي من بدايات القصيدة العربية .

لقد سجل العلماء المتقدمون أقوالا تدل على أن للشعر العربي
أولية غير مكتملة التطور يقول الأصمعي :

(أول من نروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر المهلهل ، ثم
ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم بن ضمرة رجل من بني كنانة ، والأضبط
بن قريع ، وأنشد لذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم :

يا كعب ان أخاك منحمق * فأشدد أزار أخيك يا كعب

(١) بروكلمان ، ج ١ ص ٤٤

(٢) ابن سلام ص ٢٥

وانشد لضمرة :

يا ضمرا أخبرني ولست بفاعل * وأخوك نافعك الذي لا يكذب

وللاضبط :

ادفع عن نفسه ويخدعني * يا قوم من عاذرى من الخدعه

وقال الأصمى :

فصلح البعيد ان وصل الخيل وأقطع من القريب ان قطعه :

هكذا سمعت هذا البيت ، قال : وكان بين هؤلاء وبين الاسلام أرحمائية

سنه . قال : وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير " (١)

فالأصمى وهو من أوائل العلماء المحققين في الشعر العربي والذين

يجوز الاعتماد عليهم يسجل هنا نماذج لأقدم ما قيل ، وكان عصر الأصمى

عصر اتصال الرواية وابتداء التدوين ومعنى ذلك أن المتقدمين قد اهتموا

بدراسة هذه الظاهرة دراسة دقيقة ، وخير دليل على ذلك تحديد الأصمى

لأسماء الشعراء وذكر انسابهم وما قالوه من الشعر .

لقد اضطلع ابن سلام في كتابه بدراسة نقدية متكاملة ، قامت أصولها

على دراسة الشعر الصحيح ، وأرخت للأدب العربي بشكل متقن ، معتمده

أسسا محددة وأهدافا واضحة ، ولم يقصر هذه الدراسة عن أن تؤرخ للشعر

(١) ثعلب ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

العربي من بدايته ، وأن تدرس جانباً من أقدم الشعر العربي الصحيح
الذي وصل إلينا - وهو ما نسميه - أولية الشعر العربي .
بدأ ابن سلام حديثه مبيناً أن العلماء لم تتفق مطلقاً حول الشعر
ولعل اختلافهم يمتد إلى الاختلاف حول أولية الشعر العربي ، كما
امتد إلى صحيحه من منحوه يقول : " وقد اختلفت العلماء بعد في بعض
الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء ، فأما ما اتفقوا عليه فليس لا حـد
أن يخرج منه " (١) وهو بهذا يجعل الحكم للعلماء ، ولعل في ذلك
اقتناعاً للعامة التي لا يرقى علمها إلى مستوى أهل العلم بالشعر .

ثم عرض ابن سلام لأولية الشعر العربي ، بل لأولية اللغة العربية
نفسها ، يقول نقلاً عن يونس بن حبيب : " أول من تكلم بالعربية ونسى
لسان أبيه اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما " (٢) ثم يؤيد
اتصال العرب باسماعيل يقول : " العرب كلها ولد اسماعيل ، الا حمير
وبقايا جسرهم ، وكذلك يروى أن اسماعيل جاورهم واصهر اليهم " (٣) ولا يطلق
هذا القول بل بين أن هذه العربية التي ذكرها لاسماعيل ليست العربية
الحاضرة فـ " تلك عربية أخرى غير كلامنا هذا " (٤) وابن سلام بذلك

(١) ابن سلام ص ٤

(٢) المصدر السابق ص ٩

(٣) المصدر السابق ص ٩

(٤) المصدر السابق ص ١٠

يضرب في الماضي بحثا عن أولية اللغة العربية تمهيدا للحديث عن

أولية الشعر العربي .

لقد نفى ابن سلام أن يكون لأوائل العرب المعروفين شعر . يقول :
ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا ^(١) ويقصد بهم العرب
الموغلين في القدم (أبناء اسماعيل) ومن تلاهم وذلك لأنه يثبت في كتابه
أوليات مقطوعة بصحتها للشعر العربي وأسماء شعراء وقبائل ينتمى إليها هذا
الشعر ، وليس معنى ذلك أن نقطع بطلان ذلك الشعر أول ما قالته العرب
على الإطلاق ، ولكن الذي رمى إليه ابن سلام هو : أولية الوجود بالفعل
التي تناقلتها الرواة واتفق عليها أهل العلم والدراسة بالشعر ، وأجمعوا
على أنها أول ما صح من قديم الشعر عن العرب ، مؤيدين بذلك ما أشار
إليه الشعراء أنفسهم من أنهم سبقوا في مجال الشعر ، ونحن نعلم أن عصر
ابن سلام عصر التدوين للعلوم وكانت طائفة من العلماء تسعى إلى تحقيق الأدب
العربي وتوثيقه ومن بينهم ابن سلام نفسه . وهذا الاهتمام بالشعر متوارث منذ
العصر الجاهلي حيث " كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم -
ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون " ^(٢)

(١) ابن سلام ص ١١

(٢) ابن سلام ص ٢٤

بين ابن سلام أنه " لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات
يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد
عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف " (١)

ومع أن يمرض ذلك الحكم لا يفوته أن يؤرخ للشعر القديم
الصحيح ، ملفيا بذلك القديم العزيز ، يقول : " فمن قديم الشعر
الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان جاور بهرا ، فإبـه
رب فقال :

قد رابنى من دلوى اضطرابها * والنأى فى بهرا ، واغترابها
ان لا تجى ، ملائى يجى ، قرابها " (٢)

(٣)
ثم يتبع هذا بأخبار متصلة بالشاعر تدل على اتصال الرواية عن زمانه ،
وهذا يدل بلا ريب على أن الأوليّة التي يشير إليها ابن سلام ليست الأوليّة
المطلقة وإنما هي الأوليّة المتصلة بالرواية الراجعة الموثقة .
ثم يقول : وما يروى من قديم الشعر قول دويد بن زيد بن نهد ، قال حين
حضره الموت :

(١) ابن سلام ص ٢٦ ويخالف الأستاذ محمود شاكر هذا الرأي ويشير
إلى أنه رأى باطل ، وأن الشعر أقدم مما زعم ابن سلام وأن طويله
اعتق ، واحتج عليه بما ذكره عن طرفة وعبيد من أن شعرهما قد سقط لقدمها
ويرى الأستاذ محمود شاكر أن القدم له أثر في ضياع الشعر ولم يحتج بغير
ذلك .
(٢) ابن سلام ص ٢٧ (٣) ابن سلام ص ٢٧ - ٣١

اليوم بينى لدويد بيتيه * لو كان للدهر بلى ابلتته
أو كان قرنى واحدا كفتته * يا رب نهب صالح حوتته
ورب غيل حسن لو تته * ومعصم مخضب ثنيتته

وقال أيضا :

القي على الدهر رجلا ويذا * والدهر ما أصلح يوما أفسدا

(١) يصلحه اليوم ويفسده غدا

ويذكر له ابن سلام أقوالا ليست شعرا وهى : " أوصى بنيه عند موته

فقال أوصيكم بالناس شرا ، لا تقبلوا لهم معذرة ولا تقبلوا لهم عثرة " (٢)

ويقول ابن سلام : من صحيح الشعر وقديمه : " قال أعصر بن سعد

بن قيس بن عيلان وهو منبه أبو باهله وغنى والطعاوة :

قالت عميرة : ما لرأسك بعدما * نغد الزمان أتى بلون منكسر

أعمر أن أباك شيب رأسه * كرا الليالى واختلاف الأعصر

فبهذا سمي أعصر " (٣)

ويقول : " ومنهم المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

كان قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال :

(١) ابن سلام ص ٣٢ - ٣٣

(٢) ابن سلام ص ٣٣

(٣) ابن سلام ص ٣٣

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وأزددت من عدد السنين مئينا
مئة أتت من بعدها مئتان لى * وأزددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقا الا كما قد فاتنا * يوم يكر وليلة تحد وننا (١)
ومنهم زهير بن جَبَاب الكلبى كان قديما شريف الولد وطال عمره فقال :

أبنى ان اهلك فانى قد بنيت لكم بنيـــــــــــــــــه
وجعلتكم أبناء سادات زنادكم رويـــــــــــــــــه
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية
كم من محى لا يوازينى ولا يهيب الرعية
ولقد رأيت النار للسلاف توقد فى طمـــــــــــــــــه
ولقد رحلت البازل الوجئاء ليس لها وليــــــــــــــــة
ولقد غدوت بمشرف الطرفين لم يغمز شظيــــــــــــــــه
فأصبت من حمر القنان معا ومن حمر القفــــــــــــــــة
ونطقت خطبة ماجد غير الضعيف ولا العبــــــــــــــــة
والموت خير للفتى وليهلكن وبه بقيــــــــــــــــه
(٢) من أن يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالمشية

(١) ابن سلام ص ٣٣

(٢) ابن سلام ص ٣٥ - ٣٧ .

وقال جذيمة بن الأبرش :

ربما أوغيت في علم * ترفعن ثوبى شمالات
في فتوانا رابثهم * من كلال غزوة ما تسوا
ليت شمعى ما أماتهم * نحن أولجنا وهم باتوا (١)

ثم ذكر بعض ذلك " ابن خدام " واستشهد ببيت امرئ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعنا * نبكى الديار كما بكى ابن خدام (٢)
ويقول عنه : " وهو رجل من طى " لم تسمع شعره الذى بكى فيه ، ولا شعرا
غير هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس " (٣)

والذى تقدم هو ما أشار اليه ابن سلام بأنه " الابيات يقولها الرجل
في حاجته " (٤) فهذه اوليات الشعر القليلة التى تحدث عنها
وذكر أنها قبل تطويل القصائد .

أما أولية القصيدة ، فقد كان المهلهل أول من قصدها ، يقول
ابن سلام : " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة
التغلبى فى قتل أخيه كليب وأثل قتلته بنو شيان . وكان اسم المهلهل
عديا ، وإنما سعى مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه
واختلافه " (٥) .

(١) ابن سلام ص ٣٧ — ٣٨

(٢) ابن سلام ص ٣٩ وللبيت رواية أخرى ، ديوان امرئ القيس ص ١١٤

(٣) ابن سلام ص ٣٩

(٤) ابن سلام ص ٢٦ (٥) ابن سلام ص ٣٩ .

فابن سلام يبين أن أول من طول القصيدة المهلهل ، نظم ذلك قسـى
قتل أخيه كليب ، وكان قتل أخيه قد اثار حفيظته فأطال القصائد
وذكر الوقائع ، وسبق الشعراء الى ذلك وكان شعره أول ما قيل في هذا
المجال .

وعندما عرض ابن سلام أول الشعر الصحيح فانه أخذ يترجم للشعراء
وكانه بذلك يؤكـد صحة أولية هذا الشعر ، إذ لم تكن الاحاطة
مقصورة على الشعر بل تعدتها الى معرفة القائلين وانسابهم وقبائلهم
وهذا مما يقوى حجته واعتماده على الرواية الصحيحة التي لا يصل اليها
الشك .

ثم ينتقل بعد ذلك الى الحديث على أول القبائل انتاجا للشعر وكيف
تدرج هذا الشعر وانتقل من قبيلة الى أخرى ، يقول : " وكان شعراء
الجاهلية في ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعد بن مالك ، وطرفة بن
العبد . وعمر بن قميئه والحارث بن حلزة والمتلمس ، والاعشى . والمسيب
بن علس (١) .

فهو يقرر أن أول الشعر العربي المشهور انما ظهر في ربيعة ونهـض
به شعراء معروفون عدهم ابن سلام كما رأينا .

ثم يبين ابن سلام كيف تدرج الشعر في القبائل مؤرخا لذلك ، ذاكرا
أشهر الشعراء البارزين في القبيلة فيقول : " ثم تحول الشعر في قيس
فمنهم النابغة الذبياني = وهم يعدون زهير بن أبي سلمى من عبدالله
من غطفان وابنة كعبا = وليد والنابغة الجعدي والحطيئة والشماع
وأخوه مزرد ، وخداش بن زهير ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يسزل
فيهم إلى اليوم " . (١)

فابن سلام هنا يبين أن الشعر تحول إلى قيس ويؤكد أن منهم
النابغة وليدا والنابغة الجعدي ومن تلامه ، ثم تنقل الشعر
بعد ذلك في تميم ولا زال فيهم إلى عصره كما بين ، وهكذا يؤيد
ابن سلام بقاء الشعر في قبيلة تميم وانحصاره فيها حتى بداية القرن الثالث .
ثم أنه يؤرخ لأولى الفنون الشعرية في الشعر العربي ، فأمرؤ القيس أول -
من سبق إلى فنون شعرية معينة ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها
الشعراء ومنها استيقاف الصبح ، والتبكاء في الديار ، ورقة النسيب ، وقرب
الماخذ ، وشبه النساء بالظباء والبيض ، وشبه الخيل بالشعبان والعصى ،
وقيد الأوبد ، وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب والمعنى (٢) .

(١) ابن سلام ص ٤٠

(٢) ابن سلام ص ٥٥

واذا كان ابن سلام قد أشار الى أن أمرؤ القيس أول من استوقف
الصحب ، ويكى الديار وأنه يعارض بذلك قول امرؤ القيس .

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما يكى ابن خُدام
فان لابن سلام مخرجا من ذلك ، فلمله يريد أول ما وصل اليه
من الشعر فى هذه الفنون فيؤرخ بذلك لاولية الشعر العربى على
أساس سليم .

ولعلنا تخلص بعد كل ذلك الى أن ابن سلام أرخ لاولية الشعر
العربى منطلقا من قبوله الشعر الصحيح المحقق ، المعتمد على الرواية -
الموثقة ، نخلص الى ذلك ونحن نشق فيه ، مبعدين شبح الشك فى
قديم الشعر الذى راق لبعض الباحثين بعد أن ينغصوه ويشككوا فيه
(١)
وقد استطاع بذلك أن يضع بين أيدينا نصوصا شعرية لا نشك فى أنها
من أقدم الشعر الصحيح . ذلك لأنه اتبع فى تحقيقها وتوثيقها تلك
الأسس التى عرضها فى مناقشته لظاهرة (الرواية والانتحال) فهو
لا يقبل الشعر الا عن طريق الرواية الصحيحة الموثقة . وإذا أمعنا
النظر فى هذا النوع من النقد - وهو ما نسميه النقد التوثيقى -

(١) انظر - د . طه حسين ، فى الالهوب الجاهلى ، (دار المعارف
سنة ١٩٥٢) ص ٢٦٦ . فقد شكك الدكتور طه حسين فى شعر
بعض من عدهم ابن سلام من الشعراء الاوائل ، كالمهمل -
وعمر بن قميته وغيرهما من الشعراء ، ولعل فى فصل (الرواية
والانتحال من هذا البحث) ما يلقي ضوءا على ذلك . فليرجع اليه .

عند ابن سلام - المتمثل في تحقيق الرواية والتاريخ لأولية الشعر
العربي . نجد أن ذلك نقداً توثيقياً بحثاً جاء لخدمة الأسس
النقدية التي اتخذها ابن سلام سبيلاً إلى النقد في كتابه ، وهي
وإن اصطبغت بصبغة تاريخية . إلا أنها بعيدة عن (تاريخ
الأدب) ، ذلك أن (تاريخ الأدب) لا يهتم بالناحية التوثيقية إلى
حد بعيد ، كما فعل ابن سلام في معالجته لهاتين الظاهرتين
(الرواية والانتحال ، وأولية الشعر العربي) .

الباب الثاني

النقد الفني عند ابن سـلام

الفصل الأول

(أسس تقسيم الطبقات عند ابن سلام)

قسم ابن سلام الشعراء الى مجموعات فى كتاب طبقات الشعراء وذلك التقسيم خاضع لأسس نقدية معينة عرضها بوضوح وتعتبر اسسا نقدية هامة وتنحصر فيما يلى :

١- الزمان

٢- المكان

٣- الفن الأدبى

٤- الناحية الدينية

وهذه الاسس عند ابن سلام تقسيم نقدى وصل به الى المقاييس النقدية التى اشتمل عليها الكتاب ، فجميع المقاييس النقدية الواردة عند ابن سلام مستقاة من هذه الاسس الظاهرة الواضحة .

.....

١- الزمان

اعتمد ابن سلام الزمان أساسا نقديا فى كتابه حيث اشتمل على طبقات الشعراء الجاهلين والشعراء المخضرمين والشعراء الاسلاميين ، وأشار الى أنه وضع الكتاب فى شعراء الفترتين : الجاهلية والاسلاميه ، وفترة الخضرمة

بينهما ، فهو مهمتهم بالزمن كأساس من أسس التقسيم التي قسم عليها الشعراء
في الكتاب .

وإذا تركنا جانباً ما أثير حول موضوع تسمية الكتاب ^(١) وما نقلته بعض المصادر
من آثار ابن سلام ^(٢) فالتنا نصدر أحكامنا على ما قاله ابن سلام من نصوص في
كتابه الذي بين أيدينا ، تدل على أنه اعتمد الزمان أساساً للتقسيم : يقول :
” فصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين الذين كانوا في
الجاهلية وأدركوا الاسلام فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا
له من حجه ، وما قال فيه العلماء ” ^(٣)

فهو يرسم عمله في الكتاب ويبين أنه قائم على التقسيم الزمني بين الشعراء
حيث فصل الشعراء من أهل الجاهلية : وهي فترة زمنية معينة انتهت بظهور
الاسلام والمخضرمين ، وهي فترة زمنية عرف بها من أدرك الجاهلية والاسلام ،

(١) كثر النقاش حول تسمية الكتاب ، هل هو طبقات الجاهليين فقط أو الاسلاميين
أو في الطبقتين معاً أو كل طبقة في كتاب ، وقد فند الاستاذ محمود شاكر
ذلك في مقدمته (مقدمة كتاب طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود
شاكر) فليرجع اليها (ص ٢١ - ٢٦ مقدمة) .
(٢) عدت بعض المصادر مؤلفات ابن سلام ، وذكرت أن له كتابين في الطبقات
أحدهما طبقات الجاهليين والثاني طبقات الاسلاميين .
(٣) ابن سلام ٢٤

وأهل الاسلام • وهى فترة زمنية عرفت بعمد ظهور الاسلام •

والزمن مهم للنقد فى عصر ابن سلام خاصة ، فعصره كان عصر العلماء ، علماء

أخذ عنهم أكثر المفاهيم النقدية التى أوردها فى كتابه وجمع فيه ما نقله عن السنة

الناس من أحكام نقدية اتخذها أسسا يسير عليها ولا يخفى أن العلماء الذين

عاصرهم ابن سلام وأخذ عنهم كانوا يعتمدون الزمن قيمة نقدية •

فالشعر الجاهلى أقوى من الشعر الاسلامى المتأخر ولذلك فهم يقدمون —

شعر الجاهلية وصد الاسلام تقديمًا كبيرًا على الشعر العباسى • فقد روى

عن الأصمى : " أنه استحسن قصيدة لشاعر عباسى فأعجب بها ، فلما عرف أنها

(١)

من الشعر العباسى استهجنها "

وكان لعلماء عصره ونقاده مواقف مشابهة فضلوا فيها الشعر الجاهلى

والاسلامى وأحجموا عن الخوض فى الشعر العباسى ، وقد عاصر ابن سلام

نفسه شعراء محدثين ، "وعاصر أمثال مروان بن أبى حفصة وأبى نواس ومسلم

ابن الوليد وأبى تمام ولم يتصد فيما كتب لشاعر محدث ، واقتصر

(٢)

على الجاهليين والاسلاميين "

وتفضيل ابن سلام الشعر الجاهلى على الشعر الاسلامى يدل على ما للزمن

من تأثير على الشعر باعتباره عاملاً عاماً فى تشكيله ، ولعل بعض العارفين بالشعر

قد أصدر أحكاماً تفسر هذا القول تفسيراً واضحاً ، وتبين أهمية الزمن بالنسبة

للشعر •

(١) النقد — شوقي ضيف ط٢ (دار المعارف ١٩٦٤) ص ٤٠

(٢) طه ابراهيم ٨٣

يروى عن علي ابن ابي طالب رضى الله عنه قوله : " كل شعرائكم محسن ولو
جميعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد فى القول لعلنا أيهم
أسبق الى ذلك وكلهم قد أصاب الذى أرادوا أحسن ، فان يكن أحد
فضلهم فالذى لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فانه كان اصحهم
بادرة وأجودهم نادرة (١)

فالامام على كرم الله وجهه بين خلال هذا النص أن الزمان الواحد مصدر
هام من مصادر الاحكام النقدية على الشعراء ، وبين أنه لو اجتمع الشعراء
كلهم فى زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد فى القول لكان الحكم
عليهم سهلا ميسورا ولا استطعنا أن نحكم بينهم حكما قاطعا الا أنهم عندما
اختلف بهم الزمان لم نستطع الحكم عليهم لان كل شاعر محسن يتفوق فى زمانه
على طبقته أو فئة عاصرته .

فالزمان له دور هام فى النقد الادبى ، بل يعتبر أداة لما يصدر على الشاعر
من أحكام نقدية اذا ما قورن بغيره من الشعراء ، ومن الشعراء المتأخرين
من أدرك هذه الظاهرة النقدية . فقد سئل بشار وهو الشاعر المشهور فى العصر
العباسى عن سبب تأخره عن اللحاق بركب كبار فحول الشعراء المتقدمه فقال :

(١) القرطاجنى - منهاج البلفاء وسراج الادباء . (تونس ١٩٦٦م) ص ٣٧٧

(١) " أزرى بشعري الأذان ، يعني انه اسلامي " فتأخر شعره الى زمن معين
صرف النقاد عن تقديمه وعده من الفحول .
لقد كان للزمن أثره في تقييم الشاعر خاصة وأن العصر الجاهلي كان يتسم
بسمّة شعرية معينة ، وعلى الرغم من أننا نعرف أن الشعر الجاهلي كان
ينقسم الى شعر طبع وشعر صنعة ، وأن هنالك شعراء طبع وشعراء صنعة
الا أن الطابع العام للشعر الجاهلي كان لا يخرج عن أن " الشعر عندهم
سليقة وفطرة ينشأون عليه ويرثونه في تكوينهم الروحي ، كان شيئاً
غير ما عرفه المحدثون وما نعرفه نحن اليوم مما نسميه الفن فهم لا يشقون به
ولا يتكلفونه ولا يعدون رسومه من قبل فمتى جالت الخواطر بأذهانهم
أو جاشت الأهواء في صدورهم بأنواعها في قوة ووضوح ومن أقرب السبل
وأخصرها لا يتعلمون ولا يتأنقون حرصهم على المعنى قبل حرصهم على الصياغة
وهم بسطه وإبرازه في جلاء ، على أن الصياغة كانت متقنة فصيحة
كانت جزلة رصينة قوية ، فهم يجلبون على متانة الكلام وجزالة اللفظ وفخامة
الشعر ، كان الشعر عند الجاهليين يفيض من القلب وينبعث عن الجوانح
الناثرة أو الطامحة ، كان غنائياً يبين فيه الشاعر عما يجده هو وما يدور بخلده
من شعور أو احتياج أو نظرات وكان ضخم الالفاظ جزل العبارة أبعد ما يكون
عن الرقة اللينة ، عباراته متماسكة محكمة . . . "

(٢)

(١) الاصفهاني ج٣/ ١٤٣

(٢) طه ابراهيم ٩١

هذا هو طابع الشعر الجاهلي عامة ، ما عدا ذلك الذي تفرغ الشعراء
لتنقيحه وصناعته وهو لا يمثل جانبا كبيرا من التراث الجاهلي الضخم .
وإذا كان هذا طابع الشعر الجاهلي وأن — أكثره — شعر سليقة بميـد
عن التصنع مختلف عن شعر ما بعد صدر الاسلام ، فإنه لا يجوز لنا أن نحط
من اهتمام ابن سلام بالزمن ، وقد أدرك أن للزمن أثرا في طبيعة الشعر وأن
لكل زمن قيما خاصة تظهر في الشعر كما تظهر في المجالات الأخرى .
ولقد كان لفترة الخصرمة بين الجاهلية والاسلام — وهي فترة زمنية — طابعها
فلقد تطور الشعر عند المخضرمين الذين كانت لهم أشعار في الجاهلية ، وأخذ
في فترة الاسلام وجهها آخر ، فهو لاء المخضرمون الذين نجد لهم شعرا
جاهليا نجد لهم كذلك شعرا اسلاميا يختلف في مفاهيمه وصوره عن الشعر
الجاهلي ، فعبد الله بن الزبيري يقول في قصيدة قبل أن يسلم :

يا غراب البين أسمعت فقل * انما تنطق شيئا قد فعل

الى أن يقول عن المسلمين

والعطيات خساس بيننا * وسوا رمس مثر ومقل
ليت أشياخي بيد رشدها * ضجر الخزرج من وقع الاسل
حين ألت بقتاة بركها * واستحر القتل في عبد الاشل
فقبلنا النصف من سادتهم * وعدلنا ميل بدر فأعتدل (١)

ويقول بعد أن أسلم :

يا رسول المليك ان لسانى * رائق ما فتقت اذ أنا بسور

اذ أجارى الشيطان فى سنن الفسى ومن مال ميله مشبور

(١)

آمن اللحم والمظام بما قلت فنفسى القدى وأنت التذير

وشتان ما بين القصيدتين - وأمثلة ذلك كثيرة فى تاريخ الادب العربى * ونرى

أن الاصمى يقول عن شعر حسان : " طريق الشعر اذا أدخلته فى باب الخير

لان الاثرى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والاسلام فلما دخل

شعره فى باب الخير - من مراثى النبی صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر

رضوان الله عليهما وغيرهم - لان شعره وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول

مثل امرئ القيس وزهير والنايفه ، من صفات الديار والرحل والهجاء والمدح

والتشبيب بالنساء وصفة الحمر والخيول والحروب والافتحار ، فاذا أدخلته فى

(٢)

باب الخير لان

ومعنى ذلك أن شعر حسان فى الجاهلية كان قويا ، فلما أسلم لان وصفت

لاختلاف ما بين الزمنين من مفاهيم وقوانين تحكم الشعراء . وهكذا

لقد كان للقيم الاسلامية الروحانية والاخلاقية أثرها المباشر على الشعر فقد

ترفع الشعراء عن كل قول يمس العقيدة أو يمس الى الاخلاق ، واستهجن

الناس الخروج على الاداب الاسلامية ، وتأثر الشعراء بالدين الجديد فهذا

(١) ابن سلام ص ٢٤٢ .

(٢) احسان عباس ص ٥٠ ، الموشح ٥٦ ، ٥٩ .

ليبد بن ربيعة يقول عن الشعر بصد أن أسلم : " لقد أبدلنى الله بالشعر
(١)
سورة البقرة وآل عمران) " يعنى القرآن الكريم .

لقد كان تقسيم ابن سلام الزمنى صائبا ، ما دام أن للشعر الجاهلى سماته —
وتقاليده التى كان بعضها يخالف تعاليم الدين ، فقد كان يعض الجاهليين يمعنون
فى التمهير والفحش وقد أشار الى ذلك ابن سلام (٢)
كما كانوا لا يتخرجون من ذكر
الخمير والمغامرات الغزلية المفصوحة فى قصائد هم وهو ما لا نجده عند شعراء الاسلام
منذ انتشار الدعوة الاسلامية ، اذ قد حدث تطور فى الشعر العربى ظهرت
فيه الروح الاسلامية وتمثلت فى ذكر الله سبحانه وتعالى وذكر الايمان والقدر والجنة
والنار والوعيد ، وأمتد ذلك حتى أوائل العصر الاموى الذى أخبرنا الشعر
العربى فيه يعود الى طريقة الشعر فى " العصر الجاهلى طريقة ومعنى وجزالة
عبارة وضخامة لفظ ، وظل جرير والفرزدق والاخلط وذو الرمة والتطائى كزهير —
(٣)
والاعشى فى تناول الشعر " وتغيرت الاساليب تبعا " للتغيير اليسير الذى
حدث فى الحياة العربية فى صدر الاسلام ، فقوى النسيب وكان ضعيفا فى الجاهلية
واشتد الهجاء وأفحش الشعراء فيه افحاشا لم يكن من قبل وجد الشعر السياسى
فى العراق والشام وتدخل الشعراء فى المشاكل السياسية بين الاحزاب " واحتفظت
القصيدة فى العصر الاموى بسمات الجودة الشعرية الجاهلية فى اللفاظ

(١) ابن سلام ع ١٣٥

(٢) طه ابراهيم ٤١ و ٤٢

(٣) طه ابراهيم ٩٢

(٤) طه ابراهيم ٩٢

والبناء لقلبة الروح القومية المرتكزة على التراث الجاهلى من عادات وتقاليد وطريقة حياة • واحتفظت بالتقاليد الشعرية الفنية ولكنها ظلت متميزة من حيث السمات العامة للعصر من لغة وصور وأسلوب •
(١)

ومعنى ذلك أن للزمن دورا هاما فى التأثير على الشعر الذى كان له فى زمن الجاهلية سماته الواضحة وتقاليده المتبعة فجاء الاسلام بروحه الدينية والاخلاقية فغير فى بعض التقاليد الشعرية واحترم القيم فلا يسىء الشاعر ولا يأتى بفحش كل ذلك على الرغم من أن الشعر الاسلامى الى نهاية العصر الاموى بمفاهيمه الجديدة لا زال يحتفظ بالطابع الجاهلى فى سماته العامة •
(٢)

(١) تحدث الدكتور شوقى ضيف عن تطور الشعر فى العصر الاموى ، وكيف أصبح عليه الحال عارضا الفروق العامة بين شعر الجاهلية وصدر الاسلام والشعر الاموى • " أنظر شوقى ضيف - التطور والتجديد فى العصر الاموى - ط دار المعارف سنة ١٩٦٥) وأرؤ ه معروضة بين دفتى الكتاب •
(٢) تنبه بعض الباحثين الى أن علماء العربية القدامى قد ذهبوا •• فى تدقيقهم الى حد التيهين من قيمة شاعر لا يمكن انكار تفوقه لمجرد أن ولادته كانت بعد ظهور الاسلام ومن ثم نشأت عند علماء العربية طبقة وسط من الشعراء هى طبقة المخضرمين الذين قضوا شببتهم على الاقل فى زمن الجاهلية - ويركلمان ج ١ ص ٣٦ •

كما تنبهوا أن الزمن الجاهلى يؤهل الشاعر للتقديم " وقد اختلف نقاد العرب فى أشعر الشعراء الثلاثة (جرير والفرزدق والاختل) وان مال كثير منهم الى تفضيل الاختل وزعم أبو عمرو بن الملاء : أنه لو أدرك الجاهلية لما تقدم عليه أحد من الشعراء - (يركلمان ج ١ ص ٣٦ •
ولعل أقوال الباحثين الانفة الذكر قد اثبتت جانبين لقضية الزمن :
الاول : تأثير الزمن على شعر الشاعر واصفا الخصائص العامة المعروفة فى فترة زمنية معينة على الشعر •

والثانى : تفضيل الشاعر على غيره لا لفصيله ذاته فيه وانما لمجرد تقدمه فى الزمن / وهذا مرفوض نقديا ولعل الجانب الاول هو المهم نقديا لان الزمن يضى خصائص عامة معينة فى فترة معينة يتسم به شعرتلك الفترة وعلى كسل فى تظهر مدى ما للزمن من اثر نقدى على الشعر حسب مفاهيم النقاد المختلفه

أما الشعر المباسى فقد أخذ طريقاً جديداً أبعد من نسبها عن روح الشعر
الجاهلى لما فيه من روح اسلامية وتقاليد اجتماعية ومثل جديدة .

... فابن سلام اتخذ الزمن اساساً للتقسيم فى كتابه بين جاهليين واسلاميين
" لان الامر لا يقف عند مجرد سير الزمن بل يعدوه الى مضمونه وقد جاء الاسلام
فأحدث فى حياة العرب ثورة روحية ومادية كان لها آثارها البعيدة فى كل
مظاهر نشاطهم (١)

وقد لاحظ ابن سلام هذه الفروق التى أشرنا اليها فجعل شعراء الجاهلية
طبقة ، وجعل شعراء الاسلام طبقة ، والحق بعض المخضرمين بالجاهليين
والبعض الآخر بالاسلاميين .

وابن سلام لا يتخذ أساسه الزمنى عاملاً فى تقديم بعض الشعراء على بعض
حسب الفترة الزمنية التى عاشها الشاعر وإنما جعل التقسيم العام للشعراء فى
أطارين زمنيين عامين - الجاهلية ، والاسلام .

فابن سلام لا يقدم الشاعر فى الطبقة نفسها على شاعر آخر لانه أقدم زمناً . وخير
دليل على ذلك أنه لم يبدأ بالمهلهل ويؤخر عنه امرؤ القيس وهكذا .

فالتقديم والتأخير داخل الطبقة الواحدة أو تقديم طبقة على طبقة من شعراء
الفترة الزمنية ، إنما هو خاضع لمقاييس نقدية معينة ، أى أن التقسيم الزمنى
عند ابن سلام تقسيم عام بين جاهلى واسلامى ، أما بالنسبة للتقسيم الزمنى

بين الشعراء داخل الطبقة الواحدة في تقديم طبقة على طبقة في اطار زمن معين
وتقديم شاعر على آخر أو تأخير عنه بحامل الزمن فلا يضعه ابن سلام في اعتباره .

٢- المكان

—

والاساس الثانى الذي اعتبره ابن سلام أساسا للتقسيم هو البيئة ، وإذا نظرنا
في بيئات الشعراء الذين عدّهم ابن سلام في كتابه وجدناهم ينقسمون الى فئتين :-

١- شعراء البادية :

وهم الشعراء الذين عدّهم في عشرين طبقة كل طبقة أربعة رهط ، عشرين
طبقات جاهلية وعشر اسلامية ، وهم الذين عرفوا عند النقاد — بأهل الـوـر .

٢- شعراء القرى العربية :

وهي خمس : المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة والبحرين ، وجمال
شعراء القرى يلون طبقات الشعراء الجاهليين واصحاب المراثي ويتقدمون حسب
ترتيب الكتاب على طبقات الاسلاميين .

وإذا نظرنا في شعراء القرى العربية وجدناهم خليطا من شعراء جاهليين واسلاميين
ومعهم مخضرمون ، فصلّهم ابن سلام عن شعراء الجاهلية والاسلام الذين خصهم بطبقات
وجعلهم من أهل البادية ولقد تنبه ابن سلام الى أثر البيئة في الشعر مما جعله
يقسم هذا التقسيم فهو يرى أن الشعر يتأثر بالبيئة ، وأن شعر البادية يختلف عن
شعر القرى ، فشعر البادية فيه من القوة وفخامة الالفاظ ما يميزه عن شعر القرى

الذى يشير ابن سلام الى أنه شعر فيه لسين^(١) بين ابن سلام أن مراكنة
الريف ونزول الحواضر سبب في لين الشعر فهو يقول : " وعدى بن زيد
كان يسكن الحيرة ويراكبن الريف فلان لسانه^(٢) " ف شعر عدى تأثر تأثرا
واضحا بالمدينة فجاء شعره مختلفا عن شعر البادية .

ويقول ابن سلام عن شعر قريش : " وأشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل
بعض الاشكال^(٣) "

ان هذا يدل على تنبه ابن سلام لهذه الظاهرة التى تكون سببا لظواهر
أخرى تلازم الشعر اللين ، وهى ظاهرة الوضع والانتحال : " ف شعر قريش
يشكل بعض الاشكال^(٤) " وقصيدة أبى طالب بن عبد المطلب التامدح فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبيض يستسقى الفمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للأرامل
زيدت وطولت^(٥) "

ويقول عنها أيضا : " ورأيت فى كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة :
وقد علمت أن زاد الناس فيها ولا أدري أين منها ها^(٦) "

-
- (١) ابن سلام ٢٤٥
(٢) المصدر السابق ص ١٤٠
(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥
(٤) المصدر السابق ص ٢٤٥
(٥) المصدر السابق ص ٢٤٤
(٦) المصدر السابق ص ٢٤٤

ويقول عن عدى بن زيد : " كان يسكن الحيرة ويраكن الريف فلان لسانه
وسهل منطقته فحمل عليه شيء كثير وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف الأحمر
وخلط فيه المفضل فأكثر^(١)"

كما أن للظواهر البيئية أثرا في كثرة الشعر وقلته . فالبادية تكثر فيها
الحروب بين القبائل المطاخنة بينما تقل في المدن والقرى حيث الترف وانشغال
الناس عن الحروب كما عرفت ذلك مكة والطائف قبل البعثة بقله الحروب التي
كانت تشتد في البادية بين القبائل بل كان أهل مكة والطائف منشغلين بالتجارة
والزراعة ، وقد أدرك ابن سلام أثر ذلك فقال : " والطائف شعر وليس بالكثير
وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج
أو قوم يفيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم
يحاربوا وذلك الذي قلل شعر عمان^(٢)"

كما أن للصحراء أثرا في قوة ملكة الشعر عند العرب ، فأكثر الشعر الجاهلي
جاء من البادية ، وقد تنبه الشعراء أنفسهم لذلك ، يروى : " أن النابغة قال
للنعمان :

(١) ابن سلام ص ١٤٠

(٢) ابن سلام ص ٢٥٩

تراك الارض امامت خفًا * وشحى ان حيت بها ثقيلًا

فقال النعمان : هذا بيت ان أنت لم تتبعه بما يوضح معناه كان الى الهجاء
أقرب منه الى المدح ، فأراد ذلك النابغة فمسر عليه فقال : أجلنى فقال أجلتك
ثلاثا فان أنت أتبعته بما يوضح معناه فلك مائة من المصافير النجائب ، والافضرية
بالسيف أخذت منك ما أخذت ، فأتى النابغة زهير بن أبى سلمى

فأخبره الخبر فقال زهير : أخرج بنا الى البرية فان الشعر برى " (١)

ويظهر لنا من هذا النص أن للبرية أثرا فى استجلاب الشعر ووضوح المعنى
ولذلك خرج اليها الشاعران يلتزمان بيتا يفسر بيت النابغة ويخرجه من مأزقه .

ومما يبين أثر البيئة فى الشعر أيضا أنك تجد فيه صورة البيئة التى يعيش فيها
الشاعر ، من وصف للمنازل ، والظواهر الطبيعية ، ولعل شعر ذى الرمة الذى
انقطع به الى وصف الصحراء وما فيها خير دليل .

كما أن البيئة العربية الخالصة كانت منبعا للشعر الاصيل الذى كان
العلماء يرحلون اليه ليأخذوه من البيئة التى ظهر فيها ، ولا يأخذون ما شعاع
فى المدن خشية الاختلاط والاضطراب .

ومن هنا نرى أن : " العرب أحسوا أثر البيئة فى الشعر ، حقيقة أنهم لم
يحسوا ذلك الاثر فى طبيعة الشعر نفسها وفى مذاهبه وفنونه يقدر ما أحسوه فى
شكل بنيته وصلاحيته لان يعتمدوا عليه فى تصحيح معنى أو تصريف مادة " .

فهموا أن إقامة ابن قيس الرقيات ^{بتكرير} أثرت في فصاحته الخجازية ، وأن من شأن
شاعر كعدي بن زيد أن يتأثر بمن حوله من الاخلاق ، ويتأثر بالبيئة الحاضرة
التي هو فيها ، فينال ذلك من ملكته في الشعر ومن فصاحته في اللغة ^(١) ولعل
هذا يوضح نظرة ابن سلام النقديه وتقسيمه الشعراء بين بادية وحضر لان شعر
البادية يختلف عن شعر القرى اختلافا واضحا .

كما أن نظرة النقاد أنفسهم الى الشعر تختلف من بيئة الى بيئة ، ومن ذلك
ما قاله ابن سلام : " كان كثير شاعر أهل الحجاز ، وانهم ليقدمونه على بعض
من قدمنا عليه ، وهو شاعر فحل ولكنه منقوس خطه بالمراق ^(٢) "

وقد علق بعض الباحثين على تقسيم ابن سلام فقال الدكتور محمد مندور : " ان
ابن سلام عندما وزع الشعراء بين الجاهلية والاسلام وقسم هؤلاء الى طبقات
نظر فوجد أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة بل ظلوا متصلين كل
بقريته وهم ما يمكن أن نسميهم الشعراء الاقليميين فجمعهم في باب شعراء القرى
مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين — وهذه الظاهرة من مختلفات الروح الجاهلية
روح الاقليم والقبيلة التي لم يستطع الاسلام أن يحوها فظلت مصدراً للفتن والقتال
في تاريخ العرب السياسي والمفارقات والتلوين في تاريخهم الادبي ، ومع هذا

(١) طه ابراهيم ص ٦٩

(٢) ابن سلام ص ٥٤

فابن سلام يفاضل بين شعراء كل قرية فيجعل من حسان أشعر المدنيين
ومن عبد الله بن الزمعي أروع المكين^(١)

ومع أن الدكتور محمد مندور قد أثبت حقيقة تقسيم الشعراء إلى أهل بادية
وقرى • إلا أنه نظر نظرة جديدة وهى أن التقسيم ظاهرة من مخلفات الروح
الجاهلية •

ان ابن سلام قد نظر إلى هذه الحقيقة (حقيقة التقسيم البيئى) من زاوية
نقدية بحتة ، فشعر البادية ليس كشعر القرى العربية ، فالشعر البدوى فخم
الالفاظ غزير المعانى قوى البناء يرسم ما فى البيئة من ظواهر اجتماعية
وطبيعية ، يتجلى ذلك فى شعر الوصف والفخر وشعر الحرب والفزل ونحوه —
الفنون الشعرية وهذه حقيقة لا غبار عليها •

أما شعر القرية فانه لين الالفاظ سهل المنطق يسهل تقليده وتخليصه من
المنحول صعب ، ذلك أن سهولة الالفاظ وقرب المعانى وضعف البناء اذا ما قورن
بالشعر البدوى يجعل الانتقال فيه اكثر وتخليصه شديدا •

وقد عرّف ابن سلام نماذج من ذلك وبين أن : " شعر قرى فيه لين فـهـو
يشكل بعض الاشكال^(٢) كما أشار أن لين شعر عدى بن زيد العبادى راجع
للبئسة الحضرية^(٣) فحمل عليه شئ كثير وتخليصه شديد •

(١) محمد مندور — النقد المنهجى ص ١٢

(٢) ابن سلام ٢٤٥

(٣) ابن سلام ١٤٠

إذا نظرنا في الشعر الذي أورده ابن سلام لشعراء القرى العربية في كتابه طبقات الشعراء نجد أنه يخلصو تقريبا من ميزات الشعر الجاهلي وشعر صدر الاسلام لا نرى فيه افتتاح القصائد والوقوف على الاطلاق — والفزل الشائع الذي كان ظاهرة واضحة في الشعر الجاهلي — فلم يورد ابن سلام شعرا غزلا لشعراء القرى عدا قصيدة للمثقب العبدى .^(١)

ولعل دراسة شعر القرى العربية لمعرفة خصائصه ومدى اختلافه عن الشعر الجاهلي يحتاج الى جهد كبير ولكنه سيعطى توضيحا لموقف ابن سلام من جعلهم فئة مستقلة^(٢) ولذلك فان تقسيم ابن سلام الشعراء الى جاهليين ومخضرمين واسلاميين في عشرين طبقة كلهم من البادية — وافراده شعراء القرى العربية يدل على ميزات في الشعر قام على أساسها التقسيم .

ولا نجهد أن ابن سلام كان يقسم الشعراء حسب الجودة الشعرية ولا أرى أن جودة شعر القرى تصل الى جودة شعر البادية الذي كان يحتج به العلماء في عصر ابن سلام في اللغة وغيرها .

وناحية أخرى أشار اليها ابن سلام تدل على ضعف شعر القرى ، وهي قوله عن شعر قريش : " ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم " ^(٣) إلا أن

(١) ابن سلام ص ٢٧٢

(٢) ليس من الشهل هنا أن أتبع شعر القرى وأقوم بدراسته ، لأن ذلك جدير

ببحث مستقل .
(٣) ابن سلام ص ٢٤٧

(١)

هذا الضعف ليس عما فقد استجاد لهم أشمارا .

... أما المفاضلة بين شعراء القرية الواحدة وجمله حسان أشعر أهل المدينة

وابن الزبيري أبرع أهل مكة فقد كانت خاضعة لمقياس الجودة والكثرة والشهرة

الشعرية التي اتخذها ابن سلام مقياسا له ، ومعنى ذلك أن ابن سلام قسم

هذا التقسيم بدافع نقدي فني عرّضه أسباب التقسيم تلميحاً من خلال حديثه

عن شعراء القرى ، وهذا التقسيم بعيد كل البعد عن التزامم بظاهرة من مخلفات

عصر معين . وعن التقسيم البيهقي رأيت الشاطي أن البيهقي ليست ذلك

العامل الكبير المؤثر في الشعر . وتستدل بشعر النابغة الذي عاش في قصور

المناذر بالحيرة حيث الحياة المترفة الناعمة في أعلى مستوى عرفته بيئة حضرية

لمرب الجاهلية (٢) وتقول " ما سمع ما قاله أبو عبيدة في شعر هذا النابغة :

" ان شئت قلت ليس بشعر مؤلف من تأنيثه ولينه ، وان شئت قلت صخرة لورديت

بها الجبال لأودتها (٣) وتقول " لقد كنا نخرج من جهد المقارنة بين

شعر البدو وشعر الحضر في الجاهلية بمطاء قليل ، لا يزيد على بعض

ظواهر شكلية وفروق لفظية وأسلوبية لا تعطى قيما فنية أو خصائص جوهرية

(١) ابن سلام ٢٣٣ - ٢٥٨ حيث ذكر أشمارا استجادها ضمن حديثه عن شعراء مكة .

(٢) بنت الشاطي - قيم جديدة في الأدب العربي (ط دار المعارف ٧٠م)
ع ٢٣

(٣) بنت الشاطي ٢٣ - ٢٤

(١) ذات بال " كما ترى أن لا فرق بين حياة الشاعر الجاهلي في مكة أو يشرب
أو الطائف وحياة الشاعر في الصحراء ، لأن الحضري " لم يكن يركب سيارة
ويستضيئ بنفاز أو كهرباء حين كان معاصره في صميم البادية يركب الناقصة
(٢) ويوقد النار "

وفي الحقيقة أن هذه الملاحظات جديدة بالمناقشة وإن كانت لا تعد ومناقشتها
نقطتين :

أولهما : أن حياة الشاعر المؤقتة في قصر لفترة محدودة لا يمكن أن تفسر
في حياته الحقيقة التي يعيشها بين قومه وعشيرته ، كما أن وصوله إلى القصر
مادحا في وقت اكتملت فيه مواهبه ورسمت اتجاهها فنيا يلتزم به لا يجوز لنا
تطبيق ميزات تلك البيئة عليه ، لنجعلها فارقا بين بيئتين مختلفتين وإن غزت الفاظ
قليلة شعره في مناسبة عارضة فليس معنى ذلك أن نطلق حكما دائما ، والناطقة
شاعر جاهلي كان يقسم شعره بميزات شعر البادية إلا أنه كان يعدح المناديه
كما قصدا مرؤ القيس قيصر وكما قصد الإسلاميون بعد قصور الخلفاء .

(١) بنت الشاطي ص ٢٣

(٢) بنت الشاطي ص ٢٤

ثانيهما : أن القرى العربية قد اتسمت بطابع حضارى معين ، ومعيشة معينة بين تجارة وزراعة ، وهى وأن فقدت مظاهر المدينة الراقية التى تتصورها بمفاهيمنا الحاضرة فانها لم تكن مساوية للمظاهر الاجتماعية البدوية ، ولم تحط شعراءها تلك العوامل التى أحاطت بشعراء الجاهليين ، ولا ينكر أحد من المؤرخين أن الحياة فى القرى كان تتسم بطابع لا تعرفه البادية وهذا كفىل بايجاد فوارق فنية ظهرت على الشعر العربى . ومن يدرس شعر البيئتين فى هذا العصر تظهر له الفوارق خاصة تلك التى أشار اليها ابن سلام .

ثم أن ابن سلام قد اعطى أحكامه على قدر ما فى عصره من مظاهر واضحة وقد أجعلها فى : لين الشعر وقلته عارضا أسباب ذلك ، ومن هنا كان تقسيمه وجيها من وجهة النظر النقدية .

والى جانب ما أفرد به ابن سلام عن شعراء القرى العربية وجعله أساسا من أسس تقسيم الشعراء الى مجموعات فى كتابه الرائد فانه يجدر بنا أن نشير الى أن — ابن سلام أشار الى الطبقة السادسة من الاسلاميين بأنها " حجازية " ^(١) وهذا تحديد مكانى ، ولعل الحاقه هذه الطبقة بطبقات الاسلاميين وفصلها عن شعراء القرى العربية عائد الى أن شعرها يلحق بشعر البادية ويتميز فنيا عن شعر القرى ولذلك الحقها بالاسلاميين من أهل الهمز وفصلها عن شعراء

الحاضرة المعروفة بالقرى العريضة .

٣- الفن الأدبي

اتخذ ابن سلام الفن الادبي أساسا للتقسيم في كتابه حيث أفرد أصحاب المراثى فى طبقة والحقهم بطبقات الجاهليين فقال : " وصيرنا أصحاب المراثى طبقة بعد العشر الطبقات وأولهم متم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع رثى أخاه مالكا والخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظه بن عصبه بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثمة رثى أخويها صخرا ومعاوية ، وأعشى باهلة ٠٠٠ رثى المنتشر بن وهب بن عجلان بن سلمه بن كرائه بن هلال بن عمرو بن سلامه بن ثعلبة بن وائل بن معن ، وكعب بن سعد بن عمرو بن عتبة - أو علقمة بن عوف بن رفاعه أحد بنى سالم ابن عبيد بن سعد بن جلان بن غنم بن غنى بن أعصر ، رثى أخاه أبا المخوار (١) ولم يشر ابن سلام فى مقدمته الى هذا التقسيم ، حيث أشار الى أنه وضع الكتاب فى طبقات الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ، وأنه جعل الجاهليين عشر طبقات أربعة رهظ كل طبقة (٢)

(١) ابن سلام ٢٠٣ - ٢٠٤

(٢) ابن سلام ٢٤٠

ثم نهج هذا النهج عند تقسيم الاسلاميين حيث قال : عشر طبقات كل طبقة أربعة رهط متكافئين معتدلين .^(١)

فمقدمة ابن سلام التي رسم فيها عمله في الكتاب لم تشر الى أنه أفرد طبقة المراثي وشعراء القرى العربية ولو كانت طبقة المراثي ضمن الطبقات العشر الجاهلية لما أثارت استغرابا ، ولعل ابن سلام عندما استكمل العشر الطبقات الجاهلية رأى أن هذه الطبقة تستحق أفرادها نظرا لأن شعراءها قد اشتهروا بفن شعري معين .

وهذه النظرة من ابن سلام نظرة نقدية تهتم بفنون الشعر وتبنى أحكامها على الجودة التي اتخذها ابن سلام مقياسا .

الرثاء فن شعري صادق ، ذلك لأن الشاعر عندما يرثى يكون غالبا صادقا العاطفة والمشاعر والاحاسيس بعيدا عن بواعث الشعر المادية من رغبة ورهبة ونحوها ، خاصة اذا كان الرثاء للأقربين ،

ونلاحظ أن ابن سلام أفرد هؤلاء الشعراء في طبقة لما شاع عنهم من صدق في العاطفة ونبل في الاحاسيس وجراءة في الوجدان فمثل شعرهم أرقى مستوى للشعر من حيث أصالته الفنية .

ولعل ابن سلام لهذه الاسباب اقتصر على أفرادهم في طبقة خاصة بينما لم يخص شعراء الفنون الاخرى ويفردهم في طبقات ، خاصة وأن ابن سلام ينظر

للقيمة الفنية الشعرية وللناحية الخلقية بعين الاعتبار.

فالرثاء أصدق الشعر . روى الجاحظ أنه قيل لأعرابي : " ما بال المراثي أجود أشعاركم ؟ قال : لاننا نقول وأكبادنا تحترق " (١)

وكانت بنو أمية لا تقبل الرواية إلا أن يكون راوية للمراثي ، قيل : ولم ذاك ؟ قيل : لانها تدل على مكارم الاخلاق (٢)

فابن سلام " اقتصر على المجودين في المراثي ، ولعل السبب في تخصيصه تلك الطائفة طائفة أصحاب المراثي بالذكر دون غيرهم من الذين عالجوا سائر الأغراض أن شعر الرثاء هو أغزر ألوان الشعر بالمعاطفة " (٣) ولقد أشار الدكتور محمد مندور الى نظرة ابن سلام وعلى لها بقوله : " فمن الشعراء الأصليين من انفرد لفن بذاته وهم لم يقصدوا الى ذلك الفن بل سيقوا اليه بدوافع من حياتهم وهؤلاء هم أصحاب المراثي متم بنويرة والخنساء وأغشى بأهلته وكعب بن سعد الفنوي ولقد فطن ابن سلام بذوقه الأدبي السليم الى أن هؤلاء الشعراء ليسوا كغيرهم ممن صدروا عن فن بل هم انسانيون قالوا الشعر لشفاء نفوسهم مما تجسد فلم تأتهم ائتهم مدحا للميت

(١) الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٠) ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٢) بدوى طبانة - دراسات في نقد الأدب العربي (- م الانجلو مصرية ١٩٦٥ م) ص ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٦ .

فحسب بل عبارتهن المهم هم لفقد ذويهم ، حتى أن المديح نفسه ليلونه
الأسى ، ولذلك أفردهم - فيما نظن - بفن خاص وان لم يذكر السبب ثم
أنه لم يكتب بهذا بل فاضل بينهم كما فاضل بين شعراء القرى فقال : والمفضل
(١)
عندنا فتم بن نويره

وهذه ملاحظة جديدة بالاهتمام • خاصة وأن ابن سلام لم يفرد أصحاب
الفنون الأخرى في طبقات مستقلة بل لعله أدمجهم في طبقات أخرى ، فقد أدمج
طبقة الفزليين الحجازيين في طبقات الإسلاميين وجعلها السادسة ضمن
الطبقات العشر الإسلامية ، ولم يفصلهم عن شعراء زمانهم ، بل عم عليهم
أحكامه النقدية التي قسم بها الشعراء في طبقات ، ونهج عند الحديث
عنهم نهجه عن الشعراء الآخرين ، كما أفرد الرجاز في طبقة ضمن طبقات
الإسلاميين •

ومن ذلك يتضح لنا أن ابن سلام أفرد طبقة المراثي لادراكه أن الفن
الأدبي له قيمته وأنه متى خضع لأحكام معينة تتمثل في الأصالة وصدق
ال عاطفة والبعد عما يحط من قدر الشعر من بواعث ، كان ذلك مدعاة لاهتمام
النقاد ، كما أن لانقطاع الشاعر إلى فن معين أثرا في قيمة شعره الفنية ، ويؤيد
ذلك إهماله شعر النقائض والفزل اللاهى الذى عرف فنا مستقلا قبل تأليف
الكتاب بالاضافة الى ما فى هذين الفئيين من تنكر لمبادئ الاخلاق تلك

المبادئ التي اهتم بها ابن سلام اهتماما ظاهرا .

ولم يخفى ابن سلام عن قواعد النقدية من حيث التفصيل والتقديم والتأخير
تلك القواعد التي عومل بها في الكتاب وعامل بها أصحاب المراتى كما عامل
الطبقات الأخرى وعلى أى حال فان وضعه الغزلين فى طبقة ، والرجاز فى
طبقة ، وأصحاب المراتى فى طبقة يظهر اهتمامه بأهمية الفن الأدبى
ودور ذلك فى النقد .

٤- الناحية الدينية

تقسيم ابن سلام للشعراء الى جاهليين واسلاميين ومخضرمين ، تقسيم زمنى
لا غبار عليه الا أن التقسيم نفسه يعنى تقسيما دينيا ، فالجاهليون هم
أو لئك الشعراء الذين كانت لهم معتقدات دينية معينة ، والمخضرمون هم
الذين جمعوا بين معتقدات جاهلية فى فترة من الزمن ، وبين تعاليم الاسلام
فى فترة أخرى ، فتأثر شعرهم بهذا الاختلاف من الناحية الدينية والناحية
الفنية ولعل ذلك ظهر واضحا عند شعراء القرشيين .

أما بالنسبة للاسلاميين فهم الذين تفتحت قرائحهم الشعرية وقد عم الاسلام
وانتشر فلم يعرفوا ديناً غيره وترفع الشعراء عما يخل بمعتقداتهم الاسلامية
الفاضلة .

وليس هذا حكما على ابن سلام أنه اتخذ هذا التقسيم من الناحية الدينية

فحسب لان الزمن هو أقرب ما يحكم به على هذا التقسيم .

الا أن ابن سلام لاحظ أن الجزيرة العربية التي رصد فحول شعرائها في كتابة تحوى ثلاث طوائف : الجاهلية والاسلامية واليهود ، أما المسيحية فلم تكن ذات شأن في الجزيرة اذا استثنينا اليمن ونجران التي قرر ابن سلام في مقدمته أن لغة اليمن ليست بلفتنا ولسانهم غير لساننا (١) واذا استثنينا عدى بن زيد الذى جعله مع طبقات الجاهليين لتقدم زمانه . مع اشارته الى لين شعره وسهولة منطقة خلافا لشعراء طبقتة .

لاحظ ابن سلام الناحية الدينية فأفرد شعراء اليهود في قسم من الكتاب يقول : " وفي يهود المدينة واكتافها شعر جيد " (٢)

فابن سلام أفرد شعراء يهود المدينة في باب خاص أطلق عليه " شعراء يهود " ومعنى ذلك أنه يأخذ بعين الاعتبار التقسيم الدينى ، فهو لم يجعل شعراء اليهود ضمن الطبقات الجاهلية أو الاسلامية ، كما لم يجعلهم ضمن شعراء المدينة عندما جمع شعراء القرى العربية واحداهن المدينة في باب ، وجميع اليهود الذين ذكرهم من المدينة كما أوضحنا .

فالناحية الدينية أمر تنبه له ابن سلام وأدرك أثره على الشعر ولذلك أفرد شعراء اليهود في باب ، كما أفرد الاسلاميين في طبقات ، وقد عد من شعراء اليهود ثمانية : السموأل بنى عاديا ، والربيع بن أبى حقيق من بنى النضير وكعب الاشرف من طي ، وأمه من بنى النضير وشريح بن عمران ، وسعية بن

(١) ابن سلام ص ١١

(٢) ابن سلام ص ٢٧٩

العريض ، وأبو قيس بن رفاعه ، وأبو الذيال ، ودرهم بن زيد .
وهو بهذا يخالف نظامه في طبقات الجاهليين والاسلاميين وطبقة أصحاب
المراثى حيث قصر كل طبقة على أربعة رهط ، أما في شعراء
اليهود فقد عددهم ثمانية على خلاف ذلك كما فعل عند عرضه شعراء القرى
العربية حيث لم يقتصر على أربعة فقط .

من هذا نخلص الى أن ابن سلام وضع أساسا لتقسيم الشعراء الى
مجموعات في كتابه من حيث الزمان والمكان ، والفن الأدبي ، وديانة
الشاعر ..

=====
x x
)

(الفصل الثانى)

(التقسيم الى طبقات باعتباره عملا نقديا)

قسم ابن سلام الشعراء فى كتابه الى طبقات - وجعلهم خمس فئات
طبقات الجاهليين وطبقات الاسلاميين ، وجعل المخضرمين ضمن الجاهليين
والاسلاميين ، ثم طبقات أصحاب المرائى ، وطبقات شعراء القرى العربية وطبقات
شعراء اليهود ، ولم يشرف فى مقدمته الا الى طبقات الجاهلية والاسلام والمخضرمين
يقول : " ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين الذين كانوا
فى الجاهلية وأدركوا الاسلام فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا
له من حجة وما قال فيه العلماء ^(١) فهو يرسم فى مقدمته عمله النقدى ، وهو
تقسيم الشعراء الى أقسام ثلاثة : جاهليين واسلاميين ومخضرمين ، ثم وضع
كل شاعر فى منزلته محتجا له بما وجد له من حجة وما قال فيه العلماء
وهو بذلك يضع أساسا نقديا يعتمد على أقوال العلماء بالشعر والنقد ويظهر
لنا أن ابن سلام فى تقسيمه انما ينقل لنا آراء العلماء ويطبق تلك الاحكام النقدية
الشائعة فى عصره والمعروفة بين العلماء والمنقولة عن علماء متقدمين ، اذا اختلفت
الرواة والناس فى الحكم . يقول : " وقد اختلفت الناس والرواة بينهم فنظر قوم من
أهل العلم بالشعر والنفاة فى كلام العرب والعلم بالعربية اذا اختلفت الرواة
فقالوا بآرائهم وقالت المشائىر بأهوائها ، ولا يقنع الناس مع ذلك الا الرواية

(١)
عن تقدم

فالإسناد النقدي الذي يعتمد عليه ابن سلام في هذا التقسيم هو قول أهل العلم
بالشعر والنفاذ في كلام العربية ، يقول عن شعراء الطبقة الأولى : " ثم إننا
اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عن مضي من أهل العلم إلى رهط أربعة
اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة ثم اختلفوا فيهم بعد ، وسنسوق اختلافهم
واتفاقهم ، ونسب الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم ، وليس تبدئنا
أحدهم
في الكتاب نحكم له . ولابد من مبتدأ . ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون
في الحديث والمعنى (٢)

فأختياره قائم على اختيار العلماء عامة ، حيث اتخذ ذلك مبدءاً للتقسيم إلى
طبقات ، مدلاً بذكر الحجج لتقديم الشاعر أو تأخيرها مستشهداً بالأبيات التي
تكون سبباً للتقديم .

وكان تقسيم ابن سلام قاصراً على الفحول من الشعراء ، فجميع الذين عددهم
في الطبقات شعراء فحول ، كما ذكر عنهم ، يقول : " فأقتصرنا من الفحول
المشهورين على أربعين شاعراً (٣)

فالشعراء الذين ذكرهم في طبقات الجاهلية شعراء فحول .

وقد قسم ابن سلام طبقات الجاهليين إلى عشر طبقات أربعة رهط في طبقة ، وجعل

(١) ابن سلام ٢٤
(٢) ابن سلام ٤٩ ٥٠٥
(٣) المصدر السابق ص ٢٤

ميزان التقسيم التشابه في الشعر ، والتكافؤ والاعتدال ، وهذا بلا شك تقسيم نقدي قائم على الموازنة بين الشعراء ، والتوفيق بين شعر كل طبقة ، يقول :
" فالفنا من تشابه شعره^{منهم} الى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين^(١) متخذوا اقوال العلماء أساسا لهذا التقسيم^(٢) .

وهذا الميزان الذي اتخذه أساسا للتقسيم عند الجاهليين هو نفس الميزان الذي اتخذه في تقسيمه للشعراء الاسلاميين حيث يقول : " طبقات الاسلام عشر طبقات ، كل طبقة أربعة رهط متكافئين معتدلين^(٣) " فالتكافؤ والاعتدال الأساس الذي يبنى عليه تقسيمه النقدي الى طبقات . ونستطيع ان نستنتج من ذلك أن شعراء الطبقة الواحدة متكافئون فسي سرهم معتدلون في الحكم عليهم ، يتفاوتون مع طبقة أخرى ، وأن تفاوتت مقاييس التقديم فان تسلسلهم الواحد تلو الآخر يبين مقياس المفاضلة بين شعراء الطبقة الواحدة .

وللزمان أهمية في التقسيم الى طبقات ، فنحن نجد ابن سلام يجمع لشعراء الجاهلية في طبقات ، وشعراء الاسلام في طبقات وقد جعل المكان أحيانا أساسا للتقسيم ، حيث قسم شعراء الطبقات الى أهل مصر وهم الجاهليون والاسلاميون والمخضرمون ، وأهل حضر وهم شعراء القرى المصرية .

(١) ابن سلام ٢٤

(٢) ابن سلام ٤٩ - ٥٠

(٣) ابن سلام ٢٩٧

كما جعل الفن الادبي احيانا اخرى أساسا فعد طبقة أصحاب المراثى طبقة
مستقلة . كما جعل الديانة أحيانا أساسا حيث عد شعراء اليهود طبقة
مستقلة هذا من حيث التقسيم العام الى طبقات جاهلية واسلامية وأصحاب
مراث وشعراء قرى وشعراء يهود .

أما بالنسبة للتقسيم داخل الطبقة الواحدة من حيث التقديم والتأخير
والمفاضلة ، فقد اعتمد ابن سلام أساسا للمفاضلة ، تتمثل في المقياسين النقدية
التي طبقها ابن سلام ^(١) والتي كانت لا تخرج عن أحكام علماء عصره وأهل الرأي
في الشعر .

وإذا ما نظرنا الى تقديم الشعراء أو تأخيرهم في الطبقات نجد أن ابن سلام
لا يهتم بتقديم الشاعر لتقدم زمانه ، فهو يقدم أمراً القيس ورهطه على المهلهل
حيث يجعل من الطبقة الاولى الجاهلية : " أمراً القيس ، والناخبة الذبيانية
وزهير بن أبي سلمى . والاعشى ^(٢) وهو يقرر أن المهلهل أول الشعراء زمناً
حيث يقول " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة
التغلبى ^(٣)

ولعل الحجة له في ذلك أن شعره لم يكن من الجودة بحيث يجعله ضمن

(١) وهذه المقياس هي (جودة الشعر ، كثرته ، لونه ، تعدد الاغراض الفنية
المقياس الخلقى ، المقياس الفنى) .

(٢) ابن سلام ص ٥١-٥٢

(٣) ابن سلام ص ٣٩

الطبقة الاولى الجاهلية فهو يقول : " وانما سمى مهلهلا لهلهلة
شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه " (١)
على زمن امرئ القيس .

وكذلك فقد قدم النابغة وزهيرا على اوس بن حجر وهما أحدث منه
سوا ، (٢) وأخر طرفة وعبيدا وعلقمه وعديا الى الطبقة الرابعة (٣) وفي
الطبقات المتقدمة شعراء أحدث منهم سنا وأقرب زمنا (٤) .

وقد أخطأ في الطبقة الاولى من الاسلاميين وجعله ثالث الفرزدق
وجرير : " وكان الاخطأ من أسن أهل طبقته " (٥) ، وأخر كعب بن جعيل
الى الطبقة الثالثة من الاسلاميين . " وهو شاعر مخلق قديم في أول الاسلام
أقدم من الأخطأ والقطامي " (٦)

وهذا يدلنا بلا شك على أن ابن سلام لا يعتبر تقدم زمن الشاعر أساسا
لتقديمه وانما يخضع التقديم لمقاييس نقدية معينة خاضعة لآراء علماء عصره ، وقد
قدم الغلب الراجز وقال عنه : " وكان مقدما ، يقال أنه أول من رجز " (٧) ، فهو
يقدم الحكم في تقديمه فنيا ويقول عنه وكان مقدما : أي عند أهل العلم ، ويؤخر

(١) ابن سلام ص ٣٩
(٢) ابن سلام ص ٩٧ : يقول " كان اوس نحل فصر حتى نشأ النابغة وزهيرا
فأحملاه ، وكان زهير راويته " وهذا يدل بلا شك على أنهما أحدث منه سنا ،
فقد كان شاعرا قبل نشأتها .
(٣) ابن سلام ص ١٣٧ (٤) وهذه ظاهرة واضحة في كتاب الطبقات
(٥) ابن سلام ص ٤٥٤ (٦) ابن سلام ص ٥٧٢
(٧) ابن سلام ص ٧٣٧

الحكم بكونه أقدم الرجاز زمنا . . . فهو لا يهتم بتقديم الشاعر زمنا —
بقدر ما يهتم بتقديمه فنيا .

كما أنه لم يقدم الشاعر في الطبقة على غيره لسؤده ومجده ومكانته وشرفه ،
نراه يقول عن الراعي النيمري : " كان من رجال العرب ووجوه قومه " (١) ومع
ذلك لم يقدمه على طبقته مع أنه من رجال العرب ووجوه القوم ، ولم يذكر
عن الثلاثة الذين تقدموه أنهم من رجال العرب ووجوه القوم ، ويقول : " فنهشل
ابن حري شاعر شريف مذكور ، وأبوه حري شاعر مذكور ، وجده صخرة بن
صخرة شريف فارسي شاعر بعيد الذكر كبير الامر ، وأبوه صخرة بن جابر
سيد ضخم الشرف بعيد الذكر ، وأبوه جابر له ذكر وشهرة وشرف وأبوه قطن له
شرف وفعال ، وذكر في العرب ، فهم ستة كما ذكرنا لا أعلم في تميم رهط —
يتوالون توالى هؤلاء " (٢)

ومع ذلك كله من الشرف والشجاعة وبعد الذكر واتصال السؤد فيه وفسي

آبائه وأجداده يؤخره الى الطبقة الرابعة .

ويقول عن عبد الله بن همام السلولي : " كان رجلا له جاه عند السلطان ووصلة
بهم وكان سريرا في نفسه له همة تسمويه ، وكان عند آل حرب مكينا حظيا فيهم " (٣)

(١) ابن سلام ص ٥٠٢

(٢) ابن سلام ص ٥٨٣

(٣) ابن سلام ص ٦٢٥

ومع ذلك يؤخره الى الطبقة الخامسة .

ويقول عن مزاحم بن الخارث المظلي " كان شجاعاً " (١) ومع ذلك يؤخره

الى الطبقة الماشرة .

وكما جعل ابن سلام تقسيم الطبقات عائدا لاهل العلم ، فانه جعل رأى

الملماء أساسا للتقديم والتأخير والتفضيل بين شعراء الطبقة الواحدة او مقارنة

شاعر من طبقة بشاعر من طبقة أخرى ، وجعل الفضل في التفضيل والاحتجاج

لأهل العلم ، يقول : " أخبرني عيسى بن يزيد بإسناد له عن ابن عباس

قال : " قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم ، قلت : من هو يا أمير

المؤمنين قال : زهير ، قلت : وكان كذلك ؟ قال : كان لا يماثل بين

الكلام ولا يتبع وحشيته ولا يمدح الرجل الا بما فيه " (٢) ويقول : " وأخبرني

عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامه بن موسى ، وكان من علماء أهل

المدينة أنه كان يقدم زهيراً ، قلنا : فأى شعره كان أعجب اليه ؟ قال : التي يقول

فيها :

(٣)

قد جعل المبتغون الخير في هرم * والسائلون الى أبوابه طرقاً

(٤)

ويقول : " قال أهل النظر : كان زهير أحصفهم شعراً وأبعدهم من سخر " (٥)

وقال يعنى أهل الطبقة الأولى من الاسلاميين : " فأختلف الناس فيهم

(١) ابن سلام ص ٧٧٠

(٢) ابن سلام ص ٦٣ (٣) ابن سلام ص ٦٣ — ٦٤

(٤) ابن سلام ص ٤٤

(٥) يقصد بالناس الملطاء ، لانه لا يقبل الحكم عن غير عالم . انظر في ذلك في

ابن سلام ص ٤

أشبه الاختلاف وأكثره وهامة الاختلاف أو كله في الثلاثة ، ومن خالف في الراعي

قليل كأنه آخرهم عند العامة ، سمعت يونس بن حبيب يقول : ما شهدت مشهدا

قط ذكر فيه جرير والفرزدق فأجمع^{أهل} ذلك المجلس على أحدهما ، وكان يونس

يقدم الفرزدق بغير إفراط ، وكان المفضل الراوية يقدمه مقدمة شديدة^(١)

ونقل عن عبيدة بن هلال حكمه على جرير والفرزدق ، وبين أثر تقديم

الناس لبيدا على خدش يقول : " فخدش شاعر ، قال أبو عمرو بن العلاء هو

اشمر في قريحته لشعر من لبيد ، وأبى الفاس الا تقديم لبيد^(٢) "

وقد عرس أراء أهل الأمصار في التقييم والتأخير ، أخذوا برأي أهل البصرة

إذا اختلفت الأمصار . يقول : " أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا

يقدمون أمرا القيس بن حجر ، وأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل

الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والناطقة^(٣) "

ويأخذ برأي أهل العراق ويفضله على رأي أهل الحجاز ، يقول : " وكان

كثير شاعر أهل الحجاز وأنهم ليقدمونه على بعض من قدمنا عليه ، وهو شاعر فحل

ولكنه منقوس حظه بالعراق^(٤)

(١) ابن سلام ج ٢٦٩

(٢) ابن سلام ج ٣٨٣

(٣) ابن سلام ج ١٤٤

(٤) ابن سلام ج ٥٥٢

(٥) ابن سلام ج ٥٤٠ وانظر ج ٥٣٤

من هذا يظهر لنا أن ابن سلام يخضع في أحكامه لأراء أهل العلم فيقدم من قدموا ويؤخر من آخروا - خاصة أهل العراق ، وهو بهذا يجعل الشعراء الذين اختارهم في طبقاته وأخضعهم لمقاييسه النقدية لا يخرجون عن حكم أهل العلم والنظر .

فابن سلام يربط بين المقاييس النقدية التي أقام عليها عمله في الكتاب ، وبين أراء العلماء ، فهو يحتج بما يقولون ويجعله أساسا لأحكامه النقدية ، نراه يرصد أراء علماء العصر مضيئا اليها ذوقه النقدي ، فهو أحيانا لا يأخذ برأى عالم واحد لم يشيع رأيه ، فمتى خن الرأي عن الإجماع أو تعارض مع النظرة النقدية العامة في عصره فإنه يتركه جانبا . يقول : ناقل قول ابن اسحق " أشعر أهل الجاهلية مرقش وأشعر أهل الاسلام كثير " : أن ذلك القول لم يقبل ولم يشيع .^(١)

وقد بين ابن سلام أن لتعصبا لقبيلة دورا في تقديم الشاعر حتى ولو كان لا يستحق ذلك التقديم ، يقول : " سألت بشار المعري : أي الثلاثة أشعر ؟ فقال لم يكن الأخطل مثلها ، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت فهذان - قال كان لجريير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ."^(٢)

وقد جعل ابن سلام الشعراء أنفسهم مصدرا يحتج بأرائهم في الشعر والشعراء

(١) ابن سلام ٥٢ وانظر ٥٤٣ إذ لم يقتنع بتقديم كثير .
(٢) المصدر السابق ص ٤٥٦ .

من ذلك ما نقله عن الشعراء من أحكام نقدية قال : " أخبرني شعيب بن صخر
عن هارون بن براهيم ، قال : سمعت قاثعلا يقول للفرزدق : من أشعر الناس
يا أبا فراس ؟ قال ذو القروح . يعني امرأ القيس قال حين يقول ماذا ؟
قال حين يقول .

وقاهم جدهم بينى أبيهم * ولاشقين ما كان العقاب
وافلتهن علباء جريضا * ولو أدركته جعفر الوطاب^(١)

ويقول : " وأخبرني أبا ن عثمان البجلي قال : مر لييد بالكوفة في بني نهـد
فأتبعوه رسولا سؤ ولا يسأله من أشعر الناس . قال الملك الضليل فأعاده عليه قال
ثم من : قال الفلام القليل ، وقال غير أبا ن - ابن العشرين يعني طرفه ، قال
ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه^(٢) وكان ابن سلام يأخذ برأى لبيد
في التقديم والتأخير بين شاعري حيث يقول : " فهذان امرؤ القيس وطرفة^(٣)

وينقل عن عكرمة بن جرير أنه سأل أبا ن من أشعر الناس ؟ : " قال : أعن
أهل الجاهلية تسألني أم أهل الاسلام ؟ قلت : ما أردت الا الاسلام ، فاذ ذكرت
الجاهلية ، فأخبرني عن أهلها ، قال / زهير شاعرها ، قال : قلت : فلا سلام
قال : الفرزدق نبعة الشعر قلت : فلا خطل . قال : يجيد مدح الملوك ويصيب

(١) ابن سلام ص ٥٣
(٢) المصدر السابق ص ٥٤
(٣) المصدر السابق ص ٥٤

صفة الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعنى فانى نحرى الشعر
نحرا^(١)

وكذلك ذكر قصة الأخطى وتفضيله زهيرا ثم التابغه ثم نفسه بعدها^(٢) نجد
ابن سلام يهتم بأراء الشعراء فى التفضيل بين شاعر وشاعر ، ويعرضه ضمن
حديثه عن الشاعر ويركز اهتمامه حول : أيهما أشعر ؟ من أشعر الناس ؟ —
وهكذا وهى نفس الطريقة النقدية التى أقام عليها التفضيل بين الشعراء ، وأن كان
لا يأخذ بذلك دائما • لأنه ملتزم بأراء العلماء واجماع الناس • وإنما يعرضه
عرضا ليعطى كل شاعر ما يستحق من أحكام صدرت عن الآخرين •

ولعل هذا الاهتمام عند ابن سلام جاء من اهتمام الشعراء أنفسهم بأراء —
الشعراء فيهم فقد نقل عن ذى الرمة قوله للفرزدق : " مالى لا أعد فى الفحول ؟
قال يمنعك عن ذلك صفة الصحارى وأبمار الإبل^(٣) " ويقول له مرة أخرى " الهاك^(٤)
النبكاء فى الديار " وهذا يدلنا على أن ابن سلام كان يهتم اهتماما كبيرا بإيراد
جميع الأحكام النقدية التى تصدر عن الآخرين سواء أكانوا علماء أو شعراء ، ليعطى
الشاعر قيمته النقدية المرتبطة بشعره فقط ، فالشاعر لا يقدمه ولا يؤخره الاموضوع
شعره وجودته وفنسه هكذا •

(١) ابن سلام ص ٦٥ وانظر ص ٢٩٩ حيث قدم جرير الفرزدق •

(٢) المصدر السابق ص ١٢١

(٣) ابن سلام ص ٥٥٢

(٤) المصدر السابق ص ٥٥٧

وبين ابن سلام أن التقديم والتأخير في الطبقات قائم على الحجة والدليل
فتقديم امرئ القيس قائم على الحجة ، يقول : " فأحتج لامرئ القيس من
يقدم مقال : ما قال ما لم يقولوا ولكنه سبق العرب الى أشياء ابتدعها واستحسنتها
العرب واتبعته فيها الشعراء ، استيقاف صحبه ، والبتكا في الديار ورقصة
النسيب . وقرب المأخذ . وشبه النساء بالظباء والبيض ، وشبه الخيول
بالمقبان والمصى . وقيد الأوابد . وأجاد في التشبيه ، وفصل بين النسيب
والمعنى ، كان أحسن أهل طبقة تشبيهاً " (١) . وقال من احتج للناصفة
كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام . وأجزلهم بيتاً . كان شعره
كلام ليس فيه تكلف " (٢)

فالتقديم قائم على ما أورده أهل العلم بالشعر من حجج تم عليها تقديم
الشاعر أو تأخيره تلك الحجج التي تعتمد على مفاهيم نقدية معينة ظهرت في كتاب
طبقات الشعراء واستطاع ابن سلام تنظيمها والأخذ بها واضفى عليها
من ذوقه الخاص ما يدل على درايته بتلك الأسس النقدية ، ومن تلك الحجج
أن تقديم امرئ القيس مثلاً قائم على سبقه الى فنون لم يسبقه اليها أحد .

وبين ابن سلام أن الشاعر قد يكون مقدماً وله حق السبق . الا أن أسباباً تأتي
بعد . تحول دون ذلك ، وتؤخره عن طبقته ، يقول : " قال عمرو بن العلاء :
كان أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه " (٣) وقال عن الراعي : " كان

(١) ابن سلام ج ٥٥٥
(٢) المصدر السابق ج ٥٦
(٣) ابن سلام ج ٩٧

(١) فحل مصر حتى ضعفه الليث يعني جريراً *

فأوس والراعى كانا شاعرين فحلين مقدمين حتى غلبا وأحملا فتأخرت منزلتهما
وقدم غيرهما عليهما لأسباب فنييه *

وبين ابن سلام أن الشاعر إذا المكانة قد يكون سببا في تقديم شاعر الى مرتبة
أعلى ، خاصة إذا ذكره وأثنى عليه * فقد روى أن الحطيئة قال للكعب بن زهير : " قد
علمت روايتي شمراً هل البيت وانقطاعي * وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك فلو قلت
شمرا تذكر فيه نفسك وتضعنى موضعاً * فان الناس لاشماركم أروى واليه اسرع * -
فقال كعب :

فمن فسى ؟ شأنها من يحوكها * اذا ما ثوى كعب وفوز جرول
يقول فلا يعنى بشئ يقوله * ومن قائلها من يسى * ويممل
كفيتك لا تلقى من الناس واحدا * تنخل منها مثل ما يتنخل
يثقفها حتى تلين مئونها * فيقصر عنها كل ما يتمثل (٢)

ولذلك رأينا ابن سلام يجعلهما فى طبقة واحدة مقاتلين كتتاليهما فى بيت
كعب * * ولعل الراى العام الذى لا يخرج ابن سلام عن أحكامه له نفس الموقف
النقدى المستمد من بيت كعب *

(١) ابن سلام ع ٥٩٧
(٢) المصدر السابق ع ١٠٤

جعل ابن سلام الجودة أساسا للتقديم وقياسا من المقاييس النقدية
فتقديم الشاعر عائد لجودة شعره ، كما جعل الكثرة الجيدة أساسا للتقديم
فهو يقدم المكرر المجيد على المقل المجيد - آخذا بأراء العلماء - ففى
ذلك .

واهتم ابن سلام بالفن الشعرى كمقياس نقدى . فى توزيعه الطبقات حيث
أفرد طبقة لأصحاب المراثى (١) وطبقة للفرزلين (٢) وطبقة للرجاز (٣) حيث يشترك أصحاب
كل طبقة فى فن واحد . ولانجد ذلك فى بقية الطبقات .

وقد أفرد أصحاب الواحدة فى طبقة مستقلة وقال عنهم : " أربعة رهط لكل
واحد منهم واحدة " (٤) وأفرد بابا لشعراء اليهود .

كما جعل تعدد الأغراض مقياسا بنى عليه التقديم (٥) وهذا يدلنا بلاشك
على اهتمام ابن سلام بالناحية الفنية عند الشاعر ، فاذا تعددت لدى الشاعر
الفنون وجادت كانت سببا لتقديمه وتفضيله ، فلا يقدم شاعرا أجاد فى فن واحد
فقط ، وخير مثال على ذلك عدم تقديم ذى الرمة الذى أحسن فى التشبيه (٦) كما
أنه قدم كثيرا على جميل لتعدد الأغراض عند كثير مع أن جميلا كان أغزل منه . (٧)

(١) ابغثن سلام س ٢٠٣ (٢) ابن سلام س ٦٤٧
(٣) ابن سلام س ٧٣٧ (٤) ابن سلام س ١٥١
(٥) ابن سلام س ٥٤٥ ، ٥٥٢ (٦) ابن سلام س ٥٤٩
(٧) ابن سلام س ٥٤٥

وكما جعل ابن سلام شعراء الجاهلية والاسلام طبقات وضمنها المخضرمين ،
فقد جعل شعراء القرى العربية طبقات ، وما يدل على ذلك قوله عن عبد الله
ابن أبي رباحه رضى الله عنه " عظيم القدر فى قومه سيد فى الجاهلية ، ليس
فى طبقاته التى ذكرنا أسود منه . " (١)

وكان اختياره لشعراء القرى العربية قائما على البراعة الشعرية . فهو يبين
أن فى مكة شعراء اكثر من الذين عددهم ، ولكنه لا يورد الا ابرعهم شعرا . يقول :
وفى مكة شعراء فابرعهم شعرا ٠٠٠ الى (٢)

ولم يقتصر ابن سلام فى طبقات شعراء القرى على أربعة رهط كما فعل فى طبقات
الجاهليين والاسلاميين . فهو يعد من شعراء المدينة خمسة شعراء " حسان
ابن ثابت ، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه ، وقيس بن الخطيم ، وأبو قيس
ابن الأسلت " (٣)

ويعد من شعراء مكة تسعة شعراء هم : " عبد الله بن الزبمرى ، أبو طالب
ابن عبد المطلب والزبير بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، ومناقر بن ابي
عمرو ، وضار بن الخطاب الفهري وأبو عزة الجمحي ، وعبد الله بن حذافة السهمي
وهيرة بن أبي وهب " (٤)

(١) ابن سلام ص ٢٢٣

(٢) ابن سلام ص ٢٣٣

(٣) ابن سلام ص ٢١٥

(٤) ابن سلام ص ٢٣٣ - ٢٣٥

ويعد من شعراء الطائفة خمسة شعراء هم : " أبو الصلت بن أبي ربيعة ،
وابنه أمية ابن أبي الصلت ، وأبو محجن عمرو بن حبيب الثقفي ، وغيلان بن سلمة ،
وكتانة بن عبد ياليل (١)

ونلاحظ أنه جعل أمية الثاني ، وهو أشعرهم (٢) وهو بذلك يخالف عمله
في طبقات الجاهليين والاسلاميين حيث كان يقدم الأشعر فالأشعر . إما في
التسلسل أو في الاستشهاد له .

وعد في البحرين ثلاثة شعراء وهم : " المثقب العبدى ، والمحرزوق العبدى ،
والفضل بن معشر (٣) ولم يذكر من الإمامة أحدا . يقول " ولا أعرف بالإمامة شاعرا
مشهورا (٤)

كما عد من شعراء اليهود ثمانية ، وهم : " السموأل بن عادي ، والريبع
ابن محقق ، وكعب بن الأشرف ، وشريح بن عمران ، وسعيد بن العريض ، وأبوقيس
ابن رفاعه ، وأبو الذيال ومدهم بن زيد (٥) مخالفا عمله مع طبقات الجاهلية
والاسلام أيضا .

ان عد ابن سلام شعراء القرى واليهود اكثر من أربعة في الطبقة الواحدة يجعلنا
نؤمن أن ابن سلام لا يتخذ العد الرابع في الطبقات عملا نقديا بحثا . —

(١) ابن سلام ٢٥٩ - ٢٦٠

(٢) ابن سلام ٢٥٩ - ٢٦٢

(٣) ابن سلام ٢٧١ - ٢٧٧

(٤) ابن سلام ٢٧٧

(٥) ابن سلام ٢٧٩ - ٢٩٦

لعله كان ينقل آراء العامة ، وأن التقسيم الرابعى تقسيم هندسى بحث أراد به
عدم الخروج بعد على ما جاء عن القدماء والعلماء ، من أن الطبقة الاولى
الجاهلية أربعة ، فجعل التقسيم الرابعى مضميا مع ذلك .

وفى الحقيقة أن هذا مأخذ نقدى على ابن سلام . إذ كيف يجوز لنفسه
هضم حق شاعر وتأخير عن طبقته لانه لا يريد أن تتجاوز الطبقة أربعة فقط فتأخيره
أوسا الى الطبقة الثانية الجاهلية ، ظلم له وهضم لحقه فى التقديم وهو يشهد
له بالتقدمه ، يقول : " وأوس نظير الاربعة المتقدمين الا أنا اقتصرنا فى الطبقات
على أربعة رهط ^(١) " .

وهذا المأخذ الفنى على ابن سلام لا يمكن تبريره ، وكان الاجدر به
أن لا يلزم نفسه بهذا التقسيم الرابعى الهندسى المتماثل ، وأن يطلق نفسه
من هذا القيد المعيب نقديا . ويفعل كما فعل مع شعراء القرى المريية
واليهود حيث لم يقتصر فى الطبقة على أربعة فقط . فتأخيره أوسا الى الطبقة
الثانية مع اعترافه أن مكانه فى الطبقة الاولى مأخذ نقدى هام على ابن سلام .

لقد التزم ابن سلام فى التقديم والتأخير بمبدأ جودة الشعر وكثرته - فعندما
عرى شعراء القرى قدم المدينة لانها " أشعرهن قرية " ^(٢) ثم أتبعها مكة لانها
تليها جودة شعر ، وأخر الطائف لانها أقلهن شعرا ، وأتبعها بالبحرين

(١) ابن سلام ع ٩٧

(٢) ابن سلام ع ٢١٥

لأنها أقل عدد شعراء وختم باليمامة لأنه ليس بها شعر مشهور .
داخل ابن سلام بين الجاهليين والمخضرمين فقد ذكر كثيرا من الشعراء المخضرمين
ضمن طبقات الجاهلية حيث جعل كعب بن زهير والحطيئة ضمن الطبقة الثانية
من الجاهليين ^(١) وجعل أمية بن حرثان ضمن الطبقة العاشرة الجاهلية " وله
شعره في الجاهلية وشعر في الإسلام " ^(٢) ، وكذلك حريث بن محفظ المازني :
وهو جاهلي إسلامي له في الجاهلية أشعاره ^(٣) " حيث عدّه أيضا ضمن الطبقة
العاشرة من الجاهليين ، ومن المخضرمين الذين وضعهم ضمن شعراء الجاهلية
لبيد والنايف الجعد ، وغيرهم . ولعل ابن سلام قد قرن هؤلاء إلى -

الجاهليين لأحد سببين :

١- أن شعرهم كان قويا في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لان وضعف كما حدث

لشعر حسان .

٢- أن بعضهم قد اعتزل الشعر في الإسلام كما فعل لبيد ، وكما أشار إلى حريث

المازني أن له شعرا في الجاهلية ، ولم يذكر أن له شعرا في الإسلام .

فشعر المخضرمين كان قويا جيدا وكثيرا في الجاهلية ^(٤) ، فلما جاء الإسلام لان وضعف

وقل ولذلك وضعهم ابن سلام ضمن الجاهليين لأن شعرهم الجيد الكثير إنما كان

في العصر الجاهلي .

(١) ابن سلام ص ٩٧

(٢) ابن سلام ص ١٩٠

(٣) ابن سلام ص ١٩٢

(٤) يحيى الجبوري - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه (بغداد - مطبعة

الارشاد ١٩٦٤) ص ٣٤٨ وما بعدها .

ومما يؤخذ على ابن سلام من الخلط بين الشعراء زمانيا وضعه " بشامة
ابن الغدير • وقراد بن حنش ضمن الطبقة الثامنة من الاسلاميين وهمـا
جاهليان ^(١) دون ذكر للأسباب أو معرفة لها أو إشارة منه الى ذلك • وليس
بين ايدينا تحليل لهذا الخلط أو ما يدعو للتبرير • الا أن الطبقة الثامنة
هذه تشتمل على شعراء جميعهم من بني مرة بن عوف بن سعد وذلك واضح
في ذكر نسب كل شاعر • وهو سبب واه لا يمكن الاخذ به ما دام التقسيم
الزمني أساسا اعتمد عليه ابن سلام لوضع الشعراء في طبقات • وكان الاجـدر
به أن ينفذ ما رسمه في المقدمة دون خلط لا داعي له • خاصة وأن مثل هذا
الخلط المشين يجعلنا نقف موقفًا حذرًا من تأليف الكتاب • حيث يجعلنا نشك
في سلامة ترتيبه أصلاً • ^(٢)

ز ز ز ز ز ز ز

ولقد كان للنقاد المحدثين مواقفهم من تقسيم ابن سلام الشعراء الى طبقات
فالدكتور محمد مندور يرى أن عمل ابن سلام هذا تاريخي اكثر منه عملاً نقدياً يقول :
” ولقد رأينا فيما سبق أن ابن سلام قد صدر في تاريخه للأدب العربي عن
مبادئ • وأنه قد أضاف الى فكرتي الزمان والمكان مقاييس فنيه كان يؤمن بها

(١) ابن سلام ٧٠٩

(٢) من الغريب جداً أن المحقق " محمود شaker " لم يشر الى هذا الخلط • وكان
الاولى به أن لا يغفل نقطة هامة كهذه • وأن يحقق ذلك تحقيقاً مقنعاً
لا يجعل مجالاً للشك • وكل ما ذكره المحقق • أن هؤلاء • من بني مرة بن
عوف : " ابن سلام ٧٠٩ " وهذا سبب واه لا يدعو الى الاعتناع لسلامة
الترتيب • ومما يدل على أن بشامة ابن الغدير جاهلياً أنه مات قبل زهير بن
أبي سلمى (ابن سلام ٧١٨) أما قراد بن حنش فانه شاعر من عطفان كان ممن
سرق بعض شعره زهير أيضاً ولا أخاله عاش بعد زهير •

هو والبيئتان التي تحوطه وأتخذها أساسا لتوزيع الشعراء في طبقات والمفاضلة بين شعراء كل طبقة^(١).

فهو يؤكد في أول حديثه أن ابن سلام مؤرخ للأدب ، ثم يبين أنه قد اعتمد مقاييس فنيه اتخذها أساسا لتوزيع الشعراء في طبقات ولمفاضلة بين شعراء كل طبقة ونحن لا نشك في أن التقسيم الطبقي خضع لمقاييس نقدية فنية وأن هذه المقاييس الفنية أتخذت أساسا للمفاضلة بين شعراء كل طبقة وهذا ما يقصره الدكتور محمد مندور ، إلا أنه يجعل ابن سلام يمد ذلك مؤرخا للأدب.

وفي الحقيقة أن عمل ابن سلام في الكتاب انحصر في تقسيم الشعراء الى طبقات ، وكل ما جاء من أمور أخرى إنما كانت ضروريات للتدليل والاستنتاج أما التقسيم الطبقي في حد ذاته وهو ما هدف اليه ابن سلام عند تأليف الكتاب فهم تقسيم نقدي يؤكد الدكتور محمد مندور نفسه أنه صدر عن مقاييس فنيه فكيف يكون ابن سلام اذن مؤرخ أدب ؟

ويشير الدكتور احسان عباس الى فكرة الطبقات قائلا : (وهذه قاعدة هامة ولكننا اليوم اذا احتكنا الى مقاييسنا النقدية لم نجد بين شمر الاعشى وشمر زهير والنابغة شبيها كبيرا ، وترددنا في أن نضع أبا ذؤيب النهدي مع النابغة

(١) محمد مندور - النقد المنهجي ص ٢١

الجمدى فى طبقة واحدة كما فعل ابن سلام ، للتباين بين الشاعرين وأشعارهما وأحيانا يكون هذا التشابه الذى اعتمده ابن سلام تشابها فى الموضوع ، كأن يجمع اصحاب المرائى فى طبقة واحدة وأن يضع ابن قيس الرقيات والأحوص وجميعـ بـثـينه ونصيبا معا لانهم يشتركون فى الغزل ، وأن يجمع بين الرجـاز فى فئة ، ذلك وجه من التشابه محتمل كما أن حشد شعراء كل قرية ينظر الى صلتهم ببيئة واحدة وذلك مقياس لا ضرر منه" (١)

اننا لا نستطيع أن نلزم ابن سلام بمقاييسنا الحاضرة ، فلقد كان ابن سلام يـصـور النقد العربى فى فترة معينة ، ويصور النقد العربى الناشئ ، ويصـور آراء العلماء والمارفين بالشعر فى عصره ، اما نحن فننظر بمقاييس جدت ، كانت نتيجة لجهود نقاد جاءوا بعد ابن سلام وبعد ما تطورت العلوم وكثرت الأخذ والعطاء فيها . ثم ان ابن سلام نظر الى الشعر من زوايا معينة ومقاييس معروفة فجعل المقارنة أو التفضيل قائما على ذلك . ودراسة ابن سلام النقدية للشعراء قائمة على أمور اتصلت بشعر كل منهم ، ذكرها ابن سلام عندما تحدث عن كل شاعر .

يقول عن النابغة : " كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا" (٢) ويقول عن زهير : " كان زهير احصفهم شعرا وأبعدهم من سـخـف

(١) احسان عباس ص ٨٠

(٢) ابن سلام ص ٥٦

وأجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق وأشدّهم مبالغة في المدح ، -
(١)
وأكثرهم أمثالا في الشعر ،

ويقول عن الأعشى : " هو أكثرهم عروضا ، وأذهبهم في فنون الشعر -
وأكثرهم مدحا وهجاء ، وفخرا ووضعاً ، كل ذلك عنده " (٢)

فهذه الأحكام النقدية - التي يصدرها ابن سلام على الشعراء - وهي
كثيرة في الكتاب تدل على أن اهتمام ابن سلام بالناحية الفنية واضح ، وأن وضع
الشعراء في طبقات إنما هو قائم على أساس نقدي وفني خاضع لتقاليد المصنّعين
النقدية التي كان يأخذ بها ابن سلام ويطبقها ، فلا يجوز لنا إذن أن نرى
أن هناك تباينا بين الشعراء لا يتفق مع نقدنا لهم في الوقت الحاضر .

وأحكام ابن سلام التي يطلقها على شعراء الطبقة الواحدة أحكام مقاربة
مضافا إلى ذلك أن التقديم خاضع خضوعا مطلقا في كثير من المواقف للعلماء وأهل
الرأى والنظر في الشعر ، فليس لنا حق في مؤاخذة ابن سلام أو أن نعييب
على تقسيمه الطبقات ، أما التقسيم من حيث تشابه الموضوع فمنهج لا غبار عليه
لان المقارنة بين الشعراء في فن واحد ، هي أنصف للشاعر ومن ذلك قول على
ابن أبي طالب : " كل شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة
ومذهب واحد في القول لعلنا أيهم أسبق " (٣)
فألغاية الواحدة والمذهب

(١) ابن سلام ص ٦٤ (٢) ابن سلام ص ٦٥

(٣) القرطاجني : ص ٣٧٧

الواحد أساس عادل للتفضيل المنصف بين الشعراء .

وتعترض بنت الشاطي* على تأخير الراعي النميري عن شعراء الطبقة الاولى من الاسلاميين عند ابن سلام حيث جعله رابعهم وثرى أن " البيت الأموي قد عين شعراءه الكبار : جريرا والفرزدق والاختل أمراء للشعر وجاء نقاد القرن الثاني فاعتمدوا هذا التعيين متأثرين بوضع القصر العباسي في زمنهم وقد كان يحتكم في اقدار الشعراء على نحو ما كان القصر الأموي يفعل أو أكثر مما كان يفعل . . . صنف ابن سلام طبقاته فوضع هؤلاء الشعراء الثلاثة في صدر الطبقة الاولى وجعل رابعهم الراعي لان القصر آخره" (١)

وحكم خطير كهذا لا يمكن اطلاقه بهذه السهولة دون حجة أو دليل ذلك أن ابن سلام عندما وضع الشعراء في طبقات لم يشر من قريب أو بعيد أنه قدم شاعرا لان البيت الأموي قدمه . ولم يحتج لخليفة أموي بحجة كانت هي الفصل في التقديم أو التأخير بل كان يصرح أراء الأمويين مثلما كان يعرض أراء الفضل وأبي عمرو بن الملاء وخلت وحماد وغيرهم من الملما والشعراء أيضا . ولم يؤخر الراعي الى المكان الرابع في الطبقة الاولى لان عبد الملك أو سليمان أو بشر بن مروان مثلا نس على ذلك ، وانما أخره ابن سلام لان أهل العلم بالنقد أخروه . بل يشير ابن سلام الى أنه وقع خلاف حول الأشعر من الثلاثة المتقدمين وأن الاجماع قد تم على تأخير الراعي . يقول ابن سلام

(١) بنت الشاطي* ص ١١٥

" فأختلف الناس فيهم أشد الاختلاف وأكثره • وعامة الاختلاف أو كله في الثلاثة

(١)

ومن خالف في الراعى قليل كأنه آخرهم عند العامة "

فابن سلام بين أن الناس اختلفت في أهل هذه الطبقة اختلافا كثيرا خاصة

في الثلاثة : الفرزدق ، وجريز ، والأخطل — وأجمعت تقريبا على أن الراعى

آخرهم ورابع الطبقة •

فهل يقصد ابن سلام بالناس الأمويين ؟ وهل العامة الذين قال ان —

الراعى آخر الثلاثة عندهم هم خلفاء بنى أمية ؟

ان الناس والعامة عند ابن سلام هم أهل العلم بالشعر والمتخصصون فيه

سواء كانوا جماعا أو نقادا من عامة الناس أو خلفاء أو شعراء • • • وهم الذين

أكد ضرورة الاهذ عنهم في أمور الشعر — ورد الأخذ عن غير المتخصصين

والعارفين •

ثم ان ابن سلام عندما تحدث عن الثلاثة وتقديمهم لم يستشهد بأراء الأمويين

بل استشهد بأراء العلماء والشعراء ، فهو يقول : " كان يونس يقدم الفرزدق

بغير افراط • وكان المفضل الراوية يقدمه مقدمة شديدة • وأخبرني أبو قيس

العنبري عن عكرمة بن جرير أن جريرا قال : نبغة الشعر الفرزدق ، وقال

(٢)

ابن دأب وسئل عنهما : الفرزدق أشعر عامة وجريز أشعر خاصة "

(١) ابن سلام ص ٢٩٩ •

(٢) ابن سلام ص ٢٩٩ / ٣٠٠ وانظر ٣٨٢ •

والراعى نفسه يقدم الفرزدق على جرير ، وشارالمقبلى يقول : " لم

يكن الأخطل مثلها ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه " (٢)

فالذى قدم الثلاثة على الراعى هم العلماء ، أمثال يونس والمفضل

وعكرمة بن جرير والشعراء ومنهم جرير والراعى نفسه . وان ممن قدم الأخطل

قبيلة ربيعة . فأين أثر القصر الأموى ؟

والأكبر من ذلك أن ابن سلام عندما نقل آراء العلماء بأن : " الأخطل

إذا لم يجىء سابقا فهو سكت ، والفرزدق لا يجىء سابقا ولا سكتا فهو

بمزلة المصلى ، وجرير يجىء سابقا وسكتا " (٣) أخذ يحلل ذلك تحليلا نقديا

علميا فسر على أساسه هذه الصفات التى ذكرت عن كل شاعر من واقع أشعارهم (٤)

ثم بين أن أهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب " (٥) ولم يذكر إلا مويين .

فالذى قدم الشعراء الثلاثة العلماء وأهل المعرفة بالشعر والذين كثيرا

ما يسميهم ابن سلام بالعامة أحيانا والناس أحيانا وأهل المعرفة أحيانا

أخرى . وهم الذين أخروا الراعى وجعلوه الرابع فى طبقته . ومع ذلك يورد -

ابن سلام مقياسا نقديا كان سببا فى تأخير الراعى وهو كونه مغلبا . يقول

ابن سلام فى ذلك : " كان فحل مضر حتى ضفحه الليث يعنى جريرا " (٦) ويقول :

(٤) ابن سلام ص ٣٧٥

(٥) ابن سلام ص ٣٧٥

(٦) ابن سلام ص ٥٠٣ وانظر ص ٤٣٨

(١) ابن سلام ص ٣٢٤

(٢) ابن سلام ص ٣٢٤

(٣) ابن سلام ص ٣٧٥

" وكان بعد هجاء جرير له مغلباً ^(١) "

ومن ذلك نرى أن تقديم الفرزدق وجرير والاختل في الطبقة الأولى وتأخير الراعى عنهم إنما هو عائد لآراء العلماء والشعراء وعامة العارفين بالشعر مضافاً إلى المقاييس التي طبقها في كتابه واستقاها من آراء علماء عصره عندما عالج قضية الطبقات ، ولعل أوضح هذه المقاييس : أن الراعى مغلباً ، وأن شعر الفرزدق وجرير والاختل جيد فهل بقي بعد ذلك ما يجعل قائلاً يقول : أن ذلك الترتيب في الطبقة الإسلامية الأولى عائد للقصر الأموي فقط ؟

ولا تكتفى بنت الشاطي بذلك ، بل تعارض تقديم ابن سلام (كثيراً) على (جميل) وتزعم أن سبب تقديم كثير هو القصر الأموي . لأن كثير مدح ^(٢) الأمويين وغفلت عن أن ابن سلام قدم كثيراً لتمدد أغراض الشعر عنده ^(٣) وأن جميلاً نفسه قد مدح البيت الأموي وأن ابن سلام أورد قصيدته التي مدح فيها عبد العزيز بن مروان ^(٤) والأعجب من ذلك أنها غفلت عن تحكيم عبد الملك الأخطل في شعر كثير ، وأن عبد الملك أخذ برأى الاختل في ذلك دون معارضة أو تعليق ، يقول ابن سلام : " قدم كثير على عبد الملك بن مروان الشام فأنشده والأخطل عنده ، فقال عبد الملك : كيف ترى يا أبا مالك ؟ قال :

(١) ابن سلام ع ٥٠٣

(٢) بنت الشاطي ع ١١٦

(٣) ابن سلام ع ٥٤٥

(٤) ابن سلام ع ٦٧٣

أرى شمرا حجازيا مقرورا لوضفطه برد الشام لأضحل^(١)

ثم ان ابن سلام قد أخرج الى الطبقة السادسة مع جميل نصيبا وهو مولى

الأمويين ، ومادحهم المشهور والاحوص وهو ممن مدح الأمويين^(٢) واستجاب

وحده لهجاء^(٣) خصومهم .

فلماذا لم يقدمهم لاتصالهم بالبيت الأموي مع كثير ورهطه ؟

بل أن ابن سلام قد جمع مع هؤلاء (عبد الله بن قيس الرقيات) وأورد له

هجوا في الأمويين ومدحا في خصومهم من الزبيريين ولم يؤخره عن^(٤) -

طبقتهم التي عرف عن شعرائها أنهم ممن مدح البيت الأموي واتصل به .

من ذلك كله يظهر لنا أن اتهام ابن سلام بتقديم من قدمهم الأمويون ، وتأخر من

أخرجهم البيت الأموي دعوى باطلة لا تقوم على حجة ، وأن ابن سلام لم ينظر

هذه النظرة مطلقا .

وقد تعرض الدكتور محمد زغلول سلام لهذه النقطة وأثارها بشكل^{مهم} حيث يقول

بعد ان عارض التقسيم الرباعي : " كذلك اضطر الى أن يلحق بالطبقة المتقدمة

من لا يساويها رتبة كما فعل مع الراعي إذ ألحقه مع جرير والفرزدق والاختل وليس

كفؤا لهم^(٥) ونحن نوافق زغلولا في معارضته التقسيم الرباعي وأن التزام ابن سلام

(١) ابن سلام ع ٥٤١

(٢) ابن سلام ع ٦٥٩ - ٦٦٣

(٣) ابن سلام ع ٦٥٨

(٤) ابن سلام ع ٦٤٧ - ٦٥٤

(٥) محمد زغلول سلام ع ١٠٤

به جملة يؤخر شاعرا عن مكانته وطبقته وهو " أوس بن حجر " وأن ابن سلام
يعترف بذلك وبين أن التزامه بالعدد الراعى هو السبب فى تأخيرها ، وهذا
مأخذ لا نشك فيه .

أما انه الحق بالطبقة المتقدمة من الاسلاميين من لا يساويها وهو الراعى
النميرى فكيف حكم زغلول هذا الحكم ؟ وما هى الاسباب النقدية التى تؤخر
الراعى عن طبقته التى أورده فيها ؟

نحن نعرف أن الترتيب الطبقي عمل نقدي بنى على مقاييس نقدية ، ونعرف
أن شعراء الطبقة الواحدة يتفاوتون ولذلك كان ابن سلام كثيرا ما يشير الى
ذلك فيقول " المقدم عندنا " " وهو أشعرهم " وهكذا فى مواضع متعددة
ويستدل بالحجج والبراهين النقلية من الشعر والاحكام الصادرة ، ومعنى
ذلك أن شعراء الطبقة الواحدة يتفاوتون وهذا أمر لا معارضة فيه ، وقد
اثبت ابن سلام ذلك فهو يقول عن الراعى : " ومن خالف فى الراعى قليل
كأنه آخرهم عند العامة ^(١) " فالراعى اذن آخر الطبقة الأولى عند العامة . فكيف
يريد زغلول تأخير الى طبقة أخرى ؟ وما هو الدليل الذى يجعل الراعى
يتأخر عن طبقته الى أخرى ؟ . ثم هل الراعى أشعر أم شعراء الطبقة
الثانية ؟ . وهل أشار ابن سلام مثلا أن أحدا من الطبقة الثانية أشعر من الراعى ؟

تاريخ الأدب
(١) ابن سلام ص ٢٩٩ .

كل هذا يجب البت فيه قبل أن نطلب من ابن سلام أن يؤخر شاعرا عن طبقتهم
وعلىنا أن نأخذ في الاعتبار مثلا قول ابن سلام في الراعي : " كان فعل مضروحتي
ضعمة الليث يعنى جزيرا " فقبل أن يغلبه جرير في الهجاء كان يزاحم
جريرا على التقديم ، ولم يؤخره الا كونه مغلبا .

هذه نظرة نقدية عند ابن سلام - فالفرزدق وجرير والأخطل اشعر من
الراعي . هذا لا خلاف فيه ولكنه من طبقتهم وان كان أقل منهم في الشعر ،
وتقديمهم عليه ليس بدرجة التقديم الذي يجعلهم في طبقة وهو في أخرى . هذا
ما رآه ابن سلام حسب مقاييسه النقدية ومن الصعب أن تأتي اليوم لمعارضة هذه
المقاييس بكل سهولة ، أو أن نفهم نص ابن سلام فهما آخر فنصدر الاحكام
بلا دليل .

يقول زغلول : " لم يكن تقسيم الطبقات عند ابن سلام خاضعا لمقاييس نقدية
علمية أو فنية أو اعتبارات موضوعية بل كان يخضع لاعتبارات فردية أو قبلية
وما اليها وكان العلماء يتمصبون لبعض الشعراء دون بعض " (١)

فهو يحكم على ابن سلام أنه لا يخضع في تقسيمه لمقاييس نقدية علمية أو فنية
أو اعتبارات موضوعية بل كان يخضع لأراء فردية أو قبلية ، وبين أن التعصب من
قبل العلماء له دور غير عادل في التقديم والتأخير .
وهذا حكم عجيب . فنحن نعلم أن ابن سلام أخذ بأراء المارفين بالشعر ،

ولكنه صدر مع ذلك عن أحكام نقدية أطلقها على الشعراء وجعل التقديم والتأخير خاضعا لمقاييس فيه نقدية كان أوضحها : الجودة ، والكثرة ، وتعدد الأغراض وكون الشاعر غالبا أو مغليا وعلى هذه الأسس بنى ابن سلام التفضيل وهو يحتاج لكل شاعر بما له وما عليه ، ويناقش الآراء التي قيلت فيه ، ويرجع بينها ، أما استقاؤه الاحكام العامة من العلماء والعارفين ونقل آرائهم فذلك منهج العصر وقد الزم ابن سلام نفسه في المقدمة بذلك ، فلا نستطيع أن نعترض على رجل كانت طبيعة التأليف في عصره تأخذ بذلك .

ونرى أن زغلولا يناقش نفسه بنفسه ، بينما يزعم أن ابن سلام لم يخضع
التقسيم لمقاييس نقدية علمية أو فنية نراه يقول : " ويذهب ابن سلام في كتابه
الى تغليب رأى الجماعة من أهل البصرة في ترتيبه لطبقاته ، ويحكم ذوقه مستمينا
بالآراء الشائعة في ترتيب بقية الشعراء " ، وله بعد ذلك كله منهجه الخاص فى
عدد الطبقات وتنزيل الشعراء منازلهم حسب القيم الفنية لاشعارهم وفق ما وضعه
فى المقدمة و يقول ^(١) : " ويذهب ابن سلام فى اكثر طبقاته الى ترتيب الشعراء -
حسب المقدرة الفنية أو الكفاءة أو الشاعرية ، وتمثلان فى ناحيتين : الجودة
والكثرة ، فاذا اجتمعتا تقدم الشاعر عنده ثم يأتى معززا لهما عامل الزمــــــــــــــــن
وان أهمله فى مواضع غير قليلة والدليل على ذلك واضح ، ففي الطبقة الرابعة
مثلا يضع شاعرا مثل طرفة بن العبد ، وحقه أن يلحق بالطبقة الاولى خاصة

أن العلماء بالشعر عدوه في الفحول الاول ، ولكن آخره ابن سلام لقلة ما بأيدي
الرواة من شعره (١)

ليس هذا تناقضا واضحا في أراي زغلول ؟ . أليس تحكيم الذوق اساسا
من اسس النقد ؟ أليس تنزيل الشعراء منازلهم حسب القيمة الفنية لاشعارهم
مقاييس نقدية تضم أكثر من مقياس ؟ أليست الجودة والكثرة مقياسين هاميين ؟
أليست المقدمة نفسها منهجيا نقديا التزم به ابن سلام وطبقه عندما عالج قضايا
الكتاب ؟ والدكتور زغلول بين أهمية التقسيم الزمني عند ابن سلام من الناحية
النقدية وبين أن النقد بعده قد أبقوه واعتمدوه ، وزاد وا عليه المحدثين ، فأصبح
الشعراء جاهليين ومخضرمين واسلاميين ومحدثين (٢)

لقد استعان ابن سلام بأراء النقد وطبقها وبين معللا أسباب التقديس
والتأخير واسس التفضيل وهذا واضح في كتابه تمام الوضع ، وكل ذلك منهج
نقدي موضوعي سليم لا مجال للجدل فيه .

جعل ابن سلام الفحولة هي الأساس الأول لاختيار الشعراء والمفاضلة
بينهم فكل من ذكرهم في كتابه شعراء فحول صرح بذلك لدى ذكره شعراء الجاهلية
وابن سلام وسع من حدود فكرة الاصمى واعاد صياغتها . " فقد كان الاصمى

تاريخ النقد

- (١) محمد زغلول سلام ع ١٠٥
(٢) محمد زغلول سلام ع ١٠٢ - ١٠٣
(٣) احسان عباس ع ٨٠

يقسم الشعراء الى فحول وغير فحول فجاء ابن سلام وقال : هم فحول
الا أن الفحولة تتفاوت^(١) . . . وهذا بلا شك اختيار نقدي قائم على الفحولة
وتساوى الاشعار عند شعراء الطبقة الواحدة . ولعل ذلك يبين بوضوح مواقف
ابن سلام النقدية .

نستطيع بعد ذلك أن نخلص الى أن ابن سلام كان يهدف الى أن :
يتكلم فى الشعراء وأن ينزلهم منازلهم ويصنفهم الى طبقات ، وكانت سبيله
الى تلك الغاية ثلاثة أمور :

- ١- الفحص عن الاشعار النسوية اليهم للتأكد من صحة نسبتها اليهم .
- ٢- النظرة فى التراث الذى خلفه أو لك الشعراء نظرة عميقة تمكن من الحكم عليه
وتبين نواحي اجادته ومواضع التقصير فيه .
- ٣- الاستمئان على تلك الاحكام برواية أقوال من مضى من أهل العلم فيهم ،
والافادة من آرائهم فى تقديم شاعر على غيره أو تحديد طبقته^(٢)
والطرق الثلاثة قائم على مقاييس نقدية خلص معها ابن سلام الى هذا التقسيم
والمرص وقطع بذلك طريق الشك فى هذا الترتيب .

(١) احسان عباس ص ٨٠
(٢) يدوى طبانه دراسات فى نقد الأدب : ص ١٤٥ .

الفصل الثالث

المقاييس النقدية عند ابن سلام

وضع ابن سلام مقاييس نقدية وجعلها الأساس الهام لتقديم الشاعـر

وتأخيره كما بنى عليها تقسيم الطبقات .

ان الأساس الواضح الذي بنى عليه ابن سلام اختيار الشعراء ^{في} طبقاته

هو (الفحولة) ، حيث عد جميع الشعراء في كتابه من الفحول ، يقول :

" فأقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا ، فألفنا من تشابه

شعره منهم الى نظرائه " (١)

ويقول : " غير أن الفحول قد استجازوا في موضع نحو قول جرير " (٢) ويقول :

" كان أوس فحل مضر . . " (٣) وينقل عن الحطيئة قوله لكعب بن مالك :

" ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضمني موضعا " (٤)

ويقول : " وكان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزه فيه ولا وهن " (٥) ويقول شعراء

الطبقة الرابعة الجاهلية : " وهم أربعة رهط فحول شعراء " (٦) ، ويقول

عن الأسود بن يعفر : " وكان الأسود شاعرا فحلا " (٧) ولا يكاد يذكر شاعرا

حتى يشير الى الفحولة وذلك واضح كما رسمه في مقدمته وكما هو ظاهر في ثنايا

الكتاب .

(١) ابن سلام ص ٢٤	(٢) ابن سلام ص ٧١	(٣) ابن سلام ص ٩٧
(٤) ابن سلام ص ١٠٤	(٥) ابن سلام ص ١٣١	(٦) ابن سلام ص ١٣٧
(٧) ابن سلام ص ١٤٧		

فما هي الفحولة التي اتخذها ابن سالم مقياسا لاختيار الشعراء ؟
 لقد سبق الأصمعي الى الحديث عن الفحولة ، وجعلها أساسا لتفضيل الشاعر
 بل جعلها طريق الشعر ، يقول : " وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول
 مثل امرئ القيس وزهير والنابغة ، في صفات الديار ، والرحل ، والهجاء ،
 والمدح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة الحمر والخيول ، والافتخار ، فاذا أدخلته
 في باب الخير لان ^(١) " ، فالأصمعي يرسم لنا هنا طريق الفحولة ويقصرها
 على فنون من الشعر معينة ، ويجعل طريق الشعراء أمثال امرئ القيس وزهير
 والنابغة الى أغراضهم هو طريق الفحولة ، ولا يكون الشعر مقبولا عنده اذا خرج
 عن طريق هؤلاء .

ومعنى هذا أن من سمات الفحولة : الشعر الجيد ، فاذا خالطه
 اللين قصر عن ذلك ، " فالفحل جملا كان أو فرسا يتميز بما يناقض صفة اللين ،
 التي يكرهها الأصمعي ^(٢) " سئل الأصمعي عن الفحل فقال : " له مزية على غيره
 كمزية الفحل على العتاق ^(٣) " ويقول احسان عباس : " لهذا انقسم الشعراء لمدى
 الأصمعي في فئتين فحول وغير فحول ^(٤) " .

(١) احسان عباس ص ٥٠

(٢) احسان عباس ص ٥١

(٣) احسان عباس ص ٥١

(٤) احسان عباس ص ٥١

ولعل من المفيد أن نورد هنا موقف الأصمعي من فحولة بعض الشعراء
قال أبو حاتم : " سألت الأصمعي عن الأعشى — أعشى قيس بن ثعلبة • أفحل
هو ؟ قال : ليس بفحل وقال : سألت الأصمعي عن مهلهل ، قال : ليس
بفحل ، ولو قال مثل قوله : " أليقتنا بذى حسم أنيرى " خمس قصائد لكان من
الفحول ، وقال سألت الأصمعي عن عمرو بن كلثوم أفحل هو ؟ فقال ليس بفحل ،
قلت : فأبو زيد ، قال ليس بفحل ، قلت : فمروة بن الورد ، قال : شاعر
كريم وليس بفحل ، قلت : فالحويدرة ؟ قال : لو كان قال خمس قصائد مثل
قصيدته — يعنى المينية — كان فحلا ، قلت فحميد بن ثور ؟ قال : ليس
بفحل ، قلت : فابن مقيل ؟ قال : ليس بفحل ، قلت : فابن أحمر
الباهلي ، قال : ليس بفحل ، قلت : فكعب بن جميل ؟ قال : أظنه
من الفحول ولا أستيقنه ، قلت : فحاتم الطائي ، قال : حاتم إنما يعد فسي
من يكرم ولم يقل أنه فحل في شعره ، قلت : فمقرب بن حطير البارقي حليف
بني نمير ؟ ، قال : لو أتم خمسا أو ستا لكان فحلا ، قلت : فكعب بن سعد
الغنوي ؟ ، قال : ليس من الفحول إلا في المروثة فإنه ليس مثلها في الدنيا ،
قال : وسألته عن خفاف ابن ندبة ومخترة والزرقان بن بدر ؟ فقال : هؤلاء
أشعر الفرسان ، ولم يقل أنهم فحول ، قلت : فالأسود بن يعفر النهشلي ؟
قال يشبه الفحول ، قلت فأوس بن مخزوم الهجيمي ؟ قال : لو كان قال عشرين
شعر قصيدة لحق بالفحول ولكن قطع به ، قلت : فكعب بن زهير بن أبي سلمى ؟

(١)

قال : ليس بفحل ، قلت : فزيد الخيل الطائي ؟ قال : هو من الفرسان ”
فنحن نرى من ذلك أن الفحولة تتطلب أمرين : جودة الشعر وكثرته ، ومعدده
عن اللين . فلا يكون الشاعر فحلا حتى يكون شعره كثيرا جيدا بعيدا عن اللين ،
مرتبطا ببعض الميزات التي يجب أن تتوفر في الشاعر وتتعلق بالشعر ، فقد بين
الأصمعي . كيف يكون الشاعر فحلا ؟ قال : ” لا يصير الشاعر في قريضة
الشعر فحلا حتى يروى أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني ، وتدور في
سامعه الألفاظ ، وأول ذلك أن يعلم المصروف ليكون ميزانا له على قوله ، والنحو
ليصلح به لسانه ويقيم أعرابه ، والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة
المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو بدم ” (٢)
... ومن هذا يتبين أن الفحولة — كما عرفها الأصمعي — تتطلب الجودة والكثرة
والبعد عن اللين وتتطلب ثقافة معينة يلم بها الشاعر فيسلك بذلك مسلك الشعراء
. الفحول

ولعل إشارة ابن سلام إلى الفحولة مستقاة أصلا من نقد الأصمعي ،
فالأصمعي أستاذ الأول في النقد ، وقد اعتمد ابن سلام على كثير من آرائه
ونقلها واستشهد بها في كتابه . واختياره لفظ الفحولة يدل على هذا التأثر ،
وقد كان ابن سلام يعتمد كثيرا على آراء النقاد المعاصرين له والعارفين بأمور
. الشعر

(١) احسان عباس ص ٥١ — ٥٣

(٢) احسان عباس ص ٥٣

الا أن ابن سلام قد أعطى الفحولة مفهوما جديدا • فالأصمى يجعل الشعراء المشهورين بين فحل وغير فحل كما رأينا • وابن سلام يجعل الشعراء المشهورين فحولا • ولكن الفحولة تتفاوت بينهم ^(١) ومن هنا جاء التقسيم الى طينات بين التقديم والتأخير خاضعا لبدأ تفاوت الفحولة بين الشعراء • ويظهر ذلك في مخالفته للأصمى الذى يرى أن الأسود بن يعفر ليس بفحل • وإنما يشبه الفحول • بينما يرى ابن سلام فيه شاعرا فحولا ^(٢) ولا يخرج ابن سلام عن شروط الأصمى التى تتحقق بها الفحولة • والتى منها الجودة والكثرة والبعد عن اللين • فهو يقول عن الأسود : " وله واحدة رائعة طويلة لاحقه بأجود الشعر لو كان شفيعها بمثلها قد مناه على أشل مرتبته " ^(٣) وهذا يشبه ما قاله الأصمى عن مهلهل :

" لو قال مثل قوله - اليلتنا بذى حمم أنيرى - خمس قصائد لكان أحفلهم " ^(٤) فهما يطلبان الجودة والكثرة لتصل بالشاعر الى مرتبة معينة من الفحولة • وكذلك فقد تعرض ابن سلام للين شعر عدى بن زيد المبادى ولين شعر قريش • كما تعرض له الأصمى فى شعر حسان بن ثابت • وجعلنا ذلك مغمزا فى الشعر اللين فلا يصل معه الشاعر الى درجة الفحولة ما لم يتغلب شعره الجيد على اللين ^(٥)

(٢) ابن سلام ص ١٤٧

(١) احسان عباس ص ٨٠

(٤) احسان عباس ص ٥٢

(٣) ابن سلام ص ١٤٧

(٥) ابن سلام ص ١٤٠ احسان عباس ص ٥٠

ومع أن الفحولة هي الأساس الذي اختار ابن سلام الشعراء على ضوءه ،
اذ عد الفحول من الشعراء فقط ، فان ابن سلام قد أخضع هؤلاء الفحول لمقاييس
نقدية ، كانت على المهيمنة على تقديم الشاعر وتفضيله أو تأخيرها في داخل
الطبقة الواحدة ، وكذلك التفضيل بين الطبقات ، فأصبحت الفحولة عنده اطارا
عاما يشمل المقاييس النقدية التي يتم بها التفضيل بين الفحول ، تلك المقاييس
التي أقام على أساسها اختيار الشعراء والمفاضلة بينهم وجميعهم من الفحول .
وتلك المقاييس هي :

- ١ — الجودة
- ٢ — الكثرة
- ٣ — تعدد الأغراض
- ٤ — الفن الأدبي
- ٥ — المقياس الخلفي
- ٦ — مقياس اللين
- ٧ — كون الشاعر مقلبا

ر / أولا : مقياس الجودة

يعتبر ابن سلام الجودة أهم المقاييس النقدية في كتاب الطبقات ، اذ
جعله المقياس الأول لتقديم الشاعر وتفضيله ، فقد جعل الجودة أساسا لتقديم

الشاعر على غيره في طبقته ، أو إيرادها ضمن الشعراء ، أو إهماله ، فابن سلام لا يورد (المهلهل) في طبقاته على الرغم من أنه قد سبق الشعراء الفحول الى تقصيد القصائد ، وذكر الوقائع ، حيث يقول عنه : " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وأبلى قتلته بنو شيبان ، وكان اسم المهلهل عديا ، وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره كلهله الثوب ، وهو اضطرابه واختلافه " (١)

ومن هنا نرى اهتمام ابن سلام بجودة الشعر لكي يورد صاحبه في الكتاب ضمن الطبقات ، فهو يبين أن للمهلهل شعرا ، وهو متقدم ، وقد سبق الشعراء الى تقصيد القصائد ، إلا أن اضطراب شعره واختلافه كان سببا لإهماله ، فلم يكن ابن سلام يورد كل شاعر من الفحول المتقدمين لأنه راع فقط لأورد المهلهل ، ولكن إخضاع الشعراء لمقاييس نقدية واضحة جعلته يهمله .

وكان ابن سلام دقيقا في ذكر الأمثلة ، والتنبيه الى قيمة الجودة للشاعر ، حتى يكون ذلك الشعر الجيد في مرتبة لا يصل اليها شعر مقفل منحول ملحق بغير صاحبه ، يقول عن ولد متم بن نويرة " . . . فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الاشعار ، ويصنعها لنا وإذا كالم دون كالم متم ، وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متم ، والوقائع التي شهدها " (٢)

(١) ابن سلام ص ٣٩

(٢) ابن سلام ص ٤٨

ومعنى ذلك أن ابن سلام يهتم بالجودة الى درجة يرسم منها للتأقـد
أن لكل شعر درجة من الجودة يظهر بها الاختلاق والانتحال ، ولا يقبل ابن
سلام شعرا كهذا اختلت جودته .

•• ويورد ابن سلام فى كتابه ما يدل على أن (الجودة) أساس للتفضيل ،
مستشهدا بأراء المعارفين للشعر ، يقول : * وأخبرنى شعيب بن صخر
قال : سمعت عيسى بن عمرو ينشد عامر بن عبد الملك لزهير أو النابغة ، فقال
يا أبا عبد الله هذا والله لا قول الأعشى :

لسنا نقاتل بالمعصى ولا نراى بالحجارة * (١)

فشعر النابغة أو زهير الذى أنشد أجود من شعر الأعشى ، ولذلك تقدماه
عند ابن سلام .

جعل ابن سلام " امرأ القيس " أول الطبقة الأولى وبين الجيد من
شعره • وعلى الرغم من أن " الناس أجمعوا على تقديمه " إلا أن ابن سلام لا يترك
هذا التقديم دون تحليل ، فيجعل الجودة هى السبب فى تقديمه فيقول عنه :
" سبق العرب الى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب " (٢) ومعروف لدينا
أن الاستحسان قائم على الجودة ، كما يقول عنه " وأجاد فى التشبيه • كان
أحسن أهل طبقته تشبيها " (٣) ويورد ما استحسنته الناس له من التشبيه —
وهى الأبيات : (٤)

(١) ابن سلام ص ٥٤ (٢) ابن سلام ص ٥٥ (٣) ابن سلام ص ٥٥

(٤) ابن سلام ص ٨١ — ٨٦

- كأن قلوب الطير رطبا وياهاسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى
- وقوله : كأنى بفتخاء الجناحين لقوة
دقوف من العقبان طاطات شمالى
- " : بمجلزة قد أنزر الجرى لحمها
كبيت كأنها سراوة منـــــــــــــــــوال
- " : وهم حوام ما يقين من الوجى
كان مكان الردف منها على رال
- " : نظرت اليها والنجوم كأنها
مصاييح رهبان تشب لقفال
- " : كأن الصوار اذ تجاهدن غدوة
على جمزى خيل تجول بأجلال
- " : أيقطنى والمشرقى مضاجعى
ومسنونة رزق كانياب أغوال ؟
- " : كأنى غداة البين حين تحملوا
لدى سمرات الحى ناقف حنظل
- " : مكر مفر مقبل مدبر معــــــــــــــــا
كجلمود صخر حطة السيل من على
- " : له ايطاليا طوى وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تنفسل
- " : دبره كخذ روف الوليد أدره
تتابع كفيه بخيط موصــــــــــــــــل
- " : كيق يزل اللبد عن حال منته
كما زلت الصفواء بالمتــــــــــــــــنزل
- " : كأن دماء الهاديات بنحره
عصارة حنأ يشيب مرجــــــــــــــــل
- " : وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهمم لبيتــــــــــــــــلى
- " : فيا لك من ليل كأن نجومه
بأمراس كتان الى صم جنــــــــــــــــدل
- " : (اذا ما ثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل) (١)

(١) ابن سلام ص ٨٨ ، ورواية البيت قبل الأخير صحتها : (فيا لك من ليل
كأن نجومه ٠٠ بكل معار القتل شدت ببذبل) ويظهر أنه يوجد سقط
حيث أن الشطر الذى أورده ابن سلام شطر البيت الذى يليه فى
القصيدة .

فهذه الأبيات من جيد التشبيه عند امرئ القيس ، وقد أورد غيرها كثيرا (٢)
ثم يجعل الجودة أساس المقابلة بين شعر امرئ القيس وغيره ، فهو يقاضل
بين شعر عبيد وعبد بنى الحساسى فى وصف المطر (٢) ثم ينضل عليهما شعر
امرئ القيس (٣) ويقول ناقلا عن ذى الرمة : (فقال ذو الرمة : بل/امرئ القيس
أجود حيث يقول :

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر (٤)

ويقول عن شعر النابغة : كان (أجزلهم بيتا) (٥) ويروى : (أن

عمر بن الخطاب قال : أى شعرائكم يقول :

فلست بمستبق أخا لا تظمه الى شعث أى الرجال المهذب

قالوا : النابغة ، قال : هو أشعرهم (٦) ، فالتفضيل هنا قائم على استجادة

بيت النابغة وجزالة شعره . والجزالة تعطى معنى الجودة (٧) .

ثم يسوق أبيات زهير التى استجادهما قدامة بن موسى الجمحى وهى قوله :

قد جعل المبتغون الخير فى هرم والسائلون الى أبوابه طرقا

من يلقى يوما على علاته هرمما يلقى الساحة منه والندى خلقا (٨)

(٧) الفيروز آبادى - القاموس المحيط

ط ٢ (الباب الحطبي ١٩٥٢ م.)

ج ٣ ص ٣٥٨

(٨) ابن سلام ص ٦٤

(١) ابن سلام ص ٨٩ - ٩١

(٢) المصدر السابق ص ٩٢ - ٩٤

(٣) المصدر السابق ص ٩٤ - ٩٦

(٤) المصدر السابق ص ٩٤

(٥) المصدر السابق ص ٥٦

(٦) المصدر السابق ص ٥٦

ويقول عن زهير أنه كان : * أجمعهم لكثير من المعنى في قليل مع-

المنطق (١) وتكثيف المعاني في قليل من الألفاظ يعطى الألفاظ جودة وقوة .

ويقول عن الأعشى : " أكثرهم طويلة جيدة " (٢)

ويقول عن شعر الحطيئة : " وكان الحطيئة متين الشعر شرود القوافي " (٣)

ويقول عن أبي ذؤيب الهذلي أنه كان : " شاعرا فحلا لا غيبة فيه ولا وزن " (٤)

أى لاضعف في شعره .

ويقول عن الشماخ : " فكان شديد متون الشعر " أشد أسر كلام من

لبيد (٥) ولا يخفى أن متون الشعر : يراد بها عبارته وألفاظه وصياغته ،

والأسر : الشد والعصب ، يعنى أنه غير مسترخ ولا ضعيف متخالف (٦)

ويقول عن طرفة : * أشعر الناس واحدة وهى قوله :

وقفت بها أبكى وأبكى الى الغد

لخولة أطلال ببرقة شهيد

وتليها أخرى مثلها وهى :

ومن الحب جنون مستقر

أصحوت اليوم أم شاقتك هر

ومن بعده له قصائد حسان جياذ (٧)

فهو أجود الشعراء واحدة - ثم يدرج شعره تباعا ويقاضل بين قصائده .

(٥) ابن سلام ص ١٣٢

(١) ابن سلام ص ٦٤

(٦) أنظر معنى ذلك كله فى (ابن سلام

(٢) ابن سلام ص ٦٥

ص ١٣٢ الهامش ، فقرة رقم ٦)

(٣) ابن سلام ص ١٠٤

(٧) ابن سلام ص ١٣٨

(٤) ابن سلام ص ١٣١

ويقول عن علقمة : « ولا بن عبدة ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر^(١) »

فهو يذكر له الجيد من شعره فقط .

ويقول عن عدى : « وله أربع قصائد غرر روائع مبرزات^(٢) » فيذكر له

شعره الجيد أيضا .

ويستشهد برأى يونس في شعر عدى الجيد ، ومنه :

أيها الشامت المفير بالدهر أنت المبرأ الموفور

أم لك العهد الوثيق من الأيام . بل أنت جاهل مفرور (م)

فقال : « لو تمنيت أن أقول شعرا ما تمنيت الا هذه . أوقال مثل هذه^(٣) »

ويقول عن الأسود بن يعفر : « وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر^(٤) »

فهى ليست طويلة فقط وانما هى من أجود الشعر .

وقد اختار أهل الطبقة السادسة لجودة قصيدة واحدة فقط . وجعل ذلك أساسا

لا اختيارهم وتقدمهم على الطبقات التالية لهم ، ويقول عنهم : « أربعة رهط

لكل واحد منهم واحدة^(٥) » أى : قصيدة واحدة فقط .

ويقول عن سويد بن كراع : « وكان شاعرا محكما^(٦) »

وكثيرا ما يختار الشعر الجيد ، يقول : « والمثقب العبدى هو الذى يقول :

(١) ابن سلام ص ١٣٩ (٢) ابن سلام ص ١٤٧

(٢) ابن سلام ص ١٤١ (٣) ابن سلام ص ١٥١

(٣) ابن سلام ص ١٤١ (٤) ابن سلام ص ١٧٦

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألتك أن تبيني
ولا تعدى مواعد كاذبات تربها رياح الصيف دونى
فانى لو تغالفتى شمالي عنادك ما وصلت بها يميني
إذا لقطعتها ولقت بيـني كذلك أجتوى من يجتويني

.....

إذا ما قمت أرعلها بـليل تاه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبدا ود يـيني
أكل الدهر حلا وارتجالا أما يبقى على ولا يقيـيني
فأبقى باطلي والجد منها كد كان الدراينة المطيين

وهذه الأبيات بعض القصيدة وانما انتخبنا أجودها أبياتا (١)

وهذا يدلنا على اهتمام ابن سلام بمقياس الجودة في الشعر ، يقول عن
حسان : " ومن شعره الرائع الجيد ما مدح به جفنه من غسان ملوك الشام فى
كلمة :

لله در عصابة ناد متهم يوما بجلق فى الزمان الأون (٢)

(١) ابن سلام ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ويقول محمود شاعر فى هذه القصيدة :
" الأربعة الأولى متتابعة أول القصيدة فى صاحبته فاطمه ، والأخرى
متتابعة من عند آخرها فى ذكرناقتة) ويقول عن شطر البيت الأول أن له
رواية أخرى وهى : (ومنعك ما سألت كأن ثيبي) انظر هامش ٢٧٢ من
ابن سلام . (٢) ابن سلام ص ٢١٨

وكذلك فانه يورد أبيات الفرزدق التي حكم الحطيئة بجودتها وهي :

” ترى الفجر الجاحج من قریش اذا ما الأمر في الحدثان عالا

بنی عم النبی ورهط عمرو وعثمان الأولى غلبو فعلا

قياما ينظرون الى سعيـد كأنهم يرون به هـلالا (١)

فقال الحطيئة : ” هذا والله الشعر ، لا ما تعلل به منذ اليوم أيها الأمير (٢)

ثم يورد أبيات الفرزدق المقلدات (٣) : ” ومقلدات الشعر : البواقى على وجهه

الدهر ، وكانوا يسمون جيد الشعر المحكك و . . : الحوليات ، والمقلدات ،

والمنقحات ، والمحكمات (٤) ” فمقلدات الفرزدق : جيد شعره .

كما جعل الجودة الفيصل في التفضل بين جرير والفرزدق والأخطل ،

وفسر قولهم : (الأخطل اذا لم يجرى سابقا فهو سكيت ، والفرزدق لا يجرى سابقا

ولا سكيتا ، فهو بمنزلة المصلى ، وجرير يجرى سابقا وسكيتا ومصليا (٥)) بأنه

يعنى تفاوتهم في الجودة فيقول : (وتأويل قوله : ان للأخطل خمسا أو ستا

أو سبعا طولا غررا جيادا هو مهن سابق ، وسائر شعره دون أشعارهما . فهو

فيما بقى بمنزلة السكيت ، والسكيت آخر الخيل في الرهان ، ويقال : ان الفرزدق

دونه في هذه الروائع ، وفوقه في بقية شعره فهو كالـمصلى أبدا ، والمصلى الذى

(٤) ابن سلام (هامش ص ٣٦١ فقرة ١)

(١) ابن سلام ص ٣٢١

(٥) ابن سلام ص ٣٧٥

(٢) ابن سلام ص ٣٢٢

(٣) ابن سلام ص ٣٦١

يجيء بعد السابق وقبل السكيت ، وجريو له روائع هوبهن سابق ، وأواسط هوبهن مصلى ، وسعسمعات هوبهن سكيت (١) فجعل مقياس السبق والتقديم هو الجودة الظاهرة فى القصائد الغر الجياد ليس غير . . . فالتفضيل هنا فى التقديم عائد لروائع القصائد وحيادها .

وذكر الأبيات التى حكم بها ابن مروان فى الثلاثة ، وذكر أن تفضيلهم عائد للجودة ، وتلك الأبيات هى :

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حل و الكلام ومصره لجريو
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى اللهى بمد يحه المشهور
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه وهجاؤه قد سار كل مسير (٢)
فهو يجعل الحكم النهائى فى تحديد مكانة الشاعر — جودة شعره .
ونراه يورد بيتا واحدا ويجمله الحكم فى التفضيل لجودته . فقد أورد بيت جريو :

وطوى القياد مع الطراد بطونها طى التجار بحضرموت برودا
وبين أن عبدة بن علال اليشكرى قد فضل به جريو على الفرزدق (٣)

وقد انتقى ابن سلام من أشعار " جريو ورهظه " الجيد فقط ، قال :
(ولج المهجاء نحو من أرمعين سنة لم يغلب واحد منهما على صاحبه ، ولم يتهاج

(٣) ابن سلام ص ٣٨٢

(١) ابن سلام ص ٣٧٥

(٢) ابن سلام ص ٣٧٨

شاعران في الجاهلية ولا الاسلام بمثل ما تنهاجيا به ، وأشعارهما أكثر من أن
فأتى عليها ، ولكننا نكتب منها النادر (١) . والنادر في الشيء الجيد منه .
وكما أفرد مقلدات الفرزدق فقد أفرد مقلدات جرير (٢) والأخطل (٣) ،
والمقلد : الجيد من الأبيات (٤) ، وهذا يدل كذلك على اهتمامه بالجودة
كمقياس نقدي هام .

(عن محمد بن سلام قال : قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء .
أي البيتين أجود ؟ قول جرير :
ألستم خير من ركب المطايا وأندى المالمين بطون راح
أم قول الأخطل

شمس العداوة حتى يستقادلهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا
فقلت : بيت جرير أعلى وأيسر ، وبيت الأخطل أجزل وأرزن ، فقال : صدقت .
وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة) (٥)

(١) ابن سلام ص ٣٨٩

(٢) ابن سلام ص ٤٠٩

(٣) ابن سلام ص ٤٩٣

(٤) ابن سلام ؛ هامش ص ٣٦١ فقرة رقم (١) (

(٥) ابن سلام ص ٤٩٤

ويقول عن كثير : " وكان فيه مع جودة شعره غطل وعجب ^(١) فهو

يجمل المقياس للشاعر جودة شعره وليس للصفات المنوطة به . وقد قال عنه :

" شاعر أهل الحجاز ، وأنهم ليقد موته وهو شاعر فحل ، . . أشعر الاسلاميين

كثير ^(٢) ، ولم يقدمه مع حماقته وغروره الاجودة شعره ، ويذكر أن له قصائد

جيدة مشهورة مدح بها عبد الملك بن مروان ^(٣) .

من جميع ما سبق يظهر اهتمام ابن سلام بالجودة الشعرية ، وأنه

جعلها المقياس الاول للتفضل ، وذكر جيد الشعر ، سواء أكانت الجودة فى

الشعر عامة . أو فى فن من الفنون ، أو فى الأبيات المفردة ، واهتم كثيرا بالاشارة

الى الاجادة عندما يتحدث عن شاعر أو شعر ، أو يذكر آراء العلماء فى تفضيل

شاعر ، أو يفسر بعض الأمور المتعلقة بالشعراء ، فيجعل الجودة غالبا محور

التفضيل والحد يث .

ان اهتمام ابن سلام بمقياس الجودة وتقدمه على جميع المقاييس جعل له

اثرا واضحا فى التفضيل او التقديم والتأخير من الطبقات . ومن الشعراء داخل

الطبقة الواحدة .

فمقياس الجودة هو الذى قدم "علقة الفحل" الى الطبقة الرابعة فله

(١) ابن سلام ص ٥٤١ (٢) ابن سلام ص ٥٤٢ (٣) ابن سلام ص ٥٤٣

* ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر^(١) لولا هن لتأخر عن هذه الطبقة ، اذ ليس له جياذ غيرها ، والا لتقدم الى طبقة أفضل . فهذه القصائد * لاشي* بعد هن يذكر^(٢) وهو المقياس الذى جعله يضع عبيد بن الأبرص فى الطبقة الرابعة ، مع أنه لا يعرف له من الشعر الا واحدة .

" أققر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب^(٣)"

وما بقى لا يراه ابن سلام شعرا ، ولولا جودة هذه لما تقدم الى هذه الطبقة لقلة شعره .

أما الأسود بن يعفر * فله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شفصها بمثلها قد مناه على مرتبته وهى :

نام الغلى وما أحس رقادى والههم محتضر الى وسادى .
وله شعر جيد . ولا كهذه^(٤)

فاذا كان مقياس الكثرة الجيدة قد قعد به عن مرتبته الصحيحة فان مقياس الجودة وحده " بدون كثرة " هو الذى قدمه الى هذه الطبقة . فمقياس الجودة هنا له أثره على خلاف ما يرى الدكتور محمد مندور^(٥) حيث جعل الجودة آخر المبادئ عند ابن سلام .

-
- (١) ابن سلام ص ١٣٩ (٢) ابن سلام ص ١٣٩
(٣) ابن سلام ص ١٣٨ - ١٣٩ (٤) " " ص ١٤٧
(٥) محمد مندور - النقد المنهجي عند العرب - مكتبة نهضة مصر (القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٩ حيث يقول فى ذلك (٢) وهذه المبادئ هى (١- كثرة شعر الشاعر .
٢- تعدد أغراضه ٣- جودته . وان كان قد غلب الكثرة على الجودة) .

ومما يؤيد أن مقياس الجودة هو المقدم عند ابن سلام أنه جعل "عدي بن زيد" في الطبقة الرابعة الجاهلية . مع ضعف شعره ولين لسانه . ولم يشفع له ويقدمه الا : "أربع قصائد غرر روائع مبرزات" . لولاها لتأخر لضعف شعره ولين لسانه وكثرة المنحول عليه . ولم تقدمه كثرة شعره الضعيف اللين ولا تقدم زمانه الى احدى الطبقات الثلاث الأولى ،

والجودة وحدها هي التي جعلت عنتره بن شداد في الطبقة السادسة لأن له واحدة نادرة وهي :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعى صباحا دار عبلة واسلمى (١)

وله غيرها شعر كثير (٢) الا أن الكثرة في شعره لم تقدمه على الرغم من تقدم زمانه بل تحكمت الجودة النادرة عنده في وضعه في طبقة معينة .

وبالاضافة الى عنتره ابن شداد ، فان قلة الجودة هي التي أخرجت شعراء الطبقة السادسة جميعا ، فالحارث بن حلزة مثلا ليس له شعر جيد سوى الواحدة ، وسويد ابن أبي كاهل له شعر كثير . ولكن برزت قصيدته الواحدة على شعره . فلم تقدمهم الكثرة ، وانما تحكمت الجودة في وضعهم معا من طبقة واحدة (٣)

-
- (١) بداية القصيدة : هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توعم (ديوان عنتره ص ١٤٢)
ويليه بيتان ، ثم البيت الذي ذكره ابن سلام - ولعل ذلك قد سقط من كتاب ابن سلام . أو أن هناك اختلاف في بداية القصيدة .
- (٢) ابن سلام ص ١٥٢
- (٣) انظر ذلك في ابن سلام ص ١٥١ - ١٥٣

والمفضل بن معشر بن أسحم " فضله قصيدته التي يقال لها النصفه وأولها :

(١)

فنيثنا ونيتهم فريق *

ألم تر أن جيرتنا استقلوا

فلم يفضل على غيره إلا جودة قصيدته هذه فقط .

ومما يدل على أن الجودة هي التي تتحكم في تقديم الشاعر عند ابن

(٢)

سالم ، تقديمه لمتهم بن نويرة بقوله " والمقدم عندنا متمم بن نويرة " والسبب

في ذلك أنه أكثر فأجاد ، فليست الكثرة هي التي قدمته وإنما الاجادة مع الكثرة ،

ولا يختلف أحد في أن الجيد الكثير خير من الجيد القليل ، فكثرة الشعر مع عدم

جودته أخرت هبيرة بن أبي وهب " وكان هبيرة بن أبي وهب شاعرا . وله شعر

(٣)

كثير وحديث ومع ذلك فقد جعله آخر المكيين مع أن لمن تقدمه شعر قليل ولكنه

(٤)

جيد .

وقد طلب ابن سالم الجودة في الشعر وجعلها أساسا لذكر الشعر

وتدوينه . ورأى أن الشعر الضعيف يجب أن لا يعتد به وذلك خير . فيقول عن

ضعيف شعر قريش : " ولسنا نعد ما يروى ابن اسحاق له ولا لغيره شعرا . ولأن

(٥)

لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم

(٢) ابن سالم ص ٢٠٩

(٤) ابن سالم ص ٢٤٤

(١) ابن سالم ص ٢٧٥

(٣) ابن سالم ص ٢٥٢

(٥) ابن سالم ص ٢٤٧

ومما يدل على أن الجودة مقياس هام عند ابن سلام أنه بنى عليه اختيار
 (١) شعر شعراء القرى السرية ، وشعر اليهود ، يقول : " وفي مكة شعراء وأبرعهم "
 والبراعة في الشيء تعطي معنى الاجادة ، ويقول : " وأشعرهن قرية المدينة ،
 شعراؤها الفحول خمسة " (٢) والفحولة قائمة عند ابن سلام على الجودة ، ويقول
 " وفي البحرين شعر كثير جيد " (٣) ، وقد قدم أبا طالب وليس له الا قصيدة
 واحدة وآخر أبا سفيان وضاراً ولهما شعر كثير (٤)
 . ويقول عن شعراء اليهود " وفي يهود المدينة وأكثرها شعر جيد " (٥)
 وجودة الشعر هي التي دفعت ابن سلام الى ذكرهم وذكر نماذج من أشعارهم ،
 وهذا ظاهر من افتتاحه الحديث عنهم .

من هذا يتضح أن ابن سلام يجعل الجودة المقياس الأول والمقدم لويسه ،
 وان ربطها بالكثرة فانما يفضل الجيد الكثير على الجيد القليل ، وهذا لا يطعن
 في منهجه النقدي ، ولا يجعل التفضيل قائما على الكم - كما يحلو لبعض الباحثين
 فقد رأينا أن الكثرة وحدها لم تقدم شعراء ، بينما قدمت الجودة شعراء لجودة
 قصائدهم على الرغم من قلتها ، يقول : " الرابع عمرو بن شاس ، كثير الشعر
 في الجاهلية والاسلام أكثر أهل طبقة شعرا وكان ذا قدر وشرف ومنزلة في قومه " (٦)

- | | | | |
|-----|----------------|-----|----------------------------|
| (١) | ابن سلام ص ٣٣٣ | (٤) | ابن سلام ص ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ |
| (٢) | ابن سلام ص ٣١٥ | (٥) | ابن سلام ص ٢٧٩ |
| (٣) | ابن سلام ص ٢٧١ | (٦) | ابن سلام ص ١٩٦ |

ومع ذلك قدم عليه شعراء من طبقته مع أنه كان أكثرهم شعرا ، وجعله رابعهم •

ثانيا : مقياس الكثرة

جعل ابن سلام الكثرة مقياسا هاما ، وقرنها بالجودة ، فكلما كثر الشعر

الجيد لدى شاعر من الشعراء كان ذلك سببا لتقديمه على الشاعر المجيد المقال .
والكثرة في مفهوم ابن سلام ليست بقصيدة أو قصيدتين أو أكثر ، وإنما الكثرة عنده
هى كثرة ما تتناقله الرواة من شعر الشاعر • فهو يقول عن شعراء الطبقة الرابعة :
• وهم أربعة رهط فحول شعراء موضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم
بأيدى الرواة (١) .

فطرفة وعبيد أخرهما قلة شعرهما بأيدى الرواة المصححين حيث صح
لهم قصائد بقدر عشر (٢) ، والقصائد العشر التى صحت لهما قد أخرتهما عن
مراتب المتقدمين من الشعراء عنده ، بل ويستكثر عليهما مكانهما على أفواه الرواة
ويتوقع أن يكون لهما شعر غيرها قدمها على أفواه الرواة • فمقياس القلة أخرهما عند
ابن سلام ،

ومما يدل على أنه ربط بين الكثرة والجودة قوله عنهما : • وإن كان ما يروى

من الخشاء لهما فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة (٣) فالكثرة التى لا جودة
فيها لا تجعلهما يستحقان التقدم على أفواه الرواة ، فلا بد أن لهما جيذا ضائعا

(١) ابن سلام ص ١٣٧ (٢) ابن سلام ص ٢٦ (٣) ابن سلام ص ٢٦

هو الذى أشلهما لهذا التقديم ، ومعنى ذلك أن مقياس الكم لا ينفرد عند ابن سلام وإنما يقترن بالجودة .

رأت بنت الشاطئ أن ابن سلام لا يهتم بالكيف ، قالت : " أما طريقة وعبيد فنفسا استكثر عليهما ابن سلام مكانهما فى الطبقة الرابعة عنده خضوعا لمقياس الكم لا الكيف ، بل أنه اتخذ من شهرتهما مع قلة شهرهما بأيدى الرواة دليلا على ضياع شعر كثير . . ولم يخطر بباله أن يكون للمستوى الفنى ما يشفع لطرفة وعبيد فى تلك الطبقة الرابعة " (١)

وفى الحقيقة أن ابن سلام لم يهتم بالكثرة وحدها - الكم كما تقول بنت الشاطئ - وإنما اهتم مع الكم بالكيف ، فهو يرى أن تقوم طريقة وعبيد على أفواه الرواة راجع لضياع شعر جيد ، ونحن لا نشك فى أن ابن سلام إنما كان ينقل فيما ينقل من آراء نقدية عن العارفين والرواة المصححين ، وأن قلة الجيد هى التى أخرت طريقة وعبيدا ، ولو أن ابن سلام اهتم بالكثرة وحدها لاقتنع بما يروى من الفناء ، لهما - والذى أشار إليه صراحة - ولجعله مما يقدمهما . . إلا أن اهتمامه بالكيف والمستوى الفنى جعله يرد هذا الفناء ، ويجعل تقديمها عائدا لشعرهما الجيد ، ولو لم يهتم بالمستوى الفنى لما ناقش فى موضوعية تقديمها مع قلة مالهما من الشعر المصحح ، ولجعل ما يروى لهما من الفناء سببا لتقديمها دون استكثار منه عليهما - لأن ذلك الفناء يد غسل فى (الكم) .

(١) بنت الشاطئ ٥٦ ومثله قال الدكتور محمد مندور النقد المنهجى ص ١٩

(٢) ابن سلام ص ٢٦

وبين ابن سلام أن مقياس الكثرة قد قعد بالأسود بن يعفر عن مرتبته الصحيحة ، إلا أن مقياس الجودة وحده هو الذي قدمه الى الطبقة التي جملها فيها ، فمقياس الجودة له أثره خلافا لما ترى بنت الشاطئ ، وما قرر الدكتور محمد مندور أيضا ^(١) ، ذلك أن الأسود بن يعفر ليس له إلا واحدة جيدة لاحقة بأجود الشعر . ومع ذلك قدمته الى طبقته التي هو فيها . بينما أخرته قلة الجيد عن مراتب المتقدمين . وله واحدة رائحة طويلة لاحقة بأجود الشعر لو كان شفها بمثلها قد مناه على مرتبته وهي :

نام الخلى وما أحس رقادى والههم محتضر لدى وسادى ^(٢)

كما أن الكثرة وحدها لم تقدم عمرو بن شاس على أهل طبقته وهو أكثرهم شعرا ^(٣) .

لقد قرن ابن سلام مقياس الكثرة بالجودة في أكثر أحكامه النقدية التي وضعها في الكتاب ، يقول : " وللمخبل شعر كثير جيد " ^(٤) ، ويقول : " بكى متم مالكا فأكثر وأجاد " ^(٥) ، ويقول عن شعراء المدينة : " أشعرهم حسان بن ثابت وهو كثير الشعر جيد " ^(٦) ، وفي البحرين شعر كثير جيد ^(٧) ، ويقول :

(١) بنت الشاطئ ص ٥٦ ، محمد مندور - النقد المنهجي ص ١٩ ، وأنظر طه

ابراهيم ص ٦٦

(٢) ابن سلام ١٩٦

(٣) ابن سلام ص ١٤٧

(٤) ابن سلام ص ٢٠٩

(٥) ابن سلام ص ١٥٠

(٦) ابن سلام ص ٢٧١

(٧) ابن سلام ص ٢١٥

(١)

"ان للأخطل خمسا أو ستا أو سبعا طولا غررا جيادا"

فالكثرة والجودة مقياسان متالزمان عند ابن سالم ، فإذا جاءت الجودة

فى شعر قليل أخرت الشاعر من طبقته كالأسود ، وإذا كثرت الجودة فى الشعر

تدمته ، فإذا كثر الشعر بلا جودة لم يقدم صاحبه ، فالكثير الفناء لم يقدم طرفه

وجيدا ، والكثيرة وحدها لم تقدم عمرو بن شأس^(٢) ولم تقدم هبيرة بن أبى وهب^(٣) ،

وتأخر غنرة مع أن له شعرا كثيرا^(٤)

وهكذا يجعل ابن سالم الكثرة والجودة مقياسين متالزمان لتقديم الشاعر

أو تأخيره فالكثرة مقياس مهم إذا اقترن بالجودة ، والكثير الجيد يقدم صاحبه على

المقل المجيد وهكذا تظهر أهمية الكثرة والقلة كمقياس نقدي يلعب دوره عند ابن سالم ،

فشعراء الطبقة السابعة (محكمون مقلون)^(٥) أخرهم قلة شعرهم .

فاختيار ابن سالم لهم قائم على الجودة ، وقلة هذا الجيد أخرتهم الى

المرتبة السابعة وقد منهم عما تلاهم من طبقات ...

(١) ابن سالم ص ٣٧٥ (٤) ابن سالم ص ١٥٢

(٢) المصدر السابق ١٩٦ (٥) المصدر السابق ١٥٥

(٣) المصدر السابق ٢٥٧

ثالثا : مقياس تعدد الأغراض

اهتم ابن سلام بتعدد الأغراض عند الشاعر ، وجعل منها مقياسا للاختيار والتقديم ، وقد أشار في مواضع عديدة الى تنوع أغراض الشعر ، وقرنها بتقديمه للشاعر ونقل كثيرا منها عن العارفين بالشعر . يقول : " وقال أصحاب الأعشى هو أكثرهم عروضاً ، وأنهم في فنون الشعر ^(١) ومعنى ذلك أنه يهتم بتنوع فنون الشعر عند الشاعر فهو يحتج لكل شاعر - كما رسم في مقدمته - بما قال العلماء فيه وماله وما عليه .

ولما كان الجدل يدور على التفضيل بين شعراء الطبقة الأولى، بين أن أصحاب الأعشى يعدون من عوامل تقديمه أنه : أنهم في فنون الشعر . ويقول : " وسألت الأسدي أغابني سلامة عنهما * فقال : بيوت الشعر أربعة ، فخر ، ومدح ، ونسيب ، وهجاء ، وفي كلها غلب جرير ، في الفخر في قوله :

حسبت الناس كلهم غضابا

إذا غضبت عليك بنو تميم

وفي المدح قوله :

وأندى العالمين بطون راح

ألستم خير من ركب المطايا

(١) ابن سلام ص ٦٥

* يقصد جرير والفرزدق

وفى الهجاء قوله :

ففض الطرف انك من نمير فلا كمبا بلغت ولا كلابا

وفى النسيب قوله :

ان العيون التى فى طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
والى هذا يذهب أهل البادية (١)

فهو يعقد هنا طريقة للتفضيل بين الفرزدق وجريو ، ويبين أن جريرا
قد فضل فى أغراض الشعر جميعا . وهذا يبين اتخاذ ابن سلام تعدد الأغراض
مقياسا للمفاضلة بينهما ، يقول نقلا عن بشار : " كانت لجريو ضروب من الشعر
لا يحسنها الفرزدق ، ولقد هاتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جريو ،
فقلت لبشار : وأى شيء لجريو من المرائى الا التى رثى بها امرأته ؟ فأنشد
لجريو يرثى ابنه سواده ، ومات بالشام :

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالى (٢)

فجريو يفوق الفرزدق فى الرثاء ، وله ضروب لا يحسنها الفرزدق .
ويقول فى الأخطل : " عن عكرمة بن جريو حين سأل أباه عن الشعراء ، قال فى
الأخطل : يجيد نعت الطوك ويصيب صفة الخمر " (٣)

وكثيرا ما كان يشير الى " تعدد أغراض الشعر عند الشاعر " اذا تعرض

لذكر الشعراء فى طبقاته مما يدل على اهتمامه بتعدد الأغراض عند الشاعر (٤) .

(١) ابن سلام ص ٣٧٩ - ٣٨٠ (٢) ابن سلام ص ٤٥٦ - ٤٥٧
(٣) المصدر السابق ٤٨٧ - ٤٨٨ (٤) المصدر السابق ٦٤٩ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٧٧

ولعل أوضح ما يدل على اهتمام ابن سلام بتقديم الشاعر لتعدد الأغراض الشعرية عنده . تقديمه لكثير على جميل حيث يقول : "وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا في النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثير يتقبل ولم يكن عاشقا وكان ربيعة لجميل" (١) فقدّم كثيرا تبعا لذلك الى الطبقة الثانية من الاسلاميين وأخر جميلا الى السادسة ، وهو يقدم كثيرا على جميل لأن له فى فنون الشعر ما ليس لجميل ، وعلى الرغم من أن جميلا يتقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا فى النسيب الا أن تعدد الفنون عند كثير كانت سببا لتقديمه فجعلته فى الطبقة الثانية من الاسلاميين ، بينما تأخر جميل . "وهو المقدم فى الغرض الواحد" الى الطبقة السادسة لعدم تفوقه فى أغراض أخرى . .

وترى الدكتور بنت الشاطىء أن ابن سلام قدّم كثيرا على جميل "لأن كثير عزة قد اتصلت أسبابه بالقصر الأموى ، وقال فيهم مدائح . تقدم على جميل الذى لم يتصل بالسياسة ولا مارس الفن الذى يرضى الحكام . وأن يكن جميل باعتراف النقاد أبرع فنا ، وأصدق عاطفة ، لكنها ارادة السلطان اعتمدها النقاد ، فاحتل كثير مكانه عندهم فى الطبقة الثانية وتأخر جميل الى الطبقة السادسة" (٢)

(١) ابن سلام ص ٥٤٥

(٢) بنت الشاطىء ١١٦

وتستشهد بنص ابن سلام في تقديم كثير وأن له من الفنون ما ليس لجميل ،
وتقول : " ولم يلبث ابن سلام أن جاء بنماذج من فنون الشعر الأخرى التي
لكثير فيها ما ليس لجميل ، وكلها في مدح ملوك بني أمية . وبمثل هذا المدح
فتحت أمام كثير الأبواب وهان على ابن سلام أن يضعه في الطبقة الثانية ،
ويضع جميلا في الطبقة السادسة ، مع تقريره أن جميلا كان صادق الصباية ،
وكان كثير يقول ولم يكن عاشقا " (١)

وفي الحقيقة أن ابن سلام اهتم بتعدد الأغراض عند الشاعر ، وجعلها
مقياسا لتفضيله — أيا كانت الأغراض — سواء في المدح أو غيره من الفنون
الأخرى المعروفة ، فكان المقياس عنده " أن لكثير في فنون الشعر ما ليس لجميل " .
واختياره أبيات المديح قائم على انتقاء الجيد الذي أشار إليه في أكثر من موضع ،
وأنه إنما كان ينتقى أجود الأبيات (٢) ثم إن ابن سلام نفسه قد أنصف جميلا
وقدمه في فن النسيب على كثير وعلى أصحاب النسيب جميعا (٣) وهذا يدل على
أن ابن سلام إنما كان يبنى التقديم العام على تعدد الأغراض ، فلو تعددت
الأغراض عند جميل وكانت في الجودة التي تماثل شعره في النسيب لقدمه ، إلا
أن اقتصره في الإجابة على النسيب قدمته على أصحاب النسيب في النسيب
فقط وقدمت كثير عليه لتعدد الأغراض عنده .

(١) بنت الشاطي ١١٧

(٢) ابن سلام ص ٢٧٢ - ٢٧٤ والأمثلة كثيرة منتشرة في الكتاب

(٣) ابن سلام ص ٥٤٥

لقد مدح جميل الأمويين . ونقل له ابن سلام قصيدته في مدح عبد العزيز

بن مروان^(١) وهي :

الى القرم الذى فأت يداه	بفعل العرف سطوة من يثيل
إذا ما أغلى الحمد اشتراه	فما أن يستقيل ولا يقيـل
أمين الصدر يحفظ ما تولى	بما يكفى القوى به النبيل
أبا مروان أنت فتى قريش	وكهلهم إذا عد الكهـول
توليه العشيرة ما عناـ	فلا ضيق الذراع ولا تخيل
اليك تشير أيديهم إذا ما	رضوا أو غالهم أمر جليـل
كلا يوميه بالمعروف طلق	وكل فعالة حسن جميـل
نما بك فى الذؤابة من قريش	بناه المجد والعز الأثـيل
أروم ثابت يهتز فيـه	بأكرم منبت فرع طويـل

ولكنها لم تقدمه . فإين اذن أثر تقديم القصر الأموى ؟ أليست هذه الأبيات

مدحا فى الأمويين ؟ . أليس عبد العزيز هو أخا عبد الملك بن مروان الخليفة

المشهور ؟ أليست أبيات جميل :

نما بك فى الذؤابة من قريش	بناه المجد والعز الأثـيل
أروم ثابت يهتز فيـه	بأكرم منبت فرع طويـل

(١) القصيدة من ابن سلام ص ٦٧٣ - ٦٧٤

مدحا للبيت الأموي كله ؟ . فلماذا لم تشفع لجميل وتقدمه ؟

أليست هذه القصيدة خير شاهد على اتصال جميل بالقصر الأموي ومدح أحد الأمويين المشهورين - أهل الخلافة والامارة - وضره في هذا الفن الذي قدم كثيرا كما تزعم بنت الشاطيء ؟ . فأين بعد جميل عن السياسة وعن هذا الفن ، وقصيدته التي مدح فيها عبد العزيز بن مروان بين أيدينا ؟ فجميل قد مدح الأمويين وضرب اليهم آباط الابل حاملا قصائد المدح الى بلاطهم (١) .

ان التقديم خاضع لمقاييس فنية لا يعمدها . ولذلك قدم ابن سلام كثيرا التعداد الفنون عنده ولأنه " كان يستقصي المديح (٢) ، فهو ليس كجميل في ذلك ، والا فكلاهما شاعر غزل . وكلاهما مدح الأمويين ، الا أن كثيرا لديه من الفنون ما أجاد فيه وأطال (٣) .

لقد سأل الغليفة عبد الملك الأخطل عن شعر كثير . فقال الأخطل : " أرى شعرا حجازيا مقرورا لو ضغطه برد الشام لأضمحل (٤) " فسكت عبد الملك ولم يعلق على حكم الأخطل هذا . فكأنه مقتنع به وراض عنه . وهو بلا شك حكم نقدي هوّن به الأخطل من شاعرية كثير . وهو الحكم الذي لم يضع من مكانة كثير عند ابن سلام ، بينما وضع من شعره أمام عبد الملك ، وهذا حكم صدر في البلاط الأموي الذي تقول بنت الشاطيء أنه قدم كثيرا على جميل .

(١) د . محمد نبيه حجاب ، روائع الأدب (دار المعارف المصرية ١٩٧٣) ص ٨٠ .

(٢) ابن سلام ٥٤٠ (٣) ابن رشيق القيرواني - العمدة في صناعة الشعر

ونقده (مصر ١٩٦٣ م) ج ١ ، ص ٦٢ (٤) ابن سلام ص ٥٤١

ثم ان ابن سلام يخضع في كثير من أحكامه الى آراء المعارفين بالشعر ،
وكلهم قد قدّم كثيرا لأسباب فنية محضة : " كان كثير شاعر أهل الحجاز
وأنهم ليقدّمونه (١) "

وقال : " وسمعت يونس النحوي يقول : كان ابن أبي اسحق يقول : كان
كثير أشعر أهل الاسلام (٢) . "

ومما يدل على اهتمام ابن سلام بتعدد الأغراض ما ذكره عن ذى الرمة أنه
كان : " أحسن أهل الاسلام تشبيها " ومع ذلك لم يقدمه . لأن ليس له من
الفنون وتعدد الأغراض ما لغيره من الشعراء ، ولأنه قصر شعره على الوصف
قال : مر الفرزدق بذى الرمة وهو ينشد :

أمزلتى من سلام عليكما
هل الأزمى اللائى مضين رواجه
فوقف حتى فرغ منها . فقال : كيف ترى يا أبا فراس ؟ . قال : أرى خيرا
قال : فما لى لا أعد فى الفحول ؟ قال : يمنعك عن ذلك صفة
الصحارى وأبعار الابل ، وولى الفرزدق وهو ينشد :

ودوية لو ذو الرميعة رامها
بصيدح أودى ذو الرميم وصيدح
قطعت الى معروفها منكراتها
إذا خبال دونها يتوضج (٣)
فاقتصار شعر ذى الرمة على الوصف ، وعزوفه عن الأغراض الشعرية الأخرى

(١) ابن سلام ص ٥٤٠

(٢) ابن سلام ص ٥٤٠

(٣) ابن سلام ص ٥٥٢ - ٥٥٣

هو الذى أخره عن مرتبة الفحول قبله .
وهكذا يظهر أثر تعدد الأغراض عند ابن سلام ، وأنه مقياس
نقدى له دوره فى تقديم الشاعر وتفضيله .

لقد أعمل ابن سلام * عمر بن أبى ربيعة * لأنه اقتصر على الغزل
فقط فقد بين أنه * أغزل فى شعره من ابن قيس الرقيات ^(١) ، وعلى الرغم من
ذلك أعمله لانعدام تعدد الأغراض عنده - ولأنه وقف نفسه على الغزل اللاهى -
فخرج بذلك أيضا على مقياس الصدق والأخلاق الذى اعتبره ابن سلام أساسا
نقديا فى كتابه .

(١) ابن سلام ص ٦٤٨

رابعاً : مقياس الفن الأدبي

ويقصد به التفوق في الفن الشعري الواحد ، حيث تعتبر الاجادة في فن من فنون الشعر مقياساً نقدياً عند ابن سالم . فلقد أفرد ابن سالم طبقة من شعراء الرثاء وفاضل بينهم على أساس تفوقهم في هذا الفن الشعري ، وهم طبقة أصحاب المراثي قال : " صيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد المشعر الطبقات ، وأولهم متم بن نويرة . . . رثى أشاه مالكا ، والخنساء بنت عمرو بن الحارث . . . رثى أخويها صخرًا ومعاوية ، وأعشى بائلة . . . رثى المنتشر بن وهب بن عجلان . وكعب بن سعد بن عمرو بن عتبة . . . رثى أخاه أبا المخوار (١) . . . والمقدم عندنا متم بن نويرة "

فهؤلاء جميعاً أجادوا في فن الرثاء فصيروهم طبقة وفاضل بينهم وجعل المقدم طيهم متم بن نويرة .

وطى الرغم من أن ابن سالم قد اعتم بأصحاب المراثي . وصيرهم طبقة مستقلة تبعاً لاجادتهم في فن واحد هو الرثاء . فإنه لم يفعل ذلك مع أصحاب الفنون الأخرى بل اكتفى بالإشارة الى اجادتهم ضمن سلم الطبقات دون افراد ، فهو وان جمع الفزليين في الطبقة السادسة من الاسلاميين كما جمع الرجاز في طبقة أخرى ، فلم يجعل التفاضل بينهم قائماً على الاجادة في هذا الفن ، ولعل

ذلك راجع الى أنهم أجادوا في فنون أخرى فجعل التفاضل هذا خاصاً
لمقياس تعدد الأغراض ، ولعل ابن سلام قد أفرد أصحاب الرثاء في طبقة
نظرا لصدق العاطفة في هذا الفن ، ولبروز هؤلاء فيه .

ولقد أشار ابن سلام في مواطن كثيرة من الكتاب الى الاجادة فى
فن واحد من فنون الشعر ، وجعله مقياسا للمفاضلة بين الشعراء ، وقد وردت
نصوص كثيرة عن ابن سلام تظهر مدى اهتمامه باجادة الشاعر في الفن الشعري ،
وأن لذلك قيمته في تفضيل الشاعر على غيره ممن خاض معه في هذا الفن . أو
تفضيله في ذلك على أهل زمانه . يقول : " كان علمائنا يقولون : أحسن أهل
الجاهلية تشبيها أمرؤ القيس ، وأحسن أهل الاسلام تشبيها ذو الرمة " (١)
يفاضل هنا بين شعراء الزمان الواحد في فن التشبيه ، ويبين أن امرأ القيس
أحسن الجاهليين ، وأن ذو الرمة أحسن الاسلاميين .

ويقول : " وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب
النسب جميعا في النسب " (٢) فهو يفاضل بين شاعرين في فن واحد ، ثم يفضل
أحدهما على الآخر في نفس الفن ، وشبهه ذلك قوله عن عهد الله بن قيس الرقيات :
" وكان غزلا ، وأغزل من شعره/عمر بن أبى ربيعة " (٣)

وقد اعتمد ابن سلام بالاشارة الى الفن الشعري والاجادة فيه وتفضيل

(١) ابن سلام ص ٥٤٩ وأنظر ص ٥٥ (٢) ابن سلام ص ٥٤٥

(٣) ابن سلام ص ٦٤٨

الشاعر المبرز فيه على الشعراء . يقول عن امرئ القيس : " وأجاد في التشبيه ،
(١)

وفصل بين النسب والمعنى " ، وقد أورد ما استحسنته الناس من تشبيه امرئ

القيس (٢) كما نقل مفاصلة ذي الرمة بين شعر عبيد وعديني الحساس وامرئ

القيس في وصف المطر ، وأن أفضلهم وأجودهم في هذا الفن امرؤ القيس (٣) ونقل

عن يونس بن حبيب قوله : " كان الجعدى أوصف الناس لغرس أنشدت قوله

رؤية :

(٤)
فان صدقوا قالوا جواد مجرب ضليح ومن خير الجياد ضليعها .

ويقول عن الراعى : " سمى راعى الابل لكثرة صفته للابل وحسن نعمته لها . . . " (٥)

كما بين تفضيل جرير على أهل طبقة في الرثاء ، يقول نقلا عن بشار : " كانت

لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها
(٦)

بشعر جرير " ثم ذكر قصيدة جرير في الرثاء ، التي كانت سببا لتفضيله عليهم فسى

هذا الفن ، وما رثا به ابنه . وهى :

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالى

فارتنتى حين كف الدشر من بصرى وحين صرت كعظم الرمة البالى

أمسى سودة يجلو مقلتى لحم باز يصرصر فوق المربأ العالى

قد كنت أعرفه منى اذا علققت ومن الجياد ومد الخاية الخالى

(١) ابن سلام ص ٥٥ (٢) ابن سلام ص ٨١

(٣) ابن سلام ص ٩٢ - ٩٦ (٤) ابن سلام ص ١٢٨

(٥) ابن سلام ص ٢٩٨ - ٢٩٩ (٦) ابن سلام ص ٤٥٦

ان الثوى بدى الزيتون فاحتمسبى قد أسرع اليوم فى عقلى وفى حالى
 الا تكن لك بالديرين معولة فرب هاكية بالرمل معسولة
 كأم بو عجول عند معسده حنت الى جلد منه وأوصالى
 حتى اذا عرفت أن لحياسة به ردت همامهم حوى الجوف مشكال
 زادت على وجدها وجدا وان رجعت فى الصدر منها خطوب ذات بلبال (١)
 واختيار ابن سلام لشعر جرير فى رثاء ابنه وأنه من الضروب التى لا يحسنها
 أهل طبقة دليل على اهتمامه بالاجادة فى الفن الأدبى الواحد وأنه مقياس
 نقدى ذو دور فى المفاضلة .

وقد نقل حكم جرير على الأخطل أنه "يجيد مدح الملوك ويصعب صفة
 الخمر" (٢) وهذا يدل على أنه يفوق أهل طبقة فى هذا الفن .

ولم يجعل ابن سلام هذا المقياس أساسا للتقديم المطلق ولكنه حصره
 فى التقديم والمفاضلة بين الشعراء فى فن واحد ، أما التفضيل العام فانه يعود
 الى الاجادة فى أغراض متعدد من الفنون الأدبية عند الشاعر ، وخير دليل
 على ذلك أنه قدم أخبار الفرزدق (٣) مع أن جريرا أشعر منه فى الرثاء ، وقدم
 كثيرا مع أن جميلا أشعر منه فى الغزل (٤) لأن تقديم كثير خضع لمقياس تعدد
 الأغراض ، كما أن انقطاع ذى الرمة الى وصف الصحراء والابل قعد به عن مرتبة
 الفحول (٥) .

(١) ابن سلام ص ٤٥٧ - ٤٥٩

(٢) ابن سلام ص ٤٨٨

(٣) ابن سلام ص ٢٩٩

(٤) ابن سلام ص ٥٤٥

(٥) ابن سلام ص ٥٥٢

ولحل افتقار شعر عمر بن أبي ربيعة الى صدق العاطفة ، وخرجه على

أسلوب القضاة القديم كان سرياً من أسباب عمله عند ابن سلام ، فابن أبي

[illegible]

ولم يصرف عمن عمر بن أبي ربيعة من الشعر غير ما قاله في الخزل فهو من

أصحاب الفن الواحد • الا أن خروجه على مقاييس ابن سالم - مع عدم رقبته

فی الفضل - کان سببا لاشماله . .

خامسا : المقياس الخلقى .

اعتمد ابن سلام بالمقياس الخلقى ، وأصدر أحكاما نقدية على بعض الشعراء

الذين خرجوا على الأخلاق • وأكمل ذكر بعض الشعراء لخروجهم على الآداب

الحامة ، أولأنهم خالفوا في شعورهم العرف الخلقى عند العرب ، وبين أن بعض

الشعراء كان ٧ يتأله في جاملته ويتعفف في شعره ولا يستبهر بالفواحيش

(۷)

ولا يتركم بالههجااء • ”

وهذه نظرة نقدية هامة اذ التفت ابن سلام الى الناحية الخلقية وأشار الى

بعض الشعراء الملتزمين بالآداب المعروفة على حلق الأغنياء والفقراء ، كما أشار

الى من خرج منهم عن غط الأدب ، وتمرد على الأخلاق ، وأول هذه الأحكام

ما أصدره على امرئ القيس حيث يقول : " وضمهم من كان يذعى على نفسه

ويتعجب من منهم امرؤ القيس قال :

الح (٣)

(۱) ابن سالم ص ۴۱

(۱) پروکلمان ج ۱ ص ۱۹۱

(۳) ابن سالم ص ۴۱ - ۴۳

ويقول عن الفرزدق : " وكان الفرزدق أقول أهل الاسلام في هذا الفن
قال :

.....
..... الخ (١)

وقد أثنى على جرير لتعففه حيث يقول : " وكان جرير مع أفراده في الهجاء
يعف عن ذكر النساء كان لا يشيب الا بامرأة يملكها " (٢) ، وهذا موقف نقدي هام
تنبه له ابن سلام وأصدره على الشعراء ، ولا شك أن لذلك أثره على مكانة الشاعر
وشخصيته ، كما أن له دورا هاما في تقييم الشعر .

وقد تنبه ابن سلام أيضا الى ناحية خلقية ، وهي التكسب بالشعر ، وبين
أثرها . يقول عن الأعشى : " وكان أول من سأل بشعره ، ولم يكن له مع ذلك
بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه " (٣) فلعل الناس استمجنوا خروج الأعشى
على التقاليد حيث سأل بشعره ، فلم ينقلوا عنه شيئا من جيد ما سأل به ، وهو
أكثر أصحابه ، طويلة جيدة " (٤)

(٥)
ويقول عن الحطيئة : " وكان جشعا سهولا " ، وكان من نتائج هذا
الجشع أن خرج على التقاليد ، فكان يمدح ويمجوتبعيا لاعطاءه النوال أو حرمانه
حتى خشيته القبائل والامصار . وشاب شعره الأقوام . وقد مدح الزبرقان (٦)
بن بدر ثم هجاه توا ، حتى استعدي عليه عرفسجنه . (٧) وهذا يبين مدى
أهمية الناحية الخلقية عند الشاعر ، وأن خروجه على المبدأ الخلقى ينال من
مكانته ويخفض الناس في شعره .

- | | |
|--------------------|-----------------------------------|
| (١) ابن سلام ص ٤٤ | (٢) ابن سلام ص ٤٦ |
| (٣) ابن سلام ص ٦٥ | (٤) ابن سلام ص ٦٥ |
| (٥) ابن سلام ص ١١١ | (٦) محمد نبيه حجاب ص ٣٤ وابن سلام |
| (٧) ابن سلام ص ١١٦ | ص ١١٣ - ١١٥ |

وقد أشار ابن سلام الى تهديد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي
هدد به الخويدة الشاعر على أبيات قالها خرجت على الصرف الخلقى الاسلامى
فقال عمر : " ويلك أنك مقتول " (١) .

وقد اعتم ابن سلام بالاشارة الى الناحية الخلقية ضد الشاعر ، فهو يقول
عن الراعى :

" كان بذيا هجاءا لمشيرته " (٢) ، ويقول عن ضائبي بن الحارث " وكان
رجلا بذيا كثير الشر " (٣)

وقد نقل أن الأحوص قد شرب بنساء أهل المدينة فتأذوا به ، فشكا قومه .
فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك ، فكتب الى عامله بالمدينة أن يضربه مائة سوط
ويقمه على البلس للناس ويسيره الى دهلك . (٤)

ان اعتم ابن سلام بالاشارة الى الناحية الخلقية ، وما ساقه من أخبار
تتعلق بهذه الظاهرة يدل على أن لهذا المقياس أثره فى النقد عنده ، فهو
لم يقصد الى الحديث اعباطا بل ليبين أن قيمة الشعر انما تهون بالخرج على
الأخلاق ، بل ولعل ذلك الهوان يمتد الى الشاعر نفسه ، وأن سجن النمطية
وتعزير الأحوص خير دليل على ذلك .

ولا يخفى علينا أن ابن سلام قد أشمل الشعراء الصعاليك ولعل ذلك
لخروجهم على المقاييس الخلقية واعتزالهم المجتمع ومخاربتهم له ، ولنهيبهم
وسلبهم واعتدائهم وذكرهم كل ذلك فى شعرهم ، مما يجعلهم خارجين على العرف (٥)

(١) ابن سلام ص ١٨٨ (٢) ابن سلام ص ٥٠٢
(٣) ابن سلام ص ١٢٢ (٤) ابن سلام ص ٦٥٦
(٥) عرضت لذلك بنت الشاطىء " ص ٤ وما بعدها " ، وانتقدت ابن سلام
لأنه تركهم ، ولا أريد ايعا للانتقاد ، فابن سلام استبعدهم لتطبيقه المقاييس
الخلقى على الشعراء . . . (٦) الميزان ص ٢٠٠

(٦) الدكتور يوسف غليف - الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى (دار
المعارف ١٩٥٩ م) حيث تحدث عن شعر الصعاليك وبين أسلوبهم فى
الحياة والذي أخرجهم عن العرف الاجتماعى العربى السائد فى الجاهلية
كفى . . .

الاجتماعي والأخلاق، العربية ، ولعله لذلك أهمل عمر بن أبي ربيعة الذي خرج على المقاييس الخلقية في شعره . ومما يعيد موقف ابن سالم هذا عن عمر ما ذكره ابن سالم نفسه ونقله عنه المرزباني في الموهج يقول : قال ابن سالم : (لما حج عبد الملك بن مروان لقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة فقال له عبد الملك : لا حياك الله يا فاسق قال : بعثت تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط ، فقال له يا فاسق : ذاك لأنك أطول قريش صبوة وابطؤها تمة . ألسن القائل : ؟

ولولا أن تعنفني قريش
مقال الناصح الأوفى الشفيق
لقلت إذا التقينا قبليني
ولو كنا على ظهر الطريق . (١)
وقال ابن سالم : " سمعت أبا عبيدة وما حكاه عبد الله بن عمر والمعتبي في عمر بن أبي ربيعة فصاب أبو عبيدة شعره وقال : قال بيتا هو في أوله قاص وفي آخره مخنث :

أدخل الله رب موسى وعيسى
جنة الشلد من ملائ خلوفا
مسخته من كفها برداءى
حين طفنا بالبيت مسح رقيقا (٢)
ولا يخفى خروج عمر بن أبي ربيعة على الأخلاق ، وهكته للخرائر وتبعه
لمورات الناس في الحج ومواطن العبادة ، حتى أبعد به عبد الملك الى الطائف
أيام الحج ليسلم الناس من شر لسانه .

سادسا : مقياس اللين .

يعتبر مقياس اللين عند ابن سالم مقياسا نقديا هاما . وقد ربطه ابن سالم بشعر البيئة ، وبين أن للبيئة أثرا في الشعر ، وأن الشعر البدوي قوى جيد ، وأن شعر الحاضرة لين ضعيف يكثر فيه الخلط والانتحال .

يقول عن شعر قريش : " وللسنا نعد ما يروى ابن اسحق له ولا لغيره شعرا ،
ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم ^(١) فبسبب لين شعر قريش
حمل عليهم الشيء الكثير ، ونسب ابن اسحق ^{اليهم} شعرا ضعيفا لا يستحسن .

ونظرا لأهمية مقياس اللين عند ابن سلام فقد تأخر عدي بن زيد الى الطبقة
الرابعة الجاهلية ، وهو شاعر قديم جاهلي معروف ، وليس له من الجياد الا أربع
قصائد الحقته بهذه الطبقة ، أما ما بقى من شعره فلين ضعيف قعد به عن مرتبة
المتقدمين .

كما أن لين شعر قريش والقرى العربية ، قد جعل ابن سلام يضعهم
في طبقات تبعا لقراهم . ويفصلهم عن أهل المدر الذي يخلو شعرهم من اللين ،
وهذا يبين مدى أهمية تحكيم مقياس اللين في الشعر .

سابعا : مقياس كون الشاعر مغلبا .

بين ابن سلام أثر هذا المقياس في تأخير الشاعر عن مرتبته ، فهو يقول عن
أوس بن حجر : " قال أبو عمرو بن العلاء : كان أوس فحل مضر حتى نشأ النابغة
وزهير فأخمله " ^(٢) ، وقال عن الراعي النميري : " كان الراعي فحل مضر
حتى ضفحه الليث يعني جريرا " ^(٣)
وهكذا يظهر دور هذا المقياس في تأخير الشاعر عن مرتبته ، فأوس بن حجر
كان فحل مضر حتى أخمله ذكره النابغة وزهير لما لهما من أشعار تفوق شعره ، والراعي
كان فحل مضر حتى غلبه جرير بقصيدته البائية الدافعة التي مطلعها :

(٢) ابن سلام ص ٩٧

(١) ابن سلام ص ٢٤٧

(٣) ابن سلام ص ٤٣٨

أقلى اللوم عاذل والعثابا
فـ " كان بعد هجاء جرير له مغلبا " (٢)

لقد أشار ابن سالم في كتابه الى الشعراء المغلبين عند الحديث عنهم • وشرح
معنى التغليب ليدل على أولئك الشعراء المغلبين ، وهذا حكم نقدي مهم خاصة
وأن له دوره في تقديم الشاعر وتأخير ، والتفضيل عليه •
قال : " وكان النابغة الجعدي مختلف الشعر مغلبا " ، وقال : اذا قالت
العرب مغلب فهو مغلوب ، واذا قالوا غلب فهو غالب (٣)
وهو يشير الى من غلب على الشاعر ليبين تفضيله عليه ، فيقول عن النابغة
الجعدي : " وغلبت عليه ليلى الأخيلية وأوس بن مخزوم القريني " (٤)

ويقول : " وتميم بن أبي مقبل شاعر مجيد مغلب • غلب عليه النجاشي •
ولم يكن اليه في الشعر وقد قهره في الهجاء فقال :
اذا الله عادى أهل لؤم وخسه فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل • (٥)

ويقول عن البعيث : " وكان البعيث شاعرا فاخر الكلام حر الألفاظ ، وقد :
غلب عليه جرير وأخمله " (٦) ويقول عن ذي الرمة أنه : " لم يكن له حظ في الهجاء
وكان مغلبا " (٧) ويقول : " وغلب هشام على ذي الرمة " (٨) •

لقد فطن ابن سالم الى هذا المقياس النقدي وبين أثره على الشاعر ، وهو
مقياس له أثره الواضح على مكانة الشاعر ، وابن سالم يعرض ذلك ليدل على تدج
قيمة الشاعر تبعا لخضوعه لهذا المقياس • ولا يهمل ابن سالم في ذلك آراء أهل
العلم والعارفين بالشعر ، فقد جعل ذلك من أسس النقد في كتابه •

(٢) ابن سالم ص ٥٠٣

(٤) ابن سالم ص ١٢٥

(٦) ابن سالم ص ٥٣٥

(٨) ابن سالم ص ٥٥٩

(١) ابن سالم ص ٤٣٧

(٤) ابن سالم ص ١٢٤ - ١٢٥

(٥) ابن سالم ص ١٥٠

(٧) ابن سالم ص ٥٥١

الفصل الرابع

=====

أنواع النقد الفني فى كتاب الطبقات

ينقسم النقد عند ابن سلام الى ثلاثة أنواع :

- ١- النقد الأدبى .
- ٢- النقد اللغوى .
- ٣- النقد المتصل بالواقع .

.....

* النقد الادبى *

ويعتبر هذا النوع من النقد أهم أنواع النقد التى وردت فى الكتاب وهو الذى هدف اليه ابن سلام ، فتقسيمه الشعراء الى طبقات واهتمامه بالمقاييس النقدية التى بنى عليها التفضيل ، وانتقائه فحول الشعراء فى طبقاته ، واهتمامه بجودة الشعر وكثرته ، والمقياس الخلقى فى شعر الشعراء ولين الشعر ، وتعدد الأغراض فى الشعر ، وحديثه عن الفنون الشعرية كن ذلك يدل على أنه يهتم بالنقد الادبى اكثر من الأنواع الأخرى . وأن النوعين الآخرين جاءا استطرادا ، أولخدمة النقد الادبى فاته .

لقد عرض ابن سلام فى كتابه آراء فنية ، واحكاما نقدية الى جانب التقسيم الطبقي ، والمقاييس النقدية الهامة ، وقد تجلى ذلك عند حديثه عن الشعراء واصدار أحكامه النقدية عليهم ، التى كان كثيرا ما ينقلها عن العارفين بالشعر .

بين ابن سلام أن الشعر صناعة وثقافة لا يعرفها الا أهل الخبرة
والعلم به ، يقول : " وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر
أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الاذن ومنها
ما تثقفه اليد ومنها ما يتقنه اللسان " (١)

وهو يربط بين صناعة الشعر والصناعات المادية الاخرى فيضرب
المثل باللؤلؤ والياقوت : " لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن
يبصره ومن ذلك الجبهة بالدينار والدرهم ، لا تعرف جودته بلون ولا مس
ولا طراز ولا رسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها
وزائحتها وستوفها ومفرغها . ومنه البصر بغريب النخل ، والبصر بأنواع
المتاع وضروبه ، واختلاف بلاده ، مع تشابه لونه ومسه وذرعه ، حتى يضاف
كل صنف الى بلده الذي خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق . . . الخ " (٢)

فهو يصل بين المعرفة بالشعر والحكم عليه ، وبين المعرفة بالاشياء
المادية والحكم عليها . ومرد ذلك جميعه يعود الى الذوق فقط ، والذوق
انما يعود للعارفين . (٣)

(١) ابن سلام ص ٥

(٢) ابن سلام ص ٥ - ٦

(٣) كانت فكرة الربط بين الشعر والصناعات الاخرى ، وقيام معرفة الجودة في
كل ذلك على الذوق - والتي بدأها ابن سلام - أساسا لكلام مستفيض
عن ذلك فيما بعد . عند عبد القاهر الجرجاني . انظر : الجرجاني
دلائل الاعجاز . . . (مصر ١٣٨٩ - ١٩٦٩) ص ١٢٣ وما بعدها .

فتوصف جاريتان بوصف واحد : " فتكون في هذه الصفة بمائة دينار ومائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار ولا أكثر ولا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة ^(١) وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين الظهر ، شديد الحافر ، فتي السن ، نقي من العيوب ، فيكون بخمسين دينارا أو نحوها ، وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر . وتكون هذه صفتها ويقال للرجل والمرأة في القراءة والفناء انه لندى الحلق ، طل الصوت طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له . بلا صفة ينتهى اليها ولا علم يوقف عليه ^(٢) " فالذوق وحده هو مرد الحكم ولا يقبل ذلك الا من العلماء عند المعاينة ويرى ابن سلام أن الذوق لا ينتهى الىه قطعا : " قال خلاد بن يزيد لباھلى لخلف بن حيان أبى محرز - وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقول : بأى شئ - ترد هذه الاشعار التى تروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير فيه ؟ قال : نعم ، قال : أفتعلم فى الناس من هو أشعر منك ؟ قال : نعم ، قال : فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت ^(٣) - فالحكم أصلا راجع للأعلم ، والعلم لا نهاية له ، والذوق مردء العلماء العارفون قال قائل لخلف : اذا سمعت أنا بالشعر أستحسنته فما أبالى ما قلت فيه أنت واصحابك . قال : اذا أخذت درهما فأستحسنته فقال لك الصراى انه ردى فهل ينفعك استحسانك أياه ^(٤) وكما ربط ابن سلام بين نقد

(١) ابن سلام ص ٦

(٢) المصدر السابق ص ٦

(٣) المصدر السابق ص ٧

(٤) المصدر السابق ص ٧

الشعر وصناعاته والأشياء المادية الأخرى ، وجعل مرد النقد فيه عائدا
للذوق ، كما أن التفضيل للجارية والصوت والدابة والدرهم عائدا للذوق
فقد ربط أيضا بين الشعر وبعض الأوصاف الأخرى يقول : " عن يونس
أنه قال : الشعر كالسراء والشجاعة والجمال لا ينتهي منه إلى غاية " ^(١) فكما
لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس " فانه لا يجتمع
أيضا على أشعر الناس . ^(٢)

وقد أوضح ابن سلام صفات الناقد واشتراط لها أسسا هامة تؤهل الناقد
للقد . فلا بد أن يكون الناقد مختصا بفنه ، عالما به ، ليقبل الحكم عنه
فان : " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم به " ^(٣) فالمدارس
والتخصص تقود الإنسان إلى العلم والاحاطة .

اهتم ابن سلام بتقويم الشاعر من حيث حياته وإصدار الحكم عليه ^(٤) وذلك
ظاهر في حديثه عن عدي بن زيد ، فقد وجد أن لحياته أثرا في شعره فلأنه
" كان يسكن الحيرة ويركن الريف لان لسانه ، وسهل منطقه ، فحمـل
عليه شيء كثير وتخليصه شديد " ^(٥) فحياته في الحضر كانت سببا في لين
شعره ، ولين الشعر كان سببا في الحمل عليه ، ونحله ما ليس له مما يصعب

(١) ابن سلام ص ٦٦

(٢) ابن سلام ص ٦٥ - ٦٦

(٣) المصدر السابق ص ٦

(٤) أحمد أحمد بدوي - أسس النقد الأدبي عند العرب (مصر سنة ١٩٦٤ م)

ص ٥٣٩ .

(٥) ابن سلام ص ١٤٠ .

تخليصه وتمييزه •

ونراه يصدر أحكامه على أمرى القيس ، وأنه " سبق العرب
الى أشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء ، واستيقاف
الصحب ، والتبكاء فى الديار ، ورقة النسب ، وقرب المأخذ ، وشبه النساء
بالظباء والبيض ، وشبه الخيل بالعقبان والعصى ، وقيد الآوابد وأجاد
فى التشبيه ، وفصل بين النسب وبين المعنى " (١) كما يصدر أحكامه
على مجموعة من الشعراء الذين تحدث عنهم ، فأحسن الاسلاميين تشبيهها
ذو الرمة ، والنايفة أحسن أهل طبقة ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق
كلام ، وأجزلهم بيتاً ، وزهير لا يعاظم بين الكلام ، ولا يتبع وحشيته ،
ولا يمدح الرجل الا بما فيه ، وهو أحصف أهل طبقة شعرا ، وأبعدهم
من سخر ، وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة
فى المديح ، وأكثرهم أمثالا فى شعره ، والأعشى أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم
فى فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء ، وفخرا ووصفاً ،
والحطيئة متين الشعر ، شرود القافية ، والنايفة الجعدى مختلف
الشعر مغلب (٢) والشطخ شديد مثنون الشعر ، أشد أسرا من لبيد وفيه
كرازه (٣) ولبيد بن ربيعة عذب المنطق رقيق حواشى الكلام ، وعبيد بن
(٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(١) ابن سلام ع ٥٥

(٢) ابن سلام ع ٥٥ — ٥٦ (٣) ابن سلام ع ٦٣ — ٦٤

(٤) ابن سلام ع ٦٥ (٥) ابن سلام ع ١٠٤

(٦) ابن سلام ع ١٢٤ (٧) ابن سلام ع ١٣٢

(٨) ابن سلام ع ١٣٣ •

(١) الأبرس شعره مضطرب ذاهب . الى غير ذلك من الاحكام التى أصدرها
على الشعراء . (٢)

وكانت بعض الاحكام تفتقر الى الوضوح ، كحكمه على الشماخ بأن فى
شعره كزارة ، وأن خدasha أشعر فى قريحة الشعر من لبيد . (٣)

ويظهر أن ابن سلام كان ينقل نقده هذا الى أهل عصره ، وكأنهم
يعلمون الشئ الكثير عن معانى تلك الاحكام ، وأن تلك المفاهيم اللفظية
كانت واضحة لديهم ، فهو لا يعتنى بتوضيح الحكم النقدي الى حد
كبير ، كما أنه يخضع الشعراء لهذه الاحكام دون تحليل ، ونراه يوازن بين -
شاعر وشاعر آخر . الا أنه لا يستطرق فى هذه الموازنات ولا يوضح القصائد
التي كانت مدار الموازنه وانما يطلق أحكاما نقدية يوازن بها بين شاعر
وشاعر فى قريحة الشعر . (٤) أو فى فن من الفنون الشعرية . فمثلا : جميل
أفضل من كثير فى النسيب . (٥) " وشعر عمر بن أبى ربيعة أغزل من شعر
ابن قيس الرقيات " . (٦)

.. وهكذا دون مقارنة بين الأشعار أو أحكام واضحة يبين فيها
أسباب التفضيل أو مواطنه - وهذا مما يؤخذ عليه ابن سلام . اذ كان لابد له

-
- (١) ابن سلام ع ١٣٩
(٢) وانظر ابن سلام ع ١٥٠ ، ١٦٠ .
(٣) ابن سلام ع ١٤٤
(٤) ابن سلام ع ١٤٤
(٥) ابن سلام ع ٥٤٥ .
(٦) ابن سلام ع ٦٤٨

من التوضيح والتحليل والاستدلال على تلك المواقف النقدية .

ومما تنبه له ابن سلام ، اختلاف النسخ في القصيدة — وهو مما يحط من قيمة الشعر النقدية — يقول عن شعر الجعدي : " مختلف الشعر ٠٠٠ مثله مثل صاحب الخلقان ترى عنده ثوب عصب ، وثوب خـز (١) والى جنبه سمل وكساء " فشعر الجعدي مختلف النسخ بين جودة ورداءة وقد أشار ابن سلا — محكما النقد الذوق — الى أن الأصمى كان يستحسن هذا للجعدي وينسبه الى قلة التكلف فيقول : " عنده خمـار (٢) براف ، ومطرف بالآف " ، والواف درهم وثلاث .

كما تنبه الى جزالة الاسلوب عند الشاعر ، واهتم به ، وقد أشار الى ذلك في مواضع كثيرة ، فالتابغة أجزلهم بيتا (٣) وهكذا . والامثلة كثيرة .

وبين ابن سلام أن الوضوح في الشعر من أسباب استحسانه ، فهو ينقل رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في شعر زهير " أنه كان لا يعاظم بين الكلام ولا يتبع وحشيـه (٤) .

كما أهتم بالصدق الواقى " فزهير لا يمدح الرجل الا بما هو فيه " (٥) — (٦) والتابغة أوصف الناس لفرس وجيرير يعف عن ذكر النساء ولا يشبب (٧) الا بأمرأة يملكها (٨) وجميل بثينة صادق الصباية وهكذا .

(٢) ابن سلام ع ١٢٥

(٤) ابن سلام ع ٦٣

(٦) ابن سلام ع ١٢٨

(٨) ابن سلام ع ٥٤٥

(١) ابن سلام ع ١٢٥

(٣) ابن سلام ع ٥٦

(٥) ابن سلام ع ٦٣

(٧) ابن سلام ع ٤٦

وتعرض كذلك لنقد الشعر من حيث صدق العاطفة - بين أن -
صدق العاطفة أمر يحسن تحقيقه في القصيدة ، وذم الخارج على
ذلك ، فقد ذم تكسب الاعشى والحطيئة بشعرهما . (١) يقول عن الهشبي :
" كان أول من سأل بشعره ، ولم يكن له مع ذلك بيت نادر على أمثاله
الرواة " (٢) فالكذب العاطفي في القصيدة أمر خارج على المقياس الخلقى
ولذلك لم يساعد على سيرورة شعر الاعشى الذى تكسب بشعره ، مع أنه شاعر
مجيد ، طويل النفس . (٣)

وبين ابن سلام أن للشعر بواعث ، واختص منها - الحرب - وبين أنه
" انما يكثر الشعر بالحروب التى تكون بين الاحياء نحو حرب الأوس والخزرج
أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذى قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة
ولم يحاربوا ، وذلك الذى قلل شعر عمان ، وأهل الطائف فى طرف " (٤) فالحرب
لها دورها ، وسها يكثر الشعر بين القبائل وذلك الذى أكثر شعر أهل
البادية فى نظر ابن سلام فهم قوم يغيرون ويغار عليهم (٥)

وتعرض ابن سلام أيضا لعيوب الشعر مبينا أثرها النقدي ، يقول عن شعراء
الطبقة الأولى الجاهلية : " ولم يقو من هذه الطبقة ولا من أشباههم
الا النابغة فى بيتين :

(١) ابن سلام ع ٦٥ ، ١١٣ (٢) ابن سلام ع ٦٥ (٣) ابن سلام ع ٦٥
(٤) ابن سلام ع ٢٥٩
(٥) هذا رأى ابن سلام وقد عارض الجاحظ ذلك ، حيث يقول : " ونوحنيقة
مع كثرة عددهم وشدة بأسهم وكثرة وقائعهم وحسد العرب لهم على دارهم
وتخومهم وسط أعدائهم ، حتى كأنهم وحدهم يعدلون بكرها كلها ومع
ذلك لم نر قبيلة قط أقل شعرا منهم " فهو بذلك يرى أن الحرب وكثرة
الوقائع ليست من بواعث الشعر " وانما ذلك عن قدر ما قسم الله " (الجاحظ
الحيوان : تحقيق عبد السلام هارون - ط ٢ مطبعة نوى الحلبي ج ١ ص ٣٨٠

أمن آل مية رائج أو مسفتدى * عجلان ذا زاد وغير مزود -
 زعم البوارح أن رحلتنا غدا * ومذاك خبرنا الفداف الاسود
 وقوله :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليــــد
 بمخضب رخس كان بنانه * عنم يكاد من اللطافة يعقد

فقدم المدينه فُعيب ذلك عليه ^(١) " فأصلحه ولم يمد فيه وقال : " قدمت
 الحجازوفى شمرى صعه ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس ^(٢) " فهو يبين أن العيب
 يضعف الشمر ، والنايغة نفسه يعترف بذلك ، ويعترف أنه رحل عن الحجاز
 وهو أشعر الناس لانه تنبه لهذا العيب ، وبين أن عيوب الشعر أربعة : الزحاف
 والسناد ، والاقواء والإيطاء ، وأن أهونها طعنا فى الشعر الزحاف ، وأنه
 اذا قل فى البيت والبيتين فهو حسن ، وأنه اذا توالى فى القصيدة سمج ، وأن
 قليله يستحسن فى القصيدة كما يستحسن القبل والحول والللش فى الجارية
 يشتهى منه القليل الخفيف يقول : " وكان الخليل بن أحمد يستحسنه
 فى الشعر اذا قل فى البيت والبيتين ، فاذا توالى فى القصيدة سمج . . . فان
 قيل كيف يستحسن منه شىء وهو عيب ؟ قال : يكون هذا مثل القبل والحول
 والللش فى الجارية قد يشتهى منه الخفيف ، وهو ان كثر عند رجــــل
 فى جوار أو اشتد فى جارية هجن وسمج ، والوضح فى الخيل يستطرف ويشتهى
 خفيفه ، مثل الفرة ، والتججيل فاذا كثر وفشا كانت هجنة ووهنا وخفيف
 البلق يحتمل فى الخيل ، ولم أر أبلق قط ، ولم أسمع به سابقا ^(٣) " فابن

(١) ابن سلام ص ٦٨

(٢) ابن سلام ص ٦٨

(٣) ابن سلام ص ٧٠

سلام بين أن الميب يستحسن اذا كان قليلا لطيفا فاذا كثر فى الشعر هجنه
وأفسده وقلل من قيمته .

وقد بين ابن سلام قيمة الشعر عند العرب فى الجاهلية فقال : " كان
الشعر فى الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون -
واليميميرون ، قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم
أصح منه ^(١) " وهذا الحكم يعطى الشعر قيمة نقدية هامة لمكانته عند العرب
ولانه علمهم الاول الذى ليس أصح منه علم ، ولا أقوى منه حكم على حياتهم
وبيئاتهم وظروفهم الاجتماعية وأفكارهم الثقافية .

وقد تنبه أيضا للسرقات الشعرية ، وبين أن بعض الشعراء قد تفعل
ذلك لا تريد به السرقة ، فبيت أبى الصلت الثقفى :

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيئا بما فعمدا بعد أبوالا .
أخذه النابغة الجعدى نصا دون تغيير ، وأن المثل : " عند الصباح
يحمد القوم السرى " أخذه غير واحد من الرجاز وجعله فى شعره اذا جاء موضعه
مثلا ^(٢) وذكر ما أخذه طرفة من بيت امرئ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون : لا تهلك أسى وتجمل
وهو قول طرفه :

وثوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون : لا تهلك أسى وتجلد .

وبين ابن سلام كذلك . أن الرواة يغلطون أحيانا فى نسبة البيت الى شاعر لم
يؤثر عنه أنه قاله . ^(٣)

(٢) ابن سلام ص ٥٨ - ٥٩

(٤) المصدر السابق ص ٦٩

(١) ابن سلام ص ٢٤

(٣) المصدر السابق ص ٥٩

النقد اللغوى

عالج ابن سلام فى كتابه الى جانب النقد الادبى أمورا أخرى ، منها معالجة لغوية من حيث صحة استعمال اللفاظ نحويا ولفويا فى الشعر مبينا مواطن المؤاخذة ومعالجا تلك الاخطاء أو عارضا لها دون بيان للاصوب ، وهذا النهج معروف لدى النحاة فى المدرستين الكوفية والبصرية ولعل من المييد أن نشير الى أن ابن سلام يعتبر أحد علماء المدرسة النحوية البصرية ^(١) وقد ذكره الزبيدي فى الطبقة الخامسة من اللغويين ، والنحويين ^(٢) وهذا يعنى أنه من علماء العربية ولذلك تعرض فى كتابه الى المباحث اللغوية .

وإذا نظرنا فى مقدمة كتاب الطبقات نجد له اشارات تعالج بعض المباحث اللغوية قال : " قلت ليونس هل سمعت من ابن أبى اسحق شيئا ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد الصويق يعنى السوق ؟ قال : نعم ، عمرو بن تميم تقولها وما تريد الا هذا عليك بباب من النحوي طرد وينقاس ^(٣) ويقول أيضا : أساء النابسة فى قوله حيث يقول :

(١) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ (بيروت ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م) الجزء السابع ص ٢٦٠ - ابن الانبارى - نزهة الالباء (مصر ١٣٨٦ - ١٩٦٧ م) ص ٢٥٧
ابن تغرى بردى - النجوم الزاهرة (مصر ١٣٥١ - ١٩٣٢ م) ج ٢ ص ٢٦٠
ابن العماد - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (مصر ١٣٥٠ هـ) ج ٢ ص ١٧

(٢) الزبيدي - طبقات النحويين واللغويين ص ١٩٧ .
السيوطى - بغية الوعاة (مصر ١٣٨٤ - ١٩٦٥) ج ١ ص ١١٥

(٣) ابن سلام ص ١٥٠ .

فبت كأتى ساورتى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
 يقول : موصفها : ناقما • وكان يختار السم والشهد وهو علوية^(١)
 فهو يعالج هنا كلمة (ناقع) نحويا • وكلمتى (السم والشهد) لفويا •
 ويقول : " قال الفرزدق فى مديحه يزيد بن عبد الملك
 مستقبلين شمال الشام تضرنا * بحا صب كديف القطن مشهور
 على عمائمنا يلقي وأرحلنا * على زواحف ترجى مخها رير
 قال ابن أبى اسحق : أسأت ، إنما هى رير • وكذلك قياس النحوى هذا
 الموضع •

وقال يونس : والذى قال حسن جائز ، فلما الحوا على الفرزدق قال :
 على زواحف تزجيهها محاسير • قال : ثم ترك الناس هذا ورجعوا الى القول
 الاول^(٢) " وقد عالج ابن سلام الالفاظ من حيث تركيبها واصلها يقول : " قال
 الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى مواليا
 رد الياء على الأصل ، وهى أبيات ، ولو كان هذا بيتا وحده تركه ساكنا^(٣)
 وقد احتج بآراء غيره من علماء العربية فيما يختلف عليه الناس فى الاعراب
 يقول : " وكان عيسى بن عمرو اذا اختلفت العرب نزع الى النصب ، كان عيسى
 ابن عمرو وابن أبى اسحق يقرآن : " ياليتنا نرد ولا تكذب بآيات ربنا ونكون
 من المؤمنين •

(١) ابن سلام ص ١٦ والعلوية : كل ما كان جهة نجد من أرض •

(٢) ابن سلام ص ١٧

(٣) ابن سلام ص ١٨ •

كان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس يرفعون نرد ونكذب ونكسون ،
قلت لسيوييه : كيف الوجه عندك ؟ قال : الرفع ، قلت : فالذين قرأوا
بالنصب قال : سمعوا قراءة ابن أبي اسحق فأتبعوه ، وكان عيسى بن عمرو
يقرأ - الزانية والزاني والسارق والسارقة . وكان ينشد :

يا عديا لقلبك المهتاج

وكان يقرأ : هؤلاء بناتي هن أطهر لكم . فقال له أبو عمرو بن
العلاء : هؤلاء بناتي هم ماذا ؟ فقال : عشرين رجلا ، فأنكرها أبو عمرو
وكان أبو عمرو وعيسى يقرآن - يا جبال أوبى معه والطير - ويختلفان -
في التأويل كان عيسى يقول : على النداء كقولك " يا زيدُ بالحارث " لما لم
يمكنه يا زيدُ الحارثُ ، وكان أبو عمرو يقول : لو كانت على النداء لكانت
رفعا ، ولكنها على اضممار (وسخرنا الطير) كقوله على اثر هذا - ولسليمان
الريح - أي سخرنا الريح ^(١) فهو هنا يمرض المباحث اللغوية ووجوه الاعراب
مستدلا بآراء العلماء موضحا خلافتهم في ذلك ، يقول : " قال يونس -
قال ابن أبي اسحق في بيت الفرزدق :

وعن زمان يا بن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا أو هجرى :

للرفع وجه ، وقال أبو عمرو بن العلاء ، ولا أعرف لها وجهها وكان يونس
لا يعرف لها وجهها ، قلت ليونس : لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه ؟

(١) ابن سلام ص ١٩ - ٢١

فقال : لا ، كان ينشدها على الرفع ، وأنشد فيها رؤية على الرفع ^(١)
 وقال : " وأخبرني الحارث البناني أخو بني الحجاج أنه سمع الفرزدق ينشد :
 فيا عجبا حتى كليب تسبني * كأن أباهما نهشل أو مجاشع"
 (٢)
 كأنه جعله غاية فخفس

وقد ناقش اللفظ من حيث مدلوله ومعناه ، واستعماله وتعريفه ، فهو
 يقول في لفظة مجرى ومجلف : " المجرف الذي تجرفه السنة وقشرته
 والمجلف الذي صيرته جلفا " ^(٣) ويقول في لفظة سحت : " تقول العرب : —
 سحته وأسحته ، يقرأ بهما في القرآن جميعا فمن قرأ : فيُسحِتكم بمذآب
 فهو من أسحت يسحت فهو مسحت وهي التي قالها الفرزدق ، ومن قرأ عيسحتكم
 : فهو من : سحت يسحت فهو مسحوت

وقال في قول امرئ القيس :

وقاهم جد هم بني أبيهم * ولاشقين ما كان المقاب
 وافلهن علباء جريضا * ولو أدركته صفر الوطاب

قال : سمعت رجلا يسأل يونس عن قوله : " صفر الوطاب " فقال : سألتنا
 رؤية عنه فقال : لو أدركوه قتلوه ، وساقوا إبله ، فسفرت وطابه من اللبن ، وقال
 غيره : صفر الوطاب أي أنه كان يقتل فيكون جسمه صفرا من دمه كما يكون
 (٤)
 الوطاب صفرا من اللبن .

(١) ابن سلام ص ٢١ — ٢٢

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

(٣) المصدر السابق ص ٢١

(٤) المصدر السابق ص ٥٣

وقد يعالج اللفظة ولم ترد في شعر ، بل في سياق خبر ما ، يقول :
مر ليبد بالكوفة فأتبعوه رسولا سؤولا يسأله من أشعر الناس ؟ " يقول
في لفظة أتبعوه : " قال يونس : كل شئ في القرآن فأتبعه : أى طالبه
(١)
واتبعه : يتلوه "

ويقول في " لعلك أما أم عمر وتبدلت * خليلا سواك شاتى تستخيرها
الاستخارة : الاستعطاف ، ويقال : تبغمت الطبية تستخير ولدها . أى —
تستدعيه ومنه قيل : استخير الله . أى استمطفه (٢)

وبين ابن سلام أن : " مقاحيم الشعراء وثنيانهم ، يغلطون في مخارج
بعض حروف الالفاظ فيغيرون ما تقارب عند اللفظ : " فيغلطون في السين
والصاد ، والميم والنون ، والداال والطاء ، وأحرى يتقارب مخرجها من اللسان
(٣)
تشتبه عليهم . وضرب لذلك مثلا بلفظه : الصوق في بيت رغيب العنبري .

نظرت بأعلى الصوق والباب دونه * الى نعم ترعى قوافي مسرد
الصوق : الصوق ، ثم قال : " كحيل مخلط " ، فقلت له : قل : " معقد "
فيصح لك المعنى وتستقيم القوافي قال : أجل ، فأستمدته فعاد الى قوله
(٤) (٥)
الاول " وضرب أمثلة أخرى .

ومن الباحث اللغوية قوله : قلت ليونس : كيف تقرأ — وجئتك من سبأ

(١) ابن سلام ص ٥٤ — ٥٥

(٢) ابن سلام ص ٦٩

(٣) ابن سلام ص ٨٠

(٤) ابن سلام ص ٨٠

(٥) ابن سلام ص ٨٠ — ٨١

بنياً يقين فقال : قال الجعدى وهو أفصح العرب ،

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * بينون من دون سيله العرما
(١)
وهو على قراءة أبى عمرو ويونس ونجد ابن سلام يرد اللفظة التى لاتخدم
المعنى فاذا وردت روايتان للفظه اختار أصحابها خدمة للمعنى : يقول
عن بيت ابن الزبيري :

" ولولا الحبش لم يلبس رجال * ثياب أعزلة حتى يموتوا
قال قوم " ولولا الحمس " وليس هذا بشئ ، إنما هى الحبش ، يعنى
أنهم أخذوا ثيابهم ومتاعهم وذاك حين جاؤا يريدون هدم البيت فرماهم الله
وكانت أم أيمن منهم غنمتها قرش وهى أم أسامة بن زيد (٢)

وكثيرا ما كان يشرح معانى الالفاظ شرحا لغويا ، يقول : " الففر
: ولد الوعل ، والارح : ولد البقرة ، ويخرمس : أى يتصمت ، والاطوم :
الضمام بين شفتيه " وذلك فى قول رؤبة : (٣)

وما يبقى على الحد ثان غفر * بشاهقة له أم رؤوم -
تبيت الليل حانية عليه * كما يخرمس الارح الاطوم
تصدى كلما طلعت لنشر * وودت أنها منه عقيم

وقد شرح ابن سلام الالفاظ ادراكا منه لغموض معانيها وهذا جانب واضح
من اهتمامه اللغوى .

(١) ابن سلام ص ١٢٦ .

(٢) ابن سلام ص ٢٤٦ .

(٣) ابن سلام ص ٢٦٤ .

ومن النقد اللغوى قوله : " وكان الفرزدق يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو " وذكر له أبياتا كثيرة فى ذلك التداخل (١) .

ما تقدم يظهر لنا أن ابن سلام قد اهتم بالنقد اللغوى وناقش - بعض الباحث اللغوية الى جانب اهتمامه بالنقد الادبى ، وبين أن اللغة ذات أثر نقدي كبير على الشعر فقد " كان الفرزدق يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو "

والنقد اللغوى واضح فى كتاب ابن سلام عند مناقشته بعض الالفاظ من حيث معانيها واعرابها ، واستعمالاتها ، وفى أى لغة هى . وتوضيح الفاص من الالفاظ والترجيح بين معانى الالفاظ لتؤدى غرضها المعنوى فى الشعر ، وهذا الجانب من النقد يؤدى الى توضيح بعض جوانب النقد الادبى ، من حيث استحسان البيت واستهجانه حيث أن - مدلولات الالفاظ والالتزام بالاعراب له أثره الهام فى النقد الادبى واعطاء الشعر قيمة نقدية من زاوية معينة من زوايا النقد الادبى تظهر واضحة فى اللفظ والمعنى والاسلوب وبناء القصيدة فالنقد اللغوى هو المادة الأولى للادب (اختيار الالفاظ لخلق الصورة الفنية) ، ويتطلب النقد اللغوى معرفة صحيحة بتاريخ دلالات الالفاظ وتطورها وفى ضوء هذه الدلالات ينقد ابن سلام معانى هذه الالفاظ فى الشعر .

النقد المتصل بالواقع

عرض ابن سلام مآخذه على الشعراء في غير النقد الادبي واللغوي ، -
ويتمش ذلك : " في ما أورده ابن سلام من مآخذ على الشعراء لا تتعلق
بالنحو ولا باللغة وانما تتعلق بأشياء أخرى متصلة بالمعرفة العامة
للشاعر ودرايته بما يحيط به من الاشياء ، التي يعرض لها في شعره " (١) وعلى
الرغم من أن هذا النوع من النقد سبق اليه العرب قبل عصر ابن سلام فإن
فضله يرجع الى أنه لم يغفل هذا النوع من النقد لما له من أثر على قيمة
الشعر من حيث المعرفة العامة وهو ما يتصل مع الصدق الواقعي الذي
جعله ابن سلام احد المفاهيم النقدية التي يجب الاخذ بها . لان الشعر
كلما كان صادقا في عرض الحقائق الخارجية والحقائق العلمية من حيث المدلولات
العامة للالفاظ كان لذلك أثره الهام في تقويم نوعية الشعر .

لقد عرض ابن سلام هذه المآخذ التي أخذها العلماء على الشعراء
في مثل هذه الاخطاء المتعلقة بالمعرفة العامة . عند حديثه عن الشاعر
فهو يؤخذ امرأ القيس على قوله :

" اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل
قال : فأنكر قوم قوله : " اذا ما الثريا في السماء تعرضت " وقالوا : الثريا
لا تعترض ، وقال بعض العلماء : عنى الجوزاء وقد تفعل العرب بعض ذلك

أربع نقد البري

(١) محمد زغلول سلام/ ١٠٢

قال زهير :

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم * كأحمر عاد ثم ترضع فتقطم
يعنى أحمر ثمود (١)

فهو يرصد خطأ امرئ القيس هويين موقف العلماء منه واعتراضهم
عليه ، وتقدير العارفين أن الثريا لا تعترض ، وإنما تعترض الجوزاء
كما بين أن بعض العلماء ، قد جعلت للشاعر مخرجا من هذا الخطأ . فقالوا
: عنى الجوزاء كما قال زهير (أحمر عاد) وهو خطأ والا صح (أحمر
ثمود) وقد نبه أيضا لبعض الأخطاء المتعلقة بالمعارف العامة وبين
أن العرب تفعل هذا واستشهد بقول الفرزدق :

عشية سال المريدان كلاهما * عجاجة موت بالسيوف الصوارم
والمريد : واحد فجعله اثنان . ومثله قول أبي ذؤيب .
" وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر فى القتلى كليب لوائـ
وهو رجل واحد من عنزة ذهب يجتنى القرظ فلم يثبت أنه رجع " ويؤيد
قوله أنه قارظ واحد ببית لبشر بن أبي خازم .

فرجى الخير وانتظرى أيايى * اذا ما القارظ العنزى آيا (٢)
وذكر من الأخطاء قول المجاح :

" لا تحسبن الخندقين والحفر . . . " (٢)
وهو خندق واحد من ذلك تبين لنا أن ابن سلام تنبه للأخطاء الخارجية
على المعرفة العامة ، ورصدها وبين الحجة فى مخالفتها للواقع .

(١) ابن سلام ص ٨٩

(٢) المصدر السابق ١٨

لقد أهتم العلماء الذين أخذ عنهم ابن سلام بمعالجة هذه الظاهرة

من ذلك " ما علق به رؤية على قول جرير :

انى اذا الشاعر المفرور جرنى * جار لقبر على مران مرموسه

قال : كذب والله ، ما تميم بمران وانما هو بذات عرق ، وقبر معد بمران (١)

ومثله ما علق به على بيت امرئ القيس :

واركب فى الروع خيفانسة * كسى وجهها سعف منتشر

لأن الأصيل من الجياد لا يكسو الشعر وجهها ، ولذلك " خطأ الأصمى

بشامة بن الفدير فى قوله يصف راحلته :

وصدر لها مهبج كالخليف * تخال بأن عليه شليــــــــــــــــلا

لان من صفة النجائب قلة الوبر " (٢) وقد ورد نص فى (الموشح) عن ابن

سلام يناقش هذه الظاهرة : " قال ابن سلام عن زهير : وعابو عليه قوله

فى الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن القمر والفرقا

لان الضفادع لا تخرج من الماء لانها تخاف القمر والفرق ، وانما تطلب الشطوط

قال : وأنكر عليه قوله : ماء بشرقى سلمى فيد أدوكك

لأنه حكى عن الأعراب أنه قال : انما هورك " (٣) ومعنى هذا أن النقد العربى

اهتم بصدق الشعر فيما يتصل بالحقائق الخارجية والحقائق العلمية وكان ذلك

واضحاً بين النقاد السابقين على ابن سلام ، فلما جاء ابن سلام سار على منهجهم

وعرض آراءهم عرض المعارف الطم بها وطبقها على شعر من عرض لهم من الشعراء

تطبيق الناقد المدرك لأسرارها ودقائقها .

(١) محمد زغلول سلام ص ٩٤-٩٥ (٢) زغلول سلام ص ٩٥

(٣) المرزبانى ص ٤٤ ولم يرد هذا النص فى كتاب الطبقات .

(الباب الثالث)

**** القيمة النقدية لكتاب طبقات الشعراء ****

الفصل الأول

=====

كتاب الطبقات فى رأى بعض النقاد المحدثين

تعرض بعض النقاد المحدثين لكتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام وأصدروا فيه آراءهم النقدية ، بالإضافة الى تحليل موجز للكتاب وما قام به ابن سلام ، وهم وان اتفقوا فى العرض الموجز والتحليل الضيق الذى يعرض الكتاب حسب الخطوط الكبرى للعمل الذى اتخذه ابن سلام منهجاً ، الا أن لبعضهم آراءه الخاصة وعلى أساسها نقد الكتاب ونى تقويمه له .

يقول الدكتور محمد مندور : " ولقد فطن ابن سلام بذوقه الادبى الى أن هؤلاء الشعراء (يعنى شعراء الرثاء) ليسوا كثيرهم ممن صدروا عن فن واحد بل هم انسانيون قالوا الشعر لشفاء نفوسهم مما تجد ، فلم تأت مراثيهم مدحاً للميت فحسب ، بل عبارة عن ألمهم لفقد ذويهم ، حتى ان المديح نفسها ليلونه الأسى ، ولذلك أفردهم فيما تظن بباب خاص وان لم يذكر السبب ، ثم انه لم يكتف بهذا بل فاضل بينهم كما فاضل بين شعراء القرى فقال : والمفضل عندنا متمم بن نويرة (١)

ويرى الدكتور محمد مندور أن اتخاذ الزمان والمكان أساسين لمحاولته وضع تاريخ للشعر العربى قد أملت طبايع الأشياء واعتبرهما مندور أطاريح كبيرين أدخل فيهما ابن سلام تقسيمه على أساس من النقد الادبى (١)

(١) محمد مندور - النقد المنهجى ص ١٢

(٢) المصدر السابق ص ١٢ .

وفى الحقيقة أن نظرة الدكتور محمد مندور نظرة صائبة . فشعراء
الرثاء يمتاز فنهم بصدق العاطفة ، ونبل الاحاسيس ، وهو شعر خلقته ظروف
نفسية خاصة ، وشعور نبيل قبل كل شيء ، ولذلك أفردهم ابن سلام فى طبقة
مستقلة وهى نظرة نقدية جديدة بالاهتمام .

واذا كانت طبائع الاشياء قد أملت على ابن سلام اتخاذ الزمان والمكان —
اطارين كبيرين قائمين على أسس لمحاولة التاريخ للشعر على أساس من النقد —
فان هذه الاشياء التى أملت طبيعة هذا التقسيم ، انما هى أشياء نقدية صرفة ،
وأن التاريخ قد جاء أصلا لخدمة النقد فى هذا المجال .

ولم يرق للدكتور محمد مندور منهج ابن سلام فى نقد الشعراء ، يقول :
(ثم اننا نلاحظ أنه يورد ما يختاره للشعراء المختلفين او يورد مطالعه ، ولكنه
لا يحلله ولا ينقده ولا يظهر ما فيه من جمان أو قبح ، وان حكم على بعض
القوائد او بعض الشعراء فأحكامه فى الغالب هى الاحكام التقليدية التى كانت
الألسن تتداولها عن السابقين ، حسان بن ثابت يقول : " أشعر الناس حيا هذيل ^(١) "
وهكذا .

وعلى الرغم من أن منهج ابن سلام يفتقر الى الوضوح فى بعض أحكامه النقدية
الا أن عمل ابن سلام انما أملت طبيعة التأليف ، فالكتاب يعد من أوائل الكتب
التي الفت فى النقد الادبى ، والعصر الذى ألف فيه كان عصر العلماء الذين
ينشرون علومهم بين الناس فى المجالس والحلقات فكان الناس بذلك على معرفة

(١) محمد مندور . النقد المنهجى ص ١٩ .

ودراية بأحوال الشعراء ولذلك جاء عمل ابن سلام هذا عملاً مجملاً دون تعليل .

ويستنتج الدكتور محمد مندور من عمل ابن سلام أنه : " لم يتقدم بالنقد الفنى الى الامام شيئاً كبيراً " (١)

وظلم أن نطلب من ابن سلام وهو من الرواد أن يحلل ويفصل ويصل الى مستوى النقد الذى تطور بعده حتى عصرنا الحاضر ، وأن نطلب فى كتابه ما حققه الجاحظ والآمدى والجرجاني واضرابهما ، ٠٠٠ فكتاب ابن سلام انما يمثل طفولة تأليف فى مراحلها الاولى نمت وترعرعت فيما بعد ، فليس من العدل أن نطلب فيه ما تحقق بعد نمو النقد الادبى وتقدمه .

ولعل الدكتور طه ابراهيم خير من نظر فى عمل ابن سلام من النقاد المحدثين على أساس من العدل فقد بين أن ابن سلام يعتبر : " أول من نظم البحث فى هذه الافكار وعرف كيف يعرضها ويبرهن عليها ويستنبط منها حقائق أدبية فى كتاب طبقات الشعراء " ٠٠ شارك ابن سلام معاصريه فى كثير من الافكار ولكنه محصها وحققها وأضاف اليها وصبغها بصبغة البحث العلمى وسلكتها فى كتاب خاص هو خلاصة ما قيل الى عهده فى أشعار الجاهلية والاسلام ، فالفرق بينه وبين من عاصره كثير ، لانه زاد على ما قالوا فى النقد الفنى وفى النظرات فى الادب ، وكثير على الاخص لانه أودع كل المعارف فى النقد كتاباً لعله أسبق الكتب فى ذلك . أودعها على طريقة العلماء وفى عرف منطق قوم فهمو بذلك من الذين أفسحوا ميايق النقد وهو بذلك أول المؤلفين فيه " (٢)

(١) محمد مندور . النقد المنهجى ص ٢٩

(٢) طه ابراهيم ص ٧٥

وهذا اعتراف من الاستاذ طه ابراهيم بما قدمه ابن سلام من خدمة للنقد الادبي سبق اليها غيره ، فنقد ابن سلام وان ارتبط ارتباطا وثيقا بأفكار معاصريه في ميدان النقد الادبي الا أنه محصها وحققها و اضاف اليها وصنفها بصيغة البحث العلمي فزاد على ما قال معاصروه وأودع تلك المعارف في كتاب كان من أسبق الكتب في النقد الأدبي .

ولعل هذا الاعتراف يفضل ابن سلام قد جمل الدكتور طه يحكم بموضوعية على كتاب ابن سلام بأنميظ : " من أهم ما كتب في النقد الادبي عند العرب ويظل ابن سلام من أجلاء النقاد صحة وذهنا ونفاد بصريما بسط من القول وأوضح من الدلائل وبين من العلل ، فقد وصل الى ما أصله الأدياء واللغويون فتناوله تناولا حسنا وزاد عليه زيادات قيمة ، ففي كتابه صورة لحياة النقد منذ نشأ في الجاهلية الى أواخر القرن الثالث الهجري . وصورة للأذواق المختلفة والأذهان التي خاضت فيه ، ولقد كانت الافكار في النقد مبعثرة لا يربطها رابط حتى جاء ابن سلام فضم أشاتتها ، والف بين المتشابه منها بروح علمي قوي ، ثم ان الاصول التي عرفت قبله في النقد لم توطد ولم تؤكد ولم تستقر ولم ترسخ الا في كتاب طبقات الشعراء " (١)

وشبيه بموقف طه ابراهيم ، ما بينه الدكتور بدوي طبانه موضحا أهمية كتاب ابن سلام وكونه رائدا في مجال المنهج العلمي ، يقول : " للمرة الأولى نجسد كتابا واقيا في الشعر العربي يسلك صاحبه في تأليفه منهجا علميا ولا شك أن محاولة تقسيم الادباء والشعراء الى مجموعات وطوائف بحسب تفاوتهم في

(١) المصدر السابق (طه ابراهيم ع ٨٨ ، وانظر بدوي طبانه . دراسات في نقد الادب العربي ع ١٥٧ - ١٥٨ .

كثرة الانتاج أو فى جودته أو فى قدرتهم على التصرف فى فنون الشعر ، تعد من فنون الدراسات النقدية . ومن أهم الأغراض التى يطلب الى النقاد أن يقدموا آراءهم فيها الى جهود المشتغلين بالمسائل الأدبية وذلك ما فعله ابن سلام الذى حقق كثيرا من غايته فى تقسيم أولئك الشعراء^(١) .

وقد أشار الدكتور بدوى طبانه الى ناحية هامة جدا ، تستحق الاظهار والبيان فقد ذكر : " أن الصناعة التى أطلقها ابن سلام على الشعر قد سمت بها اليونان الشعر أيضا صناعة ، فالشعر عندهم صناعة والشاعر صانع^(٢) " .

وقد استنتج الدكتور بدوى — تبعا لذلك : " أن الكتاب أقدم وثائق النقد المدون . فيه كثير من آراء الأدباء واللغويين التى انتفع بها فيما بعد ممن كتبوا فى نقد الأدب كالأمدى وأبى الفرج . وحسب كتاب ابن سلام أن — يكون جماع القول فى الشعر العربى فى الجاهلية والاسلام^(٣) " .

ولقد حاول الدكتور احسان عباس أن يوضح أن ابن سلام كان أول من نصح على استقلال النقد الأدبى ، ونرى حكمه هذا على ما قام به ابن سلام من جهود فى ذلك لحل أوضحها أفراد الناقد بدور خاص ، يقول : " كان ابن سلام من أول من نصح على استقلال النقد الأدبى ، فأفرد الناقد بدور خاص حين جعل للشعر أى لنقده والحكم عليه — صناعة يتقنها أهل العلم بها مثلما أن ناقد الدراهم والدينار يعرض صحيحها من زائفها بالمعاينة والنظر^(٤) " . ولعل إشارة الدكتور احسان عباس

(١) بدوى طبانه — دراسات فى نقد الأدب العربى ص ١٤٦

(٢) بدوى طبانه — البيان العربى ص ١١٦ .

(٣) بدوى طبانه — دراسات فى نقد الأدب العربى ص ١٥٨ ، وأبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية (الرسالة ١٩٦٠ م) ص ٥٣ — ٥٤

(٤) احسان عباس ص ٧٨ .

تعتبر دقة في الوضوح اذ أظهرت ناحية هامة عند ابن سلام وهي استقلال النقد الأدبي كفن له مكانته العلمية.

وقد شارك الدكتور محمد زغلول كلا من طه ابراهيم وديوى طيانه آراءهما في أهمية كتاب الطبقات . فنراه يقول : " ويعتبر كتاب الطبقات من أقدم الدراسات ان لم يكن أقدمها جميعا . التي الفت في النقد وسارت على منهج معين واضح ويبدأ بمقدمه طويلة يعرض فيها مقاييس النقد المختلفة في عصره ، كما يبين اتجاهه في نقد الشعر وفي تصنيف كتابه ، وترتيب طبقاته ، ويبدأ القول في الشعر العربي القديم محاولا عرضه على بساط النقد ، جاعلا ذلك مدخلا للحديث عن الشعراء " (١)

ويقول : " كذلك ندين له بالفضل في محاولته بناء النقد على الذوق الى جانب المقاييس التي عرضها ، ونبه الى ذلك في مقدمته ومع ذلك فلا نعدم لـه نظرات فنية لا تعتمد على مجرد النقل عن السابقين ، فهو مثلا يعرض للناحية الموسيقية في الشعر وكيف أن بعض الشعراء الفحول كان يقوى في شعره كالنابغة " (٢)

وفي الحقيقة أن اشارة الدكتور محمد زغلول الى ما قام به ابن سلام من جهد مستقل عن آراء سابقيه والنقل عنهم تبين فضل ابن سلام في ذلك . ولعل مناقشة ابن سلام للناحية الموسيقية في الشعر كانت أوضحها على الرغم من أنها مما نقله ابن سلام — خبرا — عن سابقيه .

(١) محمد زغلول — تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٨ .

ولعل موقف الدكتور محمد مندور الذى بين فيه أن ابن سلام لم يتقدم -
بالنقد الفنى الى الأمام شيئاً كبيراً^(١) لم يعجب الدكتور محمد زغلول ، فنسراه
يقول : " ونحن اذا ما نظرنا لابن سلام فى اطار عصره لا ننقصه حقه ، ولا نطالبه
بأكثر مما فعل كما حاول الدكتور مندور أن نطلب منه أن يتقدم بالنقد الفنى ، ترى
على من يتقدم وهو أول ما نعرف ممن حاول دراسة الشعر والشعراء هذه الدراسة
المنهجية فى النقد العربى ، وصح ذلك ومع كل ما حدى الكتاب من مأخذ
فان الكتاب قد وضع اللبنة الاولى للنقد المنهجى المبني على أسس علمية^(٢)
وهذا موقف صريح وعادل .

وقد بينت الدكتورة سهير القلماوى أن نقد ابن سلام وإن لم يكن من صنع
هو فقد صبح بتفكيره الخاص ، وهو ما ذهب اليه الاستاذ طه ابراهيم^(٣) حيث
تقول : " وغنى عن البيان أن كتاب ابن سلام حافل بأحكام نقدية ، بل نظرية
على الأقل ، لا أقول من صنعه هو ، ولكنها صبغت بتفكيره الخاص^(٤) "

ولعل مما تجدر الإشارة اليه هنا . ما قرره الدكتور مصطفى مندور من
سلامة نقد ابن سلام من المعارف اليونانية ومعاييرها الفنية والنقدية والتي كانت
شائعة فى عصره . فقد بين الدكتور مصطفى أن ابن سلام قد احتفظ بطابع
الذوق العربى فى تناول النصوص . وهذا مما يعطى الكتاب أهمية خاصة . يقول
الدكتور مصطفى مندور : " لقد استطاع ابن سلام أن يحتفظ بطابع الذوق العربى

(١) محمد مندور - النقد المهنى ص ٢٠

(٢) محمد زغلول سلام - تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) طه ابراهيم ص ٨٨

(٤) سهير القلماوى . النقد الادبى (مصر ١٩٥٩ م) ص ١٩

فى تناول النصوص • وهذا مما يعطى الكتاب أهمية خاصة • يقول الدكتور مصطفى مندور : " لقد استطاع ابن سلام أن يحتفظ بطابع الذوق العربى فى تناول النصوص ، ولم يخضعها لما كان شائعا من المعارف اليونانية ومعاييرها الفنية والنقدية ، ومن هنا تزداد أهمية الكتاب لانه يمثل الذوق الادبى عند العرب وما فيه من عناية بالنصوص وتذوقها ، ولقد كان ابن سلام يؤمن بأن الشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم ، وكان يؤمن أن كثرة المدارس لتعدى على العلم ، ومن هاتين القيمتين ، المثابرة والثقافة ، ثم طول الممارسة والدراسة تتحد الطرق لمعرفة الشعر وتقده " (١)

كما بين الدكتور مصطفى مندور أن كتاب الطبقات يمثل صدرا ضخما من معارفنا الادبية والنقدية المتعلقة بقديمتنا ، وسما الكتاب الى قمتبفضل عاملين واضحين :-

أولهما : قيمته النقدية •

وثانيهما : أنه يمثل سجلا للاخبار الادبية (٢)

ولعل من الامور السهامه التى تجدر الإشارة اليها أيضا سبق ابن سلام للأوربيين وبيانه أن المدارس تعدى على العلم بالشئ ، وهو ما ذكره الدكتور محمد مندور حيث يقول : " قال ابن سلام : أن كثرة المدارس لتعدى على العلم وهذا الكلام الذى قاله ابن سلام منذ قرون هو آخر ما انتهى اليه الاوربيون

(١) د • مصطفى مندور (مقاله فى مجلة تراث الانسانى - المجلد الأول •

مصر سنة ١٩٦٤ ، ص ٦٦٦ •

(٢) المصدر السابق ص ٦٥٦ •

في حقيقة النقد الأدبي^(١)

وبذلك يكون ابن سلام قد سبق النقاد الى أشياء لعل أضحها تقريره
أن الشعر صناعة • واستقلال النقد الأدبي عند العرب • وتقريره أن —
المدارسه للشئ تعدى على العلم به •

ومما سبق يظهر لنا أن ابن سلام قد خدم النقد الأدبي عند العرب
وصدر عن مقاييس نقدية وأمور فنية لا يشك أحد في مقدار أهميتها وقيمتها
النقدية في مجال النقد العربي •

(١) محمد مندور — في الميزان الجديد ص ١٦٣ •

الفصل الثانى

=====

تقييم جهود ابن سلام النقدية

تتضح جهود ابن سلام النقدية فيما عرضنا له من دراسة فى البابين الأول والثانى من هذا البحث ، وتنقسم تلك الجهود قسمين :

- ١- جهود نقدية تتعلق بتوثيق النصوص وهو ما يسمى - النقد التوثيقى .
- ٢- وجهود نقدية تتعلق بدراسة الشعراء ونتاجهم وتقسيمهم الى طبقات وتخضع لمقاييس نقدية معينة - وهو ما يسمى - النقد الفنى .

ويظهر النقد التوثيقى عند ابن سلام فى دراسته لظاهرة الانتحال وتوثيق الشعر الصحيح ، ورد الزائف ، وتحديد وسائل توثيق الشعر التى تأتى عن طريق الرواة الثقات والعلماء المتخصصين فى الشعر ، وتحديد أولئك الثقات الذين يجب الأخذ عنهم ، واخضاع دراسة الشعر للدليل النقلى أحيانا وللدليل العقلى أحيانا أخرى حتى لا يرقى الشك الى ذلك التراث الموثق وقد بين ابن سلام ذلك ورسمه فى كتابه بشكل واضح يقول : " وفى الشعر مصنوع مفتعل ، وموضوع كثير لا خير فيه ولا حجة فى عربيته ، ولا أدب يستفاد ، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب ، ولا مديح رائع . ولا هجاء مقذع ، ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرى ، وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ، لم يأخذه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء ، وليس لأحد اذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على أبطال شئ منه أن يقبل من صحيفة ولا يروى من صحفى " (١)

وما دام الأمر كذلك وأن الشعر العرسي لا يخلو من المنحول المزيف ، فقد وضع ابن سلام قاعدة هامة لتوثيق الصحيح ورد الزائف ، تتمثل هذه القاعدة في الأخذ عن أهل الرواية الصحيحة ^(١) وأجماع أهل العلم على صحته ، ورد ما ورد عن الرواة المطمعون فيهم - والذين حددتهم ابن سلام في موضع آخر من الكتاب ، ^(٢) وكذلك رد ما رده العلماء المتخصصون وقد فند ابن سلام كذلك توثيق الشعر عن طريق الدليل النقلي ، ومثال ذلك في شعر عاد وشمود ، حيث يستشهد بقوله تعالى : " فقطع دابر القوم الذين ظلموا " أى لا بقية لهم ، وقوله تعالى : " وأنه أهلك عادا الاولى وشمود فما أبقي " وقوله تعالى : " وقرونا بين ذلك كثيرا " وقوله تعالى : " الم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله " ^(٣) كما فند ذلك عن طريق الدليل العقلي ، يقول عن ابن اسحق فيما نسبته من الشعر الى الأمم البائدة : " أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن آداه منذ آلاف السنين " ^(٤)

وكذلك فقد حدد ابن سلام أسباب الانتحال وردها الى العصبية القبلية ولين شعر الشاعر ، وشهرة الشاعر مع قلة ما روى له ، وأن طرق الانتحال تتمثل في الرواية حيث كان الرواة غير الثقات يزيدون في الأسماء وتتمثل في جماع الشعر وفي القصصين واصحاب المغازي والسير .

ومن هنا نجد أن عمل ابن سلام النقدي قد قام على أسس واضحة جعلت النظرة في التراث تقوم على مبادئ علمية تخضع التراث للتحقيق ، موضحه طرق

(١) ابن سلام ص ٢٣ و ٦١ (٢) ابن سلام ص ٤

(٣) ابن سلام ص ٢٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩

(٤) انظر ابن سلام ص ٨ (٥) ابن سلام ص ٨

الصحيح وطرق الزائف ومصادره • وهى قضية خدمت الأدب العربى
الذى تعرض فيما بعد لموجة كبيرة من التشكيك •

وتأتى قيمة هذه الناحية النقدية التوثيقية عند ابن سلام من أن ابن سلام
كان من السابقين الى أثارها حيث عاش القضية من بدايتها ومع بداية التدوين
الذى نقل التراث الينا ، واستطاع أن يحدد طرق التوثيق ، وأن يحذر من
الوضاع وطرق الالتحال فرسم بذلك خطا واضحا للنظرة فى التراث وتوثيقه ، واشترط
فى الناقد الذى يحكم أن يكون بصيرا بالشعر عالما به ^(١) لتقبل أحكامه على
الشعر •

ولا أشك فى أن هذا المنهج قد خدم التراث ، وجعلنا نطمئن الى ما دون
من تراثنا القديم فى عصوره الاولى ، والذى اعتمد تدوينه على رواية الثقات والعلماء
ونقد العارفين • وان الاحكام النقدية التى تصدر على شاعر معين تدعوا الى
الاطمئنان وتؤكد أن ذلك النقد موضوعى الى حد بعيد • • وأن كتاب
ابن سلام يعد أحد المستندات التوثيقية التى بقيت على مر العصور •

أما النقد الفنى فان جهود ابن سلام فيه واضحة ، ذلك أن ابن سلام
قد جمع فى كتابه عددا من الشعراء اختلفت قدراتهم الشعرية وأزمانهم وأماكنهم
وأخضع تقسيمه لاسس فنية معينة قسم بها الشعراء وفق أزمنة وأمكنة وفنون
شعرية الى طبقات •

وفى الحقيقة أن تقسيم ابن سلام للشعراء وفق الزمان والمكان والفن
الشعرى أمر لا غبار عليه • ذلك أن شعر كل فترة من الزمن يختلف فى الفاظه

(١) ابن سلام ج ٦ - ٧

ومعانيه وطابعه العام عن فترة أخرى فالشعر الجاهلى له طابعه المميز
والشعر الاسلامى له مفاهيمه الجديدة وطرق صياغته التى لا تخفى على
الآداب الاسلامية التى لم توجد فى الأدب الجاهلى مثلاً^(١) وكذلك
الحال بالنسبة للمكان فشاعر البادية لا يمكن أن يتغنى بترف الحضارة
ومقوماتها التى لم يعيشها بحيث تصبح سمة فى شعره . وشاعر الحاضرة
الذى يعيش فيها دون انقطاع يصعب عليه ان يصف الصحراء وما تحتويه
وصفا دقيقا كما يصفها الشاعر البدوى الذى يعرف اسرارها وحتى طبيعة
الحياة التى يحياها كل من الشاعرين والتى تختلف اختلافا كبيرا، وكذلك
الحال بالنسبة للفن الادبى فشعر الغزل برقته وتلفه واختيار الفاظه
يختلف عن شعر الحرب النثر القوي الالفاظ والذى يحشد فيه الشاعر
انفعالاته الهائجة التى لا يمكن أن تتمثل فى شعر الغزل . حتى وان جمعت
بين الشعرين الانفعالات النفسية ، الا أنها تختلف من الغزل الى الحرب
كما أن شعر الرثاء الصادق كل الصدق النابع من العاطفة المجروحة لا يماثلها
وهكذا .

فالاعتماد على الزمان والمكان والفن الادبى عند ابن سلام يعتبر عملا نقديا
صحيحا لا غبار عليه .

قسم ابن سلام الشعراء فى كتابه الى طبقات ، عشر اسلاميه ، وعشر جاهلية
والتزم تقسيم هندسى فجعل كل طبقة أربعة شعراء ، وذكر أن مرد ذلك
التقسيم تكافؤهم واعتدالهم ، يقول : " ففصلنا الشعراء من الجاهلية والاسلام

(١) يحيى الجبورى ، شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه (بغداد ١٩٦٤) ص
٣٤٨ وما بعدها .

والمخضرمين الذين كانوا فى الجاهلية ، أدركوا الاسلام فنزلناهم منازلهم —
واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء^(١) ثم يقول
: فأفنا من تشابه شعره الى نظرائه فوجدناهم عشر طبقات ، أربعة رهط
كل طبقه متكافئين معتدلين^(٢) فكل طبقه أربعة شعراء •

وفى الحقيقه أن التزام ابن سلام بالتقسيم الرأى يعد عملاً
هندسياً الزم به نفسه ، فأخرجه هذا التقسيم عن دائرة الدقة
الموضوعية فى النقد مما جعله يؤخر شاعراً من حقه التقديم • كما فعل
ذلك مع أوس بن حجر حيث جعل سبب تأخيره عائداً لالتزامه بالعدد الرأى
الذى لا يريد تجاوزه فى الطبقة الواحدة^(٣) وهو وان أخضع عمله لمقاييس
نقديه إلا أنه لم يكن عادلاً • وكان المأمول أن يضع الشعراء المتكافئين نقدياً
فى طبقة واحدة سواءً قلوا أو كثروا ، إلا أن التزامه بهذا الشكل الهندسى
قد أساء الى هذه النظرة النقدية •

وإذا كان ابن سلام ينقل آراء العلماء السابقين ويعتمد عليها فيما قدمه
من نقد فى كتاب الطبقات ، وإذا كان قد التزم ابن سلام بجعل الطبقة الأولى
من الجاهليين أربعة لان المتقدمين والعلماء الذين اخذ عنهم قد قرروا ذلك
فاننى لا أرى ذلك عذراً له فى أن يتأثر بذلك فيجعل جميع الطبقات تماثل الطبقة
الأولى من الجاهليين عدداً •

(١) ابن سلام ٢٣ — ٢٤

(٢) المصدر السابق ٢٤

(٣) المصدر السابق ٩٧

لقد اعتمد ابن سلام على الفحولسة أساسا اختار عليه الشعراء ، فجميع الشعراء الذين عدّهم كانوا من الفحول ، وهذا عمل نقدي قائم على تكافؤ الشعراء — لتكون الأحكام النقدية الصادرة على كل طائفة أحكاما عادلة — إذ لا تفاوت بين الشعراء من حيث الفحولة وعدمها وإنما الحكم قائم على التفاوت في الفحولة ذاتها — ويعد هذا العمل من الأعمال النقدية السليمة التي اعتمد عليها ابن سلام .

أما مقدرة الشاعر فقد أخضعها ابن سلام لمقاييسين هامين جودة الشعر وكثرته . وفضل الشاعر المجيد على غير المجيد ، والمكثر على القليل وجعل الجودة المقياس الأول . فالجيد الكثير خير من الجيد القليل ، وهذا أمر لا يمكن القدح فيه على الرغم من مواقف بعض النقاد المحدثين ، فقد جمع ابن سلام بين الكيف والكم في آن واحد مع تقديم الأول على الثاني وهذا عمل نقدي سليم .

وقد اهتم ابن سلام بتعدد الأغراض عند الشاعر وجعلها من مقاييس التفضيل عنده وهو موقف نقدي معقول . إلا أن إهماله لشعراء من ذوى الفن الواحد لهذا السبب لا يمكن إقراره نقديا . فكان لا بد أن يشير إلى الفحول المتفوقين في الفن الواحد ويذكر فضلهم وانقطاعهم إلى فنونهم والإشادة بذلك كما فعل مع أصحاب الرثاء . فابن سلام لم يعمم مقياس الفن الأدبي الذي اهتم به عند شعراء الرثاء وجعلهم طبقة مستقلة بل قصره على الرثاء . وأشار إشارة عابرة إلى الفزليين دون أن يجعل مقياس المفاضلة بينهم قائما على تفوقهم في فن الفزل . فقد فاضل بينهم وبين الطبقات الأخرى في الإطار العام الذي قسم بموجبه الشعراء إلى عشر طبقات ولعل تطبيق ابن سلام للمقياس

بهذا المقياس متأثرا بالناحية الدينية كما يظهر - خاصة وأنه عربي -
من رجال العلم والحديث الثقات^(١) فان ذلك قد أساء الى نزاهة عمله
النقدى فى أنظار النقاد المحدثين فقط ، وهى نظرة مقبولة اذا نظرنا اليها
من زاوية نقدية محضة .

ولقد لاحظ ابن سلام أثر البيئة فى الشعر وبين أن شعر الحاضرة يتميز
باللين مما يجعله معرضا للانتحال ، وهذه نظرة نقدية دعمها ابن سلام
بالحجة حيث يقول : (وعدى بن زيد كان يسكن الحيزة ويراكن الريف فلان لسانه
وسهل منطقته ، فحمل عليه شئ كثير وتخليصه شديد ، ٠٠٠)^(٢) كما يبين
أن شعر قرش - وهم الحاضرة - شعر فيه لين فهو يشكك بعض الاشكال^(٣) ، ولا
يختلف أحد فى مدى أثر البيئة على الشعر مطلقا ، فلشعر البادية جزالته
وقوة اسلوبه التى تفوق شعر الحاضرة وهذا ظاهر من خلال دراسة شعر
البيئتين .

والى جانب الاسس والمقاييس التى طبقها على الشعراء فى كتابه فقد أفاد
النقد العربى فى مراحلها الاولى ببعض الاعمال النقدية المتعلقة بالنقد اللغوى
ونقد الالفاظ المتعلقة بالصدق الخارجى ، وهذا العمل النقدى انما كان صادرا
من واقع علوم العصر ، فكان العلماء يهتمون بكثير من النواحي المتعلقة بالعلم

(١) ابن الأثير / ج ٧ ص ٢٦

(٢) ابن سلام ص ١٤٠

(٣) ابن سلام ص ٢٤٥

ذاته - حتى ولو لم تكن من المفاهيم المحصورة في العلم ذاته . فنرى أبا عمرو بن العلاء والاصمعي ومن سار على نهجهما وحتى ابن سلام يهتمون بدراسة اللغة الى جانب دراسة الادب والفاظه وقيمه ، وكذلك التاريخ له ، والحديث عن الشعراء وما يتعلق ببعضهم من أحداث وظروف خاصة قد لا تمس جوهر الموضوع بصلته هامة . وذلك ظاهر في كتاب الطبقات ، ولعل هذا الدمج كان ميزة التأليف في عصوره الاولى كما هو ظاهر في كثير من المصنفات المتقدمة .

ولعل من الامور البارزة في كتاب ابن سلام تلك الاحكام النقدية العامة والمبسطة التي يطلقها على الشعراء - والتي تحتاج الى توضيح وتحديد لنعلم مدى فعاليتها الحكم النقدي وتأثيره على الشاعر بدرجة معينة . فقد نهج ابن سلام في نقده أحيانا منهجا عاما يحتاج الى الوضوح كقوله : " النابغة أحسن أهل طبقة ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا " ^(١) والشماخ شديد متون الشعر أشد أسرا من لبيد وفيه كزارة " ^(٢) وخداش أشعر في قريحة الشعر من لبيد " ^(٣) والامثلة على ذلك كثيرة ، وقد ساقها ابن سلام دون تحليل - وكان الأجدر أن يوضح المقصود منها وما هدى اليه ، مع التحليل الواضح لكل ناحية نقدية اعتمدها - ومنهج ابن سلام هذا انما يتماشى مع منهج العلماء الذين سبقوه والذين عاصروه ، والذين أخذ عنهم كثيرا من مروياته .

وبالاضافة الى الفموض الذي يكتنف بعض الاحكام النقدية . فان الابهام يحيط بالكتاب عامة . وكأن ابن سلام انما الكتابه لطائفة من العلماء والعارفين

(١) ابن سلام ص ٥٥ - ٥٦

(٢) ابن سلام ص ١٣٢ .

(٣) ابن سلام ص ١٤٤ .

بأحكام النقد ومبازل الشعراء وأقدارهم . أو لطائفة من الناس تصورت سلفا تلك الاحكام ، أما أولئك الذين يريدون معرفة الاحكام النقدية غاية فسى الوضوح والاحاطة بها فقد يقفون طويلا دون استنتاج محدد أمام كثير من . . . الاحكام النقدية الفردية .

لقد كان ابن سلام ناقدا ملتزما محافظا لم يرد أن يخرج عن آراء سابقيه من النقاد فهو لم يهتم مثلا بنقد شعراء محدثين عاصريهم واستشهد بآرائهم في كتابه كبشار مثلا ، ولعل ذلك لالتزامه نهج اساتذته امثال أبي عمرو بن العلاء والاصمعي اللذين كان لهما موقف واحد من اهمال الحديث ، حتى ان الاصمعي مرق صحيفة كتب فيها شعر استحسنته لظنه أنه قديم . فلما علم أنه محدث استهجنه . (١)

كان موقفه من شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الصماليك دل على أنه ناقد ملتزم لم يرد لنفسه أن يخرج على المبادئ القيمة السائدة في عصره .

ان كتاب ابن سلام يعتبر رائدا لكتب النقد — فيما يبدو — ولذلك فان ما تميز به الكتاب من اجمال عام والتزام واضح لا يعدو طبيعة بداية التأليف في النقد في طورها الأول — ومن الصعب جدا ومن غير العدل أن يطلب النقاد المتأخرون الاحاطة والوضوح والتعليل الكامل في كتاب كان من الكتب الرائدة ويكفيه قيمة أنه كان من الرواد الذين فتحوا باب التدوين في ميدان النقد الذي اتسع فيما بعد واصبح يشكل في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع منهجنا واضحا في التأليف .

لقد أفاد ابن سلام النقد العربي حيث نقلت كتب التراث التي الفت بعده

شيئا مما أورده بالاضافة الى كثير من الآراء التي صدرت عنه في غير كتاب النقد كآراء اللغوية ، وصفات الخيل . وهذا الخضم الزاخر يحتاج الى جمع وتحقيق لا نستطيع عرضه هنا مفصلا . بل نكتفى ببعض الاشارات - الضرورية اليه .

نقل ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء كثيرا من أحكام ابن سلام النقدية التي أوردها في كتابه ، واستفاد من هذه الاحكام والآراء وجعلها حجة (١) على ما يورده من أحكام .

وهذا يدل بلا شك على أن ابن قتيبة الذي ألف كتابه بعد كتاب ابن سلام قد استفاد من آراء ابن سلام ، ولعل ابن سلام بذلك قد فتح الباب للتأليف في النقد العربي فبينما نجد أن ابن سلام قد سمى كتابه (طبقات فحول الشعراء) نرى ابن قتيبة قد سمى كتابه (الشعر والشعراء) وكلا التسميتين تنم عن اتجاه نقدي مقارب .

وبزخر كتاب الموشح للمرزباني - وهو كتاب نقدي - بكثير من الآراء - (٢) النقدية التي نقلها عن ابن سلام والتي تكون جزءا كبيرا من محتويات الكتاب

(١) ابن قتيبة : ج ١ ص ٨٩ ، ١٥٧ ، ١٣٧ ، ٣٠٩ ، ٤٥٣ ، ٤٨٣ ، وكان لا يشير في بعض المواضع الى أنه نقل عن ابن سلام .

(٢) المرزباني (اكثر صفحات الكتاب ، حيث اعتمد عليه اعتمادا كبيرا) .

كما نقل عنه صاحب الأغاني أخبارا كثيرة جدا^(١) تدل على أهمية كتاب
الطبقات وأهمية مؤلفه العلمية . ولا يخفى أن كتاب الأغاني يعتبر
من أهم المصادر القديمة في النقد وتاريخ الأدب.

-
- (١) الاصبهاني : ج ٤ ص ١٦٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ،
٢٦٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٥٦ ، ج ٥ ص ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ج ٦
ص ٨٥ ، ٢٦٤ ، ج ٧ ص ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ١١٠ ، ج ٨ ص ٤ - ١٠ ،
٣٤ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٨٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ج ٩ ص ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٩١ ،
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ج ١٠ ص ٣ ، ٢١ ، ٨٢ ،
١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٣٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ج ١١ ص ١٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ج ١٢ ص ٦٩ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٥ ،
١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥٦ ، ٢٣٩ ، ٢٦٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٤٠ ، ج ١٣ ص ١٥ ، ٥٨ ،
١٠٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٨٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ج ١٤ ص ١٢٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،
٣٧٦ ، ج ١٥ ص ٢٩ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ١٢٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ج ١٦ ص ٥٥ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦١ ،
١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٦ ، ٣٠٧ ، (ج ١٨ ص ١٠ ، ٣٣ ، ٧٤ تحقيق عبد الكريم الصراوى)

وكذلك فقد نقل عنه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين في موضعين (١)
 واستفاد من علمه في مواضع عدة من كتابه الحيوان (٢) .
 كما نقل عنه ثعلب في مجالسه كثيرا من الآراء النقدية واللغوية (٣) وروى
 عنه ابن الأنباري في نزهة الألباء (٤) ونقل عنه ابن رشيقي صاحب العمدة (٥)
 واستفاد من آرائه ابن طباطبا العلوي (٦) كما استفاد أبو هلال العسكري
 من قول ابن سلام (أن الشعر صناعة) فسمى كتابه (الصناعات الشعرية والنشر)
 كما نقل عنه ابن الحراج في كتابه الورقة (٧) .
 ومن هنا نرى مدى أهمية كتاب ابن سلام النقدية ودوره الرائد فيما يظهر
 لما أولف في النقد الأدبي وهو على الرغم مما عليه من مؤاخذات لا تخلو
 منها الكتب المتقدمة يعد مصدرا هاما من مصادر النقد والادب نظرا لما
 يحويه من آراء نقدية سادت في عصور النقد الأولى ولم يحويه أيضا من شعر —
 جميعه من الصحيح المحقق ، وأخبار أدبية نقلها عن الثقات المتقدمين .

-
- (١) الجاحظ . البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤١ ، ج ٢ ص ١٨
 (٢) الجاحظ : الحيوان ج ٣ ص ٤٧٠ ، ج ٥ ص ٥٩٠
 (٣) ثعلب : ٨ ، ٢٦ ، ٢٥٦ ، ٤٣٢ ، ٤٤٤ ، ٥٩٥
 (٤) ابن الأنباري : ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٢٢٨
 (٥) ابن رشيقي : ج ١ : ص ٧٧
 (٦) ابن طباطبا : عيار الشعر ، (القاهرة ١٩٥٦ م) ص ٥ ، ١٠ ، ٧٦
 حيث استفاد ضمنا من مواقف نقدية لابن سلام .
 (٧) ابن الحراج — الورقة . تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج
 (دار المعارف — الطبعة الثانية بدون تاريخ) ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ .

الخاتمة

=====

استنتاج و خلاصة

=====

ظهر لنا أن كتاب طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الحجمى يعتبر ذا أهمية خاصة فى تاريخ النقد العربى ، فعلى الرغم من أن المراجع العربىة تتحدث عن كتب فى النقد للاصمعى وغيره من علماء القرن الثانى الهجرى ، فإن هذه الكتب اما قد ضاعت ولم يعد بين أيدينا من المعلومات ما يعيننا على تقدير قيمتها وأهميتها النقدية ، وأما أنها موجودة فى شكل مخطوطات صغيرة الحجم قليلة المادة النقدية ولا ترجع قيمتها الا الى أنها مجرد معالم على الطريق النقدى وضعت قبل ابن سلام ، أما التنظيم والاحاطة وشمول النظرة وتحديد المقاييس النقدية والتنسيق بينها فى اطار نقدى عام فهذا ما لم يسبق أحد ابن سلام اليه .

وما دام الامر كذلك فانه يجدر بنا أن نتعرض لنقطة هامة . أثارها بعض النقاد المحدثين وهى : هل يعتبر كتاب طبقات فحول الشعراء كتابا فى النقد أم فى تاريخ الادب ؟ أو بعبارة أخرى : هل موضوعات الكتاب نقدية أم تاريخية ؟ يقول الدكتور محمد مندور عن كتاب طبقات الشعراء لابن سلام أنه : " أول كتاب الف فى تاريخ الادب العربى وذلك لما هو واضح فى منهج ثبوتيه للادب من اتخاذ أحكام النقد فيصلا فى النهاية " (١) وبين كذلك أن ابن سلام يعتبر مؤرخا للادب ولم يفد النقد الادبى شيئا يذكر . (٢)

(١) محمد مندور - النقد المنهجى ص ١١

(٢) " " " " " " ص ٢٠ وانظر مقالة مصطفى مندور . مجلة التراث ص ٦٥٦ .

ولعل الدكتور محمد مندور قد نظر الى اهتمام ابن سلام بذكر أحداث تاريخية تمثلت في تاريخه للغة العربية ونشأتها ، ونشأت الشعر العربي وأول الشعر القديم الصحيح وتعرضه للنواحي التاريخية ، في هذا المجال وذكره الشعراء وما ارتبط بكل شاعر من أحداث تاريخيه ومواقف معينة ، والاهتمام بنسب الشاعر والحاقه بقبيلته وذكر بعض المواقف التي جرت في مناسبة أو أخرى من المناسبات ، وقد أهتم ابن سلام بذلك بشكل واضح في الكتاب .

وفي الحقيقة أن ابن سلام قد هدف قبل كل شيء إلى ناحية نقدية هامة ، تتمثل في تحقيق الشعر والمفاضلة بين الشعراء ، وأنه قد تعرض للرواية والانتحال لما لهما من أثر على النقد العربي . وهذا بلا شك يدفعه إلى الحديث عن تاريخ اللغة العربية ونشأة الشعر ، والحاق الشعر بقائله ، والقائل بقبيلته خاصة وأن الشعر قد انتقل من قبيلة إلى قبيلة ، وكان هدف ابن سلام من ذلك قطع دابر الانتحال وإفادة النقد الأدبي الذي يقوم أكثر ما يقوم في حكمه على صحة الشعر وسلامة نسبه ، وقد كانت كثرة ما تصح نسبته إلى الشاعر من شعر مقياسا من المقاييس التي بنى عليها ابن سلام مفاضلته بين الشعراء .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان النقد الأدبي وتاريخ الأدب في هذه الفترة من تطور الفكر العربي يختلطان في فن واحد لا يكاد أحدهما ينفصل عن الآخر في أي كتاب أدبي ألف في هذه الفترة ، ثم أنهما من ناحية أخرى فرعان متلازمان من فروع المعرفة لا يمكن فصل أحدهما فصلا تاما عن الآخر ، فإذا كان تاريخ الأدب لا يعدو أن يكون رسدا لسلسلة الأعمال الأدبية التي يتألف منها أدب من الآداب والكشف عن تطورها رقيا وانحطاطا غير الفترات التاريخية المختلفة فإن هذا العمل لا يمكن أن يتم إلا بعد دراسة هذه الأعمال الأدبية كل على حده

دراسة نقدية تكشف عن قيمتها الصحيحة ليصل الدارس من وراء ذلك الى الحكم عليها بالرقى والانحطاط ، والنقد الادبى بدوره يعتمد على تاريخ الادب ان - لا يمكن أن يقيم عمل أدبى ما تقييما صحيحا الا اذا نظر اليه من خلال علاقته بالاهمال المماثلة قبله وبعده ونسبته اليها .

لا عجب ان ان يهتم ابن سلام بالدراسة النقدية القائمة على التاريخ ، فهو يعرض لنقد شعراء جاهليين وآخرين اسلاميين ، كما يعرض بالنقد لشعراء البادية وشعراء القرى . وكلا الفريقين يختلف أحدهما عن الآخر فابن سلام يتعرض لذلك آخذاً فى الاعتبار العوامل المختلفة التى يمكن أن تكون قد أثرت فى شعرهم ، وما دامت دراسته النقدية هذه قائمة على هذه الاسس فلا بد من تعرضه لها بصرف النظر عن أن يكون لبعضها جوانب تاريخيه أو لا يكون .

ولعل ذكر ابن سلام لبعض المواقف التى جرت أحداثها للشعراء وانتهت تلك الاحداث باصدار أحكام نقدية عليهم ، كما يحدث عادة فى مجالس الخلفاء والخائضين فى الشعر تدل بلا شك على اختلاط النقد بتاريخ الأدب اختلاطاً قسرياً لا مناعى منه فكلا الفئتين يخدم أحدهما الآخر كما سبق .

وبعد ذلك كله . فاننا اذا نظرنا الى ما هدف اليه ابن سلام من تأليف الكتاب فاننا نجده قد الفه فى المفاضلة بين الشعراء ووضع كل طائفة فى طبقة ، وقسم تلك الطبقات الى مجموعتين حسب الزمان وأفرد طبقة لاصحاب الرثاء وأفرد شعراء البادية فى طبقات وشعراء القرى فى طبقات ، كما جعل وضع كل طائفة من الشعراء فى الطبقة من الطبقات الجاهلية والاسلامية قائما على التفاضل . ثم أن ابن سلام كان يذكر الحجج الذى اعتمد عليها فى التقسيم والتقديم والتأخير . كما خضع عمله فى الكتاب لأسس نقدية معينة ارتكزت على الزمان والمكان .

والفن الشعري وتعدد الأغراض والديانة . كما اهتم بجودة الشعر وكثرت—
ولينه وجعلها من أبرز المقاييس التي قسم عليها الشعراء في الطبقات
تقدима وتأخيرا .

وقد أقام جل عمله في الكتاب على اختيار الشعراء الفحول واصدار الاحكام
النقدية عليهم واستجادة اشعارهم النادرة ، والتعرض لما دون ذلك من أشعار
والمناضلة بين كل شاعر وشاعر في طبقة أو غيرها . والاحتجاج للشاعر المجيد
بجيد شعره مع ذكر ذلك . وبيان مكانة الشاعر بين الشعراء من حيث جودة
انتاجه وكثرته وضره في فنون الشعر . كما عرّض ذلك في أبواب البحث السابقة
ومن جميع ذلك فالتنا نخلص إلى أن كتاب طبقات فحول الشعراء ، كتاب نقدي الفه
ابن سلام في النقد الادبي وأن المواضيع التاريخية في الكتاب انما جاءت
لخدمة الناحية النقدية التي هدف إليها ابن سلام .

وما دام الكتاب قد ألف في النقد الادبي ودرس الشعراء واصدر عليهم أحكاما
نقدية ، فلا بد أن نشير إلى أن اكثر الآراء النقدية التي وردت في كتاب
طبقات فحول الشعراء بالاضافة إلى الناحية التاريخية الملازمة لها قد نقلها
ابن سلام عن علماء عصره الذين اخذ عنهم آراءهم وأحكامهم وجعلها الفيصل
في التقديم والتأخير والتفصيل والحكم على الشعراء واشعارهم .

لقد رتب — ابن سلام تلك الآراء واستفاد منها واستخلص مقاييسه الفنية
عن طريقها وأخضع لها كثيرا من الشعراء ، ولابن سلام فضل الجميع والتدوين
والتبويب السليم القائم على الاحكام النقدية المأثورة عن العلماء .

والى جانب ذلك فقد تنبه ابن سلام إلى أمور نقديه سبق إليها . فقد عرض
لقضية الانتحال وعالجها بموضعية تامه . ووضع حدا للتشكيك في التراث ، وأن

لقديم الشعر الصحيح ليفلق بذلك باب الشك في تراثنا القديم ويضع له حدا ،
كما اوضح الى جانب ذلك الطرق الذي يجب أن يؤخذ عنها صحيح الشعر .

وقد عرض ابن سلام كذلك لامور نقدية هامة ، منها ثقافة الناقد وتخصص
العلماء وبين أن الشعر صناعة وثقافة لا يعلمها الا أهل العلم المتخصصون . عنهم
تقبل الاحكام وتؤخذ الآراء . وليس لاحد الخروج عليهم أو نقض آرائهم
بأى شكل من الاشكال .

(١)
وبين ابن سلام أن الذوق هو أساس الاحكام وهو مرجع الاستحسان والاستهجان
كما اعتنى ابن سلام بشروط معنيه يجب توفرها في الناقد ، فأشترط أن يكون
الناقد عالما بالنقد ملما بالاشعار والاخبار ، وبين أن طريق ذلك المدارس حيث
يقول : (وان المدارس للشيء لتعدي على العلم به)
(٢)

كما اهتم ابن سلام بتحقيق النصوص ، وجعل صدور الشعر عن قائله أساسا
لصحة الحكم عليه .

(٣)
وتنبه ابن سلام للسرقات ، فبين سرقات الفرزدق أبياتا لدى الرمة وميتا لجميل

بشئيه .

(١) ابن سلام ص ٧

(٢) ابن سلام ص ٧

(٣) ابن سلام ص ٥٥٤ - ٥٥٥

وقسم ابن سلام الشعراء في كتابه الى مجموعات ، مخضعا هذا التقسيم لأسس فنية تمثلت في الزمان • حيث قسم الشعراء الى جاهليين ومخضرمين واسلاميين وفي المكان • حيث قسم الشعراء الى أهل وهر وهم شعراء البادية وأهل مدر وهم شعراء القرى العربية ، وبين أثر البيئة في الشعر تبعا لذلك .

وتمثلت في الفن الشعري ، حيث أفرد طبقة لاصحاب الرثاء وفاضل بينهم في الفن ذاته ، كما تمثلت تلك الأسس أيضا في الديانة • حيث أفرد طبقة لشعراء اليهود •

كما بنى اختياره للشعراء على الفحولة — فجميع من ذكرهم في كتابه عددهم من الفحول ورسم ذلك في مقدمته • وأشار اليه في بداية كل طبقة •

أما تقسيمه الشعراء الى طبقات ، وتفضيل كل طبقة على طبقة ، وتقديم شاعر على آخر فقد نتج عن مقاييس نقدية فنية تمثلت في الجودة والكثرة والفن الشعري وأثر البيئة في الشعر ، والمقياس الخلقى الذى أهمل على أساس تطبيقه بعض الشعراء ، كما كان لتعدد الفنون والاعراض لدى الشاعر أثر في تقديمه •

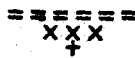
وكما اشتمل الكتاب على النقد الادبى ، فقد تعرض ابن سلام للنقد اللغوى شأنه شأن علماء عصره الذين أخذ عنهم وأكثرهم من المدرسة البصرية •

كما تعرض للنقد المتصل بالواقع وأشار الى مؤاخذه لبعض الشعراء فى ذلك • كما تعرض لذكر عيوب الشعر وأثرها فى قيمته النقدية ونقل آراء العلماء فى جميع ذلك واحتج بها •

كما ذكر كثيرا من الشعر المنحول وأشار الى غلط الرواة ، وغلط مقاحيم الشعراء وثنيانهم فى بعض مخارج الحروف وبين أصولها الصحيحة •

ولقد أزعج في كتابه للغة والشعر والقبائل والانساب وركز على نسب
الشاعر ، وانتقال الشعر من قبيلة الى قبيلة ، وكان يهدف من وراء ذلك
الى ناحية نقدية تتمثل في صحة صدور الاحكام النقدية على الشعراء وعدالتها .
ومن جميع ذلك يتبين لنا أن كتاب ابن سلام يعتبر مرجعا نقديا هاما
سبق به ابن سلام الى الامادة من النقد الأدبي ، ومقاييسه واحكامه التي
كانت شائعة في القرن الاول والثاني وأوائل الثالث الهجري . وقد جمع
في هذا الكتاب آراء سابقيه من النقاد والعارفين بالشعر ، ولعل أشهرهم
أبو عمرو بن العلاء ، والاصمعي ويونس بن حبيب وأبو عبيدة ، الى جانب كثير
من علماء عصره .

وقد أضاف ابن سلام الى هذه الآراء شيئا من نظراته النقدية الصائبة
التي تدل على ذوق نقدي والعام بالنقد ومعرفة الأدب . ونسق تلك الأحكام
بحصافة وذوق بارزين .



فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير . عز الدين ابو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى ، الكامل فى التاريخ (بيروت ١٩٦٥ م)
- ابن الجراح ، ابو عبد الله محمد بن داوود ، الورقة . تحقيق عبد الوهااب عزام وعبد الستار فراج (دار المعارف الطبعة الثانية - بدون تاريخ)
- د . احسان عباس ، تاريخ النقد الادبى عند العرب من القرن الثانى حتى القرن الثامن الهجرى (دار القلم بيروت ١٩٧١ م) .
- د . أحمد أحمد بدوى ، أسس النقد عند العرب (القاهرة ١٩٦٤ م) .
- أحمد أمين ، ١- ضحى الاسلام (مصر ١٩٥٦ م)
- ٢- النقد الادبى (مصر ١٩٦٧ م)
- أسامة بن منقذ ، البديع فى نقد الشعر (مصر ١٩٦٠ م) .
- الاصبهانى . أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الاموى - الأغانى (دار الكتب المصرية - مصورة) .
- الأصمى . أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك . الأصمىات تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (دار المعارف ١٩٦٧ م) .
- الامدى . أبو القاسم الحسن بن بشر - الموازنة بين الطائفتين (مصر ١٩٦١ م)
- امرؤ القيس - ديوان امرؤ القيس بن حجر . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (دار المعارف ١٩٦٤) .
- ابن الأثير - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد - نزهة الألباء فى طبقات الادباء (مصر ١٩٦٧) .

- د . أيفور آرستريج رشاردز . مبادئ النقد الأدبي . ترجمة د . مصطفى بدوى (مطبعة مصر ابريل ١٩٦٣) .
- الباقلانى . أبوبكر بن الطيب . اعجاز القرآن (دار المعارف ١٩٦٣ م) .
- د . بدوى طبانه : ١- البيان العربى (مطبعة العودة بيروت ١٩٧٢)
- ٢- دراسات فى نقد الادب العربى (الانجلو مصرىة ١٩٦٥ م)
- ٣- قدامة بن جعفر والنقد الادبى (الانجلو المصرىة ١٩٦٩ م)
- ٤- أبوهلال العسكرى ومقاييسه البلاغية النقدية (مطبعة الرسالة بمصر ١٩٦٠ م)
- بروكلمان . كارل بروكلمان - تاريخ الادب العربى (دار المعارف ١٩٦٨ م)
- البغدادى . أبوبكر أحمد بن على الخطيب . تاريخ بغداد (مصر ١٩٣١ م)
- البغدادى . عبد القادر بن عمر . خزانة الادب ولب لباب لسان العرب (بيروت مصورة) .
- د . بنت الشاطىء . عائشة عبد الرحمن . قيم جديدة فى الادب العربى (دار المعارف ١٩٧٠ م) .
- ابن تخرى بردى . جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٩٣٢ م) .
- ثعلب . مجالس ثعلب (دار المعارف ١٩٦٠ م) .
- الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب :
- ١- البيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون (دار المعارف ١٩٦٠ م) .
- ٢- الحيوان تحقيق عبد السلام هارون (دار المعارف ١٩٦٥ م) .
- الجرجانى . عبد القاهر :
- ١- أسرار البلاغة (استنبول ١٩٥٤)
- ٢- دلائل الاعجاز (مصر ١٩٦٩)

- الجندى • عبد الحميد سند • ابن قتيبة العالم الناقد الأديب ، سلسلة
أعلام العرب (مصر ١٩٦٣) •
- د • رجب بلشير • تاريخ الادب العربى العصر الجاهلى — تعريب
د • ابراهيم الكيلانى (دار الفكر بيروت — بدون تاريخ) •
- الزبيدى • أبو بكر محمد بن الحسن • طبقات النحويين واللفويين تحقيق
محمد أبو الفضل (دار المعارف ١٩٧٣) •
- الرزكلى • خير الدين ، الاعلام (مصر سنة ١٩٥٤ م)
- ابن سلام • محمد بن سلام الجمحى • طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود
شاكر (مطبعة المدنى بمصر ١٩٧٤ م) •
- د • سهير القلماوى • النقد الادبى (مصر ١٩٥٩ م) •
- السيوطى • جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، بغية الوعاة فى
طبقات اللغويين والنحاة (مصر ١٩٦٥ م) •
- د • شوقى ضيف :
- ١ — البلاغة تطور وتاريخ (دار المعارف • الطبعة الثانية — بدون تاريخ)
- ٢ — تاريخ الادب العربى • العصر الجاهلى (دار المعارف ١٩٦٠ م) •
- ٣ — التطور والتجديد فى الشعر الاموى (دار المعارف ١٩٦٥ م) •
- ٤ — الفن ومذاهبه فى الشعر العربى (دار المعارف ١٩٦٩ م) •
- ٥ — النقد • (دار المعارف ١٩٦٤ م) •
- الصفدى • صلاح الدين خليل بن أيبك — الوافى بالوفيات (استانبول ١٩٣١)
- الضبى • المفضل الضبى ، المفضليات • تحقيق أحمد شاكر عبد السلام
هارون (دار المعارف — الطبعة الرابعة ١٩٦٤ م) •
- ابن طباطبا • أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى • عيار الشعر (القاهرة ١٩٥٦ م) •

- أبو الطيب اللغوي • عبد الواحد بن علي • مراتب النحويين (مصر ١٩٥٥)
- طه أحمد إبراهيم • تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي
الى القرن الرابع الهجري (دار الحكمة بيروت - بدون تاريخ)
- د • طه حسين • في الادب الجاهلي (دار المعارف ١٩٥٢م)
- العسكري • أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل - الصناعتين (مصر
١٩٥٢م)
- علي محمد حسن العمري • الصراع الأدبي بين القديم والجديد (مصر
١٩٦٥م)
- عنتر • ديوان عنتر بن شداد • تحقيق عبد المنعم شلبي وإبراهيم الأبياري
(شركة فن الطباعة القاهرة بدون تاريخ)
- الفيروز آبادي • مجد الدين محمد بن يعقوب • القاموس المحيط (مصر
١٩٥٢م)
- القالي • أبو علي اسماعيل بن القاسم • الأملالي وذيله (بيروت)
- ابن قتيبة • عبد الله بن مسلم • الشعر والشعراء • تحقيق أحمد محمد
شاكر (دار المعارف ١٩٦٦م)
- قدامة بن جعفر • نقد الشعر (مصر ١٩٤٨م)
- القرشي • أبو زيد محمد بن أبي الخطاب • جمهرة أشعار العرب (دار -
صادر • دار بيروت ١٩٦٣م)
- القرطاجني • أبو الحسن حازم • منهج البلغاء وسراج الأدباء (تونس
١٩٦٦م)
- القيرواني • أبو علي الحسن بن رشيق - العمدة في صناعة الشعر ونقد
(مصر ١٩٦٣م)

- المبرد — أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب
(القاهرة ١٩٥١ م) .
- د . محمد زغلول سلام :
١ — أثر القرآن في تطور النقد العربي (دار المعارف ١٩٦٨ م) .
٢ — تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري (دار المعارف —
١٩٦٤ م) .
- د . محمد غنيمي هلال . النقد الادبي الحديث (القاهرة ١٩٦٤)
— د . محمد مندور :
١ — في الميزان الجديد (مصر بدون تاريخ) .
٢ — النقد المنهجي عند العرب (القاهرة ١٩٤٨ م) .
- د . محمد نبيه حجاب . روائع الادب في عصور العربية الزاهرة
(دار المعارف ١٩٧٣ م) .
- المرزباني . أبو عبد الله محمد بن عمران ، الموشح في مأخذ العلماء
على الشعراء (المطبعة السلفية بمصر ١٣٨٥ هـ) .
- د . مصطفى الشكعة . مناهج التأليف عند العلماء العرب (بيروت ٧٣ م)
— د . مصطفى مندور (مقالة في مجلة تراث الانسانية — مصر ١٩٦٤ — المجلد
الاول) .
- د . ناصر الدين الاسد . مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية (دار
المعارف ١٩٦٢ م) .
- ابن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم اليازجي
وعبد الحفيظ شلبي (البابي الجبلي ١٩٥٥ م) .

- د . يحيى وهيب الجبوري :

- ١- الاسلام والشعر (بغداد - مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٤م) .
 - ٢- شعر المخضرمين واثرا الاسلام فيه (بغداد . مطبعة الارشاد ٦٤)
 - ٣- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه (لبنان ١٩٧٢م) .
- د . يوسف خليف . الشعراء الصالحين في العصر الجاهلي .
(دار المعارف ١٩٥٩م) .
-

استدراك

وقعت أخطاء مطبعية خارجة عن الإرادة . وفيما يلي تصويبها ، كما سقطت
بعض الفواصل ونقط الوقف ، ونقط التاء المربوطة ، وعلامات التنصيص ، اعتذر عن
استدراكها في هذه الطبعة .

الصفحة	السطر	الخطأ	التصويب
ج	٢ ، ١	تقيم	تقيّم
ج	١٠	كتب	كتب
٢	٩	على	على
١١	١٥	الصحة	الصحة
١٦	٣ هامش	المرزبانى	المرزبانى
١٧	١٣	عدو	عدو
١٨	٤	وجعفر وصحبه رضوان الله عليهم	وجعزة وجعفر رضوان الله عليهم
١٩	٢	نصف	نصف
٢٠	٨	الحانات	الحانات
٢٩	٢ هامش	الأصبهانى ٤٧	المرزبانى ٤٧
٣٦	١٤	أبو عبدة ، يحرف	خلف ، يصدق
٤٨	١٤	يوردون	يوردون
٦٤	٥	بمض	بمض
٦٦	١٤	الشمبان	المقبان
٦٧	١	امرؤ	امراً
٧٦	١٣	وصفت	وصف
٧٧	٢ هامش	طه ابراهيم ٤١ ؛ ٤٢	ابن سلام ٤١ ؛ ٤٢
٨٧	١٢	لاؤدتها	لا زالت
٨٨	١٢	يقسم	يتقسم
٨٩	٢	المدنية	المدنية
٩٢	٤	الرواية	الرواية
٩٥	١٧	وكعب الاشرف	وكعب بن الاشرف
١٠٠	٦	الحيائيس	الحقائيس
١٠٢	٨ ، ٧	صخرة	ضمرة
١٠٤	٥	فن	بن

الصفحة	السطر	الخط	الكتاب
١٠٤	٧	الفستاس	الناس
١٠٦	٨	فأعاره	فأعاروه
١٠٩	٩	فسي	للقوافسي
١٠٩	١ هامش	ابن سلام ٥٩٣	ابن سلام ٥٠٣
١١٢	١٢	ومدهم	ودرهم
١١٣	١	الرادعي	الرباعي
١٢١	١٥	صفحه	ضغفه
١٢٢	٥	مفلها	مفلها
١٢٣	٩	وتأخير	وتأخير
١٣٨	٦	ر . . رة	ر يمة
١٤٢	٣	الأولسي	الألسي
١٤٤	١١	أيسر	أسير
١٤٧	١٤	من	من
١٥٠	١٢	قد مها	قد مها
١٥١	٩	تقويم	تقد يوم
١٥٣	٥	الكثيرة	الكثيرة
١٥٧	٦	يتقول	يقول
١٥٩	٩	فكلامهم	فكلامهم
١٦٠	١٢	من	من
١٦٦	١٢	بالهجاء	في الهجاء
١٦٦	٤٤	الا	بالألاب الفاضلة في الجاهلية .
١٦٩	٧	الأوفسي	الأدبي
١٧١	١٥	صفحه	ضغفه
١٧٦	٨	يوكيون	يكون
١٩٢	٣	مرمرس	مرمرس
١٩٢	١٥	أروك	أوركك
٢١٥	٤٤	_____	للأرب من
٢١٦	٢	ونشأت	ونشأة
٢٢١	٥	الامارة	الافارة